سلسلة دراسات الفكر المهدوي ٥

# الأمل الموعود

## من غدير علي إلى خروج المهدي

الشيخ أ . د . عبد القادر يوسف ترنني

مركز براثا للدراسات والبحوث
Baratha Center for Studies and Research

# الأَمَلُ المَوْعُودُ
# مِنْ غَدِيْرِ عَلِيّ إِلَىٰ خُرُوْجِ المَهْدِيّ

-الشيخ أ.د. عبد القادر يوسف ترنني-

◆ رقم الطبعة: الأولى
◆ تاريخ الطبعة: ٢٠٢٥ م - ١٤٤٦هـ
◆ مكان الطبعة: بيروت - بغداد

الآراء المطروحة لا تعبر عن رأي المركز بالضرورة

© جميع الحقوق محفوظة للمركز

مركز براثا للدراسات والبحوث
بيروت - بغداد
Baratha Center for Studies and Research
www.barathacenter.com
barathacenter@gmail.com

سلسلة دراسات الفكر المهدوي ٥

# الأمل الموعود

## من غدير علي إلى خروج المهدي

الشيخ أ . د . عبد القادر يوسف ترنني

مركز براثا للدراسات والبحوث
بيروت - بغداد

# سِلسِلةُ دِراساتِ الفِكرِ المَهدَويّ

تُمثِّـل فكـرةُ المُخلِّص قضيّـةً محوريّـةً في الفكر الإنسـانيِّ عامّـةً، وفي الفكرِ الإسـلاميِّ على وجه الخصـوص، وتأتي تحت عنوان القضيّـة المهدويّة. والجدير بالذِّكر أنَّ المَهدويّةَ في الفكر الإسـلاميِّ ليسَـت مُجرَّدَ نظريّة تَرتبط بالفقه السِّياسيِّ وطَبيعة الحُكم في الإسلام، بل لها أبعادٌ عقائديّةٌ وحضاريّةٌ تَتعلَّق بنظريةِ الاستخلاف الإلهـيِّ في الأرض: ﴿**وَنُرِيـدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْـتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ**﴾، وبالتَّكاليف المُوجَّهة للإنسـان في سَعيه المُفترَض نحو الكـمال، وهي تكاليفُ تتعلَّـقُ أولاً بتأمين الأرضيّـة الصّالحة لظُهـور المُخلِّص، وبالمُواصفاتِ التي يَنبغي توافُرُها في الأنصار من أجلِ الظُّهور المُبارَك، وهي ترتبط ثانيًا باسـتنفادِ الأطاريـحِ الخادعة والمُضلِّلة التي تدَّعي أنَّها تُقـدِّمُ الحلولَ النِّهائيّةَ للبَـشر ولتَحقيـقِ العَدالة، ثم هـي ثالثًا تَرتبطُ بمَوضـوعِ القيادة المُرتبطـة بالإمامة المَعصومة كمَرجعيّة أصيلة في قيادة الحكومة البشريّة نحو خلاصِها وسعادتها.

من هنا، تأتي هذه السِّلسـلةُ لتُحاولَ تَبيـينَ إرهاصاتِ هذه الحكومة، وهَيكليّتها، وتَعريفهـا لذاتها وواقعها، وطريقة تَعاطيها مـع التَّناقُضات الأزليّة في عالم التَّزاحُم والصِّراعات، كما تُقدِّمُ النَّظريّةَ الإسـلاميّةَ لفكرة المَهدويّة في أبعادها الاستراتيجية والسِّياسيّة والاجتماعيّة وحتَّى الفَرديّة، بلُغة مُعاصرة، وبمَنهجيّة علميّة، تَفتحُ الآفاقَ العَملية أمامَ التَّوّاقينَ إلى خلاص البَشريّة، وتُقدِّمُ تصوُّرًا عَمليًّا عن «البديل»؛ لتُثبتَ أنَّه مُمكنٌ، وواقعيٌّ، وقريب؛ ولِيَعرفَ المُمَهِّدونَ تكليفَهم في طريق التَّمهيد للظُّهور المُبارَك، ومَوقعَهُم من النَّظريّات العلميّة والأحداث السِّياسـيّة، ويَسـيرَ المَهدويُّونَ على بَصيرة؛ ﴿ **لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ** ﴾.

# إِهْدَاءٌ

إِلَىْ صَفْوَةِ الله
أَبِيْ القَاسِمِ الخَلَفِ الهَادِي المَهْدِيّ
وَالعَلَمِ النُّورَانِيّ
وَالجَامِعِ لِشَتَاتِ الأُمَّةِ عَلَى المِنْهَاجِ الرَّبَّانِيّ المُحَمَّدِيّ
رَاجِيًّا مِن الله أَنْ يَجْعَلَنِي تَحْتَ أَنْظَارِه
وَأَنْ يَكْتُبَنِي مِنْ صَفْوَةِ أَتْبَاعِه
وخُلَّصِ أَحْبَابِه
سَائِلاً المَوْلَى أَن يَقْبَلَ مِنّي مَا قَدَّمْتُ
وَيَرْضَى عَمَّا سَطَّرت
وَأَنْ يَفْتَحَ لِي بَابًا إِلَيْه لِأَعْرُجَ فِيْ مَلَكُوتِ مَعَارِفِه
لِأَبُثَّ فِيْ النَّاسِ النَّفَائِسَ الضَّائِعَةَ وَالحَقَائِقَ الغَائِبَةَ الرَّائِعَة
بِحَقّ مُحَمَّدٍ وَآلِه
آمِين

# بَيْنَ يَدَيّ البَحْثِ لِلتَّارِيْخِ

ليس من عادتي مدحُ الأحبة والفضلاء الذين ألتقيهم مهما أحببتهم وأعجبت بهم، ليس لأنَّني لا أحب الاعتراف بفضلهم وفضائلهم، ولكن لئلا يظنُّ الظَّانون بأنَّ مديحي كمديح معظم الناس الذين يتملقون لأغراضٍ دُنيوية وأهدافٍ دنيئة. لكنَّني في هذه العُجالة اللَّطيفة بين يديّ هذا الكتاب سأخرج عن عادتي لأسطر كليمات عن شخصية عُلمائية تركت أثرًا كبيرًا في نفسي، ودفعتني دفعًا من دون أن ينطق منها اللسان ولو بكلمة لأن أستلَّ قلمي وأخُط هذا الكتاب الذي كان من المفترض أن يكون بحثًا.

بعد أن تمَّت مشاركتي في مؤتمر الغدير الأول في حرم النَّجف الأشرف يوم الأربعاء الواقع في ٢٦ حزيران ٢٠٢٤، وعند الساعة الحادية عشرة وستٍ وعشرين دقيقة مساءً وردني اتصالٌ يقول: ...نحن نسأل عنك في بيروت وأنت في النَّجف، ودعاني إلى مؤتمرٍ حول الإمام المَهدي في رحاب العتبة الكاظمية المقدسة ببغداد.

سألتُ الرجل عن اسمه فأجابني: (جلال الدين الصغير)

الواقع أنَّني لا أعرف الرجل، بل لم أسمع بهذا الاسم من قبل، ربما من تقصيري، وربما لأنَّني لا أتابع وسائلَ التواصل الاجتماعي كثيرًا، وربما

لأنَّني لم أطَّلع على سياسة العراق وساسته.

سألته ثانيةً: هل هو من رجال الدين؟

وعلى عادة العلماء المتواضعين، قال: بل طالب علم.

لبَّيتُ الدَّعوة، واستبشرت خيراً عندما بعث سماحةُ الشَّيخ رجلاً يقلني إلى بغـداد حيث عرج بي عـلى كربلاء، وتمت زيارة مولانـا أبي عبد الله الحسـين سهلةً ميسرةً مؤنسـة غاية الأنس بعد أن كانت البداية في رحاب أخيه أبي الفضل العباس بصحبة ذلك الرجل الحسـيني الموسوي المبارك الذي رافقني أجملَ مرافقة. وفي رحاب بغداد وفي مسـجد بُرَاثَا كان اللقاء بسماحة الشـيخ الجليل الذي كان مثالَ العالِم المتواضع الغيور على دينه وأمَّتـه، وكم كان إعجابي به كبيراً لما وهبـه الله من صفاتٍ وخصال عاليةٍ قلَّما نجدها في الكثير من العلماء. وبعد اللقاء الأول الذي امتد لسـاعاتٍ مـن الليل شـعرت بأنَّني وجدت ضالتي التي أبحث عنهـا، والوقود الذي يدفع بي قُدُمًا نحو تحمل مسؤوليات كبرى.

أحببتُ سـماحةَ الشـيخ من كل قلبي وقدَّرته وأعظمت فيه تواضعه وكرم أخلاقه ونبله وهناءَة نفسه وعفويَّته وعلوَّ همته ومحبَّته وأُبوَّته في تعامله مع كل من حوله. وكان هـذا اللقاء ببركات الأئمةِ وعلى أعينهم بدءًا بأمير المؤمنين فالإمام الحسين ثم الإمامين الجوادين الكريمين؛ عليهم مني السلام.

وانعقـد ذلك المؤتمر، الذي كان مؤتمـرًا يختلف عن كل المؤتمرات التـي دُعيتُ إليها، حيثُ شـارك فيه علماءٌ مـن مختلف الدول والمذاهب

كالعادة، لكن في هذا المؤتمر كان الشيخُ الجليل المحرّك المؤثر والنشيط الـذي لا يهدأ طوال أعمال المؤتمر ليلاً ونهارًا، وكم كان مدهشًـا أن ترى الشـيخَ وهو الباحث القديم والمعروف بخوضـه غِمار الأبحاث المتعلقة بالقضية المهدوية -كما عرفت لاحقا-؛ ومع ذلك تشعر بأنَّه يريد أن يسمعَ شـيئًا جديدًا حول هـذه القضية وكأنيّ به ذلك العاشـق الواله الذي يحب سماع الجديد عن معشوقه الغائب الذي ذاب شوقًا إليه.

نعم؛ إنَّ عشـقه البارز للإمام المهدي قد اسـتولى عليـه، وصار انتظارُ الفرج، شغلَه الشاغلَ لكنَّ هذا الانتظار له طرقه الإيجابية العملية والعلمية.

وبعـد أعمال المؤتمر الذي كان أشـبهَ بخَلِيَّة نحلٍ يقدم فيه المفكِّرون والباحثـون الأفكار والطُروحـات العملانيَّة التي تؤثِّـر في إخراج العقيدة المهدويـة من دائـرةِ النصـوص إلى دائرةِ العمـل والتتبع والاستكشـاف والعِلميَّة لتصل إلى كل شرائح المجتمع؛ وبعد نقاشات وأخذ ورد شعرت بمسـؤوليةٍ كبيرةٍ تَجاه المشروع المطروح لأنَّ طرحه لم يكن طرحًا عاديًّا، وإنَّمـا كانَ طرحًـا ينـمُّ عن اهتمام وانشـغال رجـلٍ كبيرٍ مسـؤولٍ يحمل مـشروع الأمة على كاهله ولا يهدأ له بال إلا متـى تتبَّع كلَّ التفاصيل التي تجعله قريبًا قُربًا دائمًـا من إمامه المهدي المغيَّب -عجل الله تعالى فرجه الشريف-، وخادمًا لتراب مقدمه خدمةً حقيقيَّةً لا يستطيع القلم أن يُعبّر عن مصداقيتهـا وتفانيها؛ هذا بالإضافـة إلى الهمّ الأكبر الذي يحمله والكامن في جعل العقيدة المهدوية مرافقة للأجيال الصاعدة والشبان والمثقفين.

مــن أجل ذلك اســتللتُ القلمَ يوم رجعت إلى بــيروت، وعزمت على الكتابــة بمــا يخدم هذا المــشروع العقائــدي من خلال المنظــار الجديد والأفكار الجديدة التي طرحها سماحة الشيخ والسادة العلماء والمفكرون الذين شاركوا في أعمال المؤتمر.

ومع أنَّني كنت تناولت هذا البحثَ بالكتابة منذ ســنوات بعيدة، إلَّا أنَّ الكتابــة والطرح الذي أُقدّمــه اليوم مع الربط التاريخــيّ القائم بين الغدير والعقيدة المهدويَّة بناءً على الأفكار التي استفدتُّها من سماحة الشيخ وبُعد نظره وفكره الثاقب مع ما دار في جلسات وورشات عمل المؤتمر المنعقد للغاية نفســها، فتحــت أمامي آفاقًــا جديدةً ونظــرةً جديدةً تجــاه العقيدة المهدويَّة حاولت اختصارَ أبعادِها قدر الإمكان.

وها هي أفكار هــذا البحث المتواضع أُقدمها بين يديّ المؤمنين راجيًا من الله ســبحانه القبول، معترفًا بقلــة بضاعتي وبتقصيري الكبير، فما كان فيه من خير وقد أَصبت فيه وجه الحق فمن الله، وما كان سوى ذلك فمن نفسي المذنبة.

ولا أنسى قبل البدء بما يفتح به الله عليّ أن أقدم شكري الكبير لسماحة العلامة المجاهد والشــيخ الجليل المتواضع (جلال الدين ابن الشيخ علي الصغير) الذي أحببته في الله لما يحمل في صدره الكبير مِنْ هَمٍّ تجاه دينه ووطنه والإنســانية، سائلاً الله أن يطيل في عمره وينفع به وأن يجعله ذخرًا للإسلام والمسلمين.

# المُقَدِمَّةُ

الحمد لله وكفى، وصلاةً وسلامًا على النبي المصطفى، وآله الحنفا، وخلفائه الأئمَّة الشُرفا، وجمعنا الله تعالى بخاتمَهم الخلف الهادي المهدي، أبي القاسم محمد بن الحسن العسكري، إمام الزمان والرشاد، وحُجة الله على العباد، وبعد؛

فإنَّه لمن التحرُّر والتعقُّل أن يُقدِمَ العُلماءُ والمفكرون على تناول موضوع الإمام المهدي بأساليب فكريةٍ وعصريَّة تلائم فكرَ وعقلَ وتطلُّعات الشباب، لتزيح عن عقولهم الإشكالات التي يبثُّها الملحدون والمنحرفون والمنكرون من هنا وهناك، ولا يَخْفَى على ذي لُبٍّ أنَّ طَرْحَ الإشكالاتِ تسعى في صميمِ حراكِها إلى التشويشِ على الصفاءِ الإيمانيِّ والروحيِّ الذي يتغذَّى بأنوارِ العقولِ المنفتحةِ على الكون وخالقه ومخلوقيه.

لقد كانت قضيةُ الإمام المهديّ ولا تزال وستبقى إلى قيام الساعة محلَّ خلاف بين أبناء المجتمع الإنساني بكليتهم، وذلك يعود إلى أنَّ هذه المسألة الإيمانية العقائدية طالما تناقلتها وتحدثت عنها الأمم والشعوب في أدبياتها وتراثها، وهذا إن دلَّ على شيءٍ فإنَّما يدل على أنَّها من المسلَّمات الإيمانية في كل عصرٍ وزمانٍ عند أتباع الديانات قاطبة، إلَّا أنَّ

كلَّ أمَّة من الأمَم وضعت لمخلِّصها صورةً استقتها في معظم الأحيان من البيئة التي تحيا فيها؛ أو وضعت له صورةً خياليةً تبتعد عن الواقع والوقائع بنسب متفاوتة.

ولعلَّ هذا الأمر هو الذي جعل من هذه القضية والاعتقاد بها ضربًا من الهوس والخرافة عند البعض، معتمدين في إنكارهم على التحليل الذي يزعم بأنَّ الطبيعةَ البشريةَ الرَّازحة تحت الظلم والاستعباد تتعلق دائمًا بفكرة المخلِّص، وهذه الفكرة في نظرهم هي التي تخفِّف عن المؤمنين بعقيدة المخلص وطأة الشعور بالقهر والذل، وتدفع بهم قُدمًا نحو الركون إلى الظالمين، والخضوع لهم إلى حين ظهور المخلص الذي يكفل لهم طريق السعادة.

وهكذا تخيَّل المنكرون أنَّ واضعَ هذه النظرية هم الحاكمون الذين يستغلون الناس، ويجعلونهم أسرى المعتقدات البالية، ثم يصنعون لهم قيودًا اعتقاديةً إيمانيةً لا يجوز لهم تَخَطِّيها، ولَئِنْ فعلوا ضلُّوا وانحرفوا عن طريق الصواب، وكان مآلهم العذاب المقيم والخلود فيه.

ولذلك يرى هؤلاء الباحثون أنَّ الأمم كل الأمم تحدثت عن المخلِّص وهي إلى هذا العصر الراهن، بل إلى نهاية الحياة والكون ستبقى تنتظر مخلِّصَها الموهوم أو الأسطورة -كما يزعمون-!

ولو أنَّ أصحابَ هذا الفكر كانوا واقعيين في دراستهم لوجدوا أنَّ فكرة المخلِّص ليست فكرة جديدة، وليست من نسج الخيالات كما توهموا،

فشريعتنا الغراء تحدثت عن الإمام المغيَّب الذي سيخرج في آخر الزمان ليعيد الأمور إلى نصابها، وذلك بعد أن يغلُب على الدنيا الفساد والإفساد والظلم والجَور، وليملأ الأرض قسطًا وعدلاً بعد أن مُلِئَتْ ظلمًا وجَورًا، وليختم الله تعالى به الأوصياء كما جعل جَده النبي الأعظم خاتم الأنبياء والرسالات.

وهكذا أخبرت شريعتنا عن الإمام المهدي، وحدَّثت عنه، كما أخبر الأنبياء السابقون عن البعثة المحمديَّة التي لم تكن ضربًا من الخرافة، بل لقد ثبت لكل بني الإنسانية أنَّ النبي الخاتَم هو الذي يختم الله تعالى به الرسالات، ثم لا يكون بعده نبي على الإطلاق، وهو محمد بن عبد الله الذي طالما انتظرتْه البشرية، وكانت على موعدٍ معه، رغم تحريف المحرفين وتزييف المزيفين لهذه القضية الإنسانية ولهذا الحدث الكوني العظيم.

ليس من شأن هذا الكتاب الخوضُ في علامات الظهور ودراستها، خصوصًا وأنَّ دراسة العلامات بات علمًا قائمًا بذاته تتصدى له مراكز بحوث وكُتاب وعُلماء ويتطلب تتبعًا دائمًا؛ مع التأكيد على أهميَّة إخراج هذه العقيدة من دائرة الرواية النظرية إلى دائرة العلم التطبيقي، وهذه القضية كانت من أهم القضايا التي طُرحت في أعمال المؤتمر وورشه.

أمَّا أهميَّة هذا الكتاب فتكمن في طبيعة البحوث التي تناولها بطريقة تكشف عن عملية الربط بين واقعة الغدير وخروج المهدي، فإذا كانت

الأمــة قــد رفضت بيعةَ الغدير فــإنَّ قيام الحق على يد رجــل من ذريته أمر محقق لا بد منه. من هنا جاء هذا الكتاب في ستة فصول:

**الفصل الأول:** الإمام المهدي: الأمل الموعود

**الفصل الثاني:** التأسيس الأول: إعلان ولاية الإمام علي عند غدير خم

**الفصل الثالث:** التأسيس الثاني: صلح الإمام الحسن بن علي: الظروف والتأسيس

**الفصل الرابع:** التأســيس الثالث: ثورة الإمام الحسين: التأسيس ورحلة الشهادة

**الفصل الخامس:** التأسيس الرابع: المهدي المنتظر

**الفصل السادس:** المهديُّ المنتظر: إشكالاتٌ وحلولٌ.

## إِشْكَالِيَّةُ البَحْث

تنطلق إشــكالية البحث بدايةً من قضية العقيــدة المهدويَّة وثبوتها من عدمه؛ ويتفرع عن هذه الإشكالية النقاط التالية:

هل كان ثمة تأسيسٍ قرآني نبوي للقضية المهدوية؟

هل سارت الأمَّةُ وفق التأسيس الديني الذي أمرها به الشارع الحكيم؟

مــا طبيعة التأســيس الغديــري -التأســيس الأول- الذي اعتمــده النبي الكريم وما علاقته بالقضية المهدوية؟

ما عَلاقة صلح الإمام الحسن مع معاوية -التأسيس الثاني- بالقضيَّة المهدويَّة؟

ما علاقة الهجرة الحسينية إلى كربلاء واستشهاده على أرضها -التأسيس الثالث- بالقضيَّة المهدويَّة؟

في التأسيس الرابع ثمة إشكالاتٍ حول الإمام المهدي المنتظر ووجوده وغيبته واعتقاد المسلمين بطبيعة الشخصية المهدوية وعلاقة هذه الشخصية بما ورد عند غير المسلمين، ثم الختام حول العلامات وكيفية دراستها بأسلوبٍ علميٍّ.

## فَرضِيَّةُ البَحْث

وللإجابة على الإشكاليات المطروحة نرى أنَّه:

يُفترض أن يكون تأسيس ديني للقضية المهدوية العقائدية.

الظن أنَّ الأمَّةَ لم تتبع الطريق النبوي والتأسيسات الأربعة التي سنأتي على ذِكرها ستثبت ذلك أو تعارضه.

ينبغي أن تكون بيعةُ الغدير الأساس الأول لالتزام الأمة من عدمه، فإن التزمت هانَ القِياد وانتفى الخلاف.

ينبغي أن يكون صلح الإمام الحسن وتنازله عن السلطة الدنيوية خُطوةً إصلاحيةً نابعةً من رغبة الآخرين بالوصول إليها بغير حق.

قد تكون هجرةُ الإمام الحسين إلى كربلاء تجديدًا وإحياءً للدعوة المحمدية، وللمنهاج الإسلامي الحق الذي يتطلب أسمى أنواع التضحيات التي تؤسس للتجهز العملي لخروج الإمام في زمن الغيبة،

وذلك باعتماد كل الوسائل الإصلاحية الممكنة بالقول والحكمة والثورة والبذل والتضحية حتى الشهادة.

ينبغي أن يكون خروج الإمام ملائمًا وطبيعة علامات الساعة التي تُزلزل الأرض وتُطرح منظمة جديدة يذعن لها الأحرار والمظلومون من سائر المذاهب والطوائف.

## مِنْهَجِيَّةُ البَحْث

مِن الصعب اقتصارُ مثلِ هذا النوع من الأبحاث على منهجٍ واحدٍ من المناهج البحثيَّة المتَّبعة، لكنَّ المنهج التاريخي الذي يعتمد الروايات والنصوص الدينية لا بدَّ من أن يكون العمدة في مثل هذه الأبحاث -ذات الطابع العَقَدي- التي تعتمد على تفسير الآيات القرآنية والروايات المتواترة أو الصحيحة ومقارنتها بالوقائع التاريخيَّة الثابتة، على أنَّ اعتماد هذا المنهج لا يؤتي ثماره إذا لم يتم تقييم النصوص وشروحها وتعارضها أو توافقها من خلال عملية وصفيَّة تحليليَّة استنباطيَّة واستقرائيَّة، مع مقاربة النتائج التي يتوصل إليها البحث بأسلوب عِلمي حيادي لا ينطلق من المقررات المذهبية وخلفياتها المحفوظة.

# الفَصْلُ الأَوَّلُ:
# الإِمَامُ المَهْدِيُّ وَأَزْمَةُ التَّشْكِيكِ

# المَبْحَثُ الأَوَّلُ:
# المَهْدِيُّ فِي اللُّغَةِ وَالاِصْطِلَاحِ

## ١ - المَهدِيُّ فِيْ اللُّغَةِ

- المهديُّ اسم مفعولٍ من الفعل «هَدَى»، فالفعل هدى، واسم الفاعل: هادٍ، واسم المفعول: مَهْدِيٌّ
- ورد في لسان العرب أنَّ: الهُدى ضِدُّ الضَّلَال وَهُوَ الرَّشادُ.
- والهُدَى مُذَكَّرٌ، وبَعْضُ بَنِي أَسد يُؤَنِّثُهُ، يقول: هَذه هُدًى مُسْتَقِيمَةٌ؛ وَالدَّلَالَةُ أُنثى، وَقَدْ حُكِيَ فِيهَا التَّذْكِيرُ؛ وأَنشد ابْنُ بَرِّيٍّ لِيَزِيدَ بْنُ خَذَّاقٍ [من الكامل]:

وَلَقَدْ أَضاءَ لَكَ الطريقُ وأَنْهَجَتْ
سُبُلُ المكارِمِ، والهُدَى تُعْدِي

- والْهُدى؛ أَي: الصِّراط الَّذي دَعا إِليه وهُوَ طَرِيقُ الْحَقِّ. قال تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى**﴾ [سورة الأنعام؛ الآية ٧١].

- والهَدْي: السيرة؛ قال الجوهري[1]: ويُقال أيضًا: نظر فلانٌ هِدْيَةَ أمره، وما أحسن هِدْيَتَهُ وهَدْيَتَهُ! أيضاً بالفتح، أي: سيرته. والجمع هدى، مثلُ: تمْرَة وتمْر؛ ويُقال أيضًا: هَدى هَدْيَ فلانٍ، أي سارَ سيرتَه. وفى الحديث: «واهدُوا هَدْيَ عَمَّار».
- والهـديُ: الجهة؛ وَمـنَ الْبَابِ قَوْلُهُمْ: نَظَرَ فُلَانٌ هَـدْيَ أَمْرِهِ أَيْ جِهَتَهُ، وَمَا أَحْسَنَ هِدْيَتَهُ! أَيْ: هَدْيَهُ.
- وَيَقُولُـونَ: جَـاءَ فُلَانٌ يُهَادِي بَـيْنَ اثْنَيْنِ، إِذَا كَانَ يَمْـشِي بَيْنَهُمَا مُعْتَمِدًا عَلَيْهِمَا.
- وَرَمَيْتُ بِسَهْمٍ ثُمَّ رَمَيْتُ بِآخَرَ هُدَيَّاهُ، أَيْ: قَصْدَهُ.
- وهداه، أي: تقدَّمه. قال طرفة [من المديد]:

لِلْفَتَى عَقْلٌ يَعِيشُ بِه
حَيْثُ تَهْدِي ساقَهُ قدَمُهْ

- وهادي السهم: نصلُهُ.
- والهادي: الرَّاكِسُ، وهو الثور في وسط البيدر تدور عليه الثيران في الدِياسَة.
- والهادي: العُنُـقُ. وأقبلتْ هَوادي الخيـل، أَيْ: أَعْنَاقُهَا، وَيُقَالُ هَادِيهَـا: أَوَّلُ رَعِيلٍ مِنْهَا، لِأَنَّهُ الْمُتَقَـدِّمُ؛ وَالْهَادِيَةُ: الْعَصَا، لِأَنَّهَا

---

١ - إسـماعيل بـن حماد الفارابي الجوهري: الصحاح تـاج اللغة وصحاح العربية؛ ج٦، ص٢٥٣٣.

تَتَقَدَّمُ مُمْسِكَهَا كَأَنَّهَا تُرْشِدُهُ.

- والهَادِي مِنْ أَسماء اللَّه تَعَالَى سُبْحَانَهُ، وهُوَ الَّذي بَصَّرَ عبادَه وعرَّفَهم طَرِيقَ مَعْرِفَتِه حَتَّى أَقرُّوا بربُوبيَّته، وهَدى كُلَّ مَخْلُوقٍ إِلى مَا لَا بُدَّ لَهُ مِنْهُ فِي بَقائه ودَوام وجُوده.

قال ابن فارس في مقاييس اللغة[١]: «الْهَاءُ وَالدَّالُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ أَصْلَانِ، أَحَدُهُمَا: التَّقَدُّمُ للإرشاد كقولهم: هَدَيْتُهُ الطَّرِيقَ هِدَايَةً، أَيْ تَقَدَّمْتُهُ[٢] لِأُرْشِدَهُ. وكُلُّ مُتَقَدِّمٍ لِذَلِكَ هَادٍ؛ قَالَ الأعشى [من المتقارب]:

إِذَا كَانَ هَادِي الْفَتَى فِي الْبِلا
دِ صَدْرُ الْقَنَاةِ أَطَاعَ الْأَمِيرَا

وَالْآخَرُ: بَعْثَةُ لَطَفٍ. وهو الْهَدِيَّةُ؛ أي: مَا أَهْدَيْتَ مِنْ لَطَفٍ إِلَى ذِي مَوَدَّةٍ. يُقَالُ: أَهْدَيْتُ أُهْدِي إِهْدَاءً.

- وقوله تعالى: {أولم يَهْدِ لَهُمْ} [سورة السجدة؛ الآية ٢٦] قال أبو عمرو بن العلاء: أولم يبيِّن لهم[٣].
- وهَدَيْتُهُ الطريق والبيت هِدايَةً، أي: عرَّفته هذه لغة أهل الحجاز، وغيرهم يقول: هَدَيْتُهُ إِلى الطريق وإِلى الدار، حكاها الأخفش.
- وهدى واهتدى بمعنًى. وقوله تعالى: ﴿**فإنَّ الله لا يَهْدى من**

---

١ - أحمد ابن فارس: مقاييس اللغة؛ ج٢، ص١٩٨.
٢ - إسماعيل بن حماد الفارابي الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية
٣ - محمد بن مكرم ابن منظور: لسان العرب.

﴿يُضِلّ﴾[سورة النحل؛ الآية ٣٧] قال الفراء: يريد لا يَهْتَدي.

والْمَهْدِيُّ كما في لسان العرب: الَّذِي قَدْ هَداه اللَّهُ تعالى إِلى الْحَقِّ، وَقَد اسْتُعْمِل فِي الأَسماء حَتَّى صَارَ كالأَسماء الْغَالِبَة، وَبِهِ سُمِّيَ المهْدِيُّ الَّذِي بَشَّر بِهِ النبيُّ (ص)، أَنه يَجيءُ فِي آخِرِ الزَّمَان[1].

وَفِي حَدِيث عَلِيٍّ، كَرَّم اللَّهُ وَجْهَهُ: أَنه ذَكَرَ الْمَهْدِيَّ وأَنه يَكُونُ مِنْ وَلَدِ الحُسَين أَجْلى الجَبين أَقْنى الأَنف أَزْيَل الفخذين أَفْلَج الثَّنايا بِفَخِذِه الأَيمن شامةٌ[2].

من خلال ما سبق، نستطيع الوصول إلى معانٍ جامعة تتآلف لتشكل حقلاً معجميًّا خاصًّا بالإمام المهدي الذي اختاره الله تعالى من أكرم بيتٍ وأحبِّ بيتٍ إليه ليملأ الأرض قسطًا وعدلاً بعد أن مُلئت ظلمًا وجَورًا.

فالمهدي سُمِّيَ مهديًّا تدليلاً على هدايته البشرَ وإقامته العدالةَ الإنسانيَّةَ، وذلك من الهُدى والرَّشاد الذي هو ضِدُّ الضَّلَال والزيغ. فهو الإمام الَّذِي قَدْ هَداه اللَّهُ إِلى الْحَقِّ هدايةً ظاهرةً تفضح كل زيغ وضلال.

وطريقُ الرشادِ الذي يسلُكُه المهديُّ داعيًا الناسَ إليه مُعَبَّدٌ لا اعوجاج فيه ولا التواء.

والمهدي صاحب السَّير والمسيرةِ والسيرةِ الصَّالحة التي لا تتحول

---

١ - محمد بن مكرم ابن منظور: لسان العرب؛ (مادة: هدي).

٢ - محمد بن مكرم ابن منظور: لسان العرب؛ (مادة: زيل).

عن الـصراط القويم، ولا تَتَنَكَّـبُ عن الطريق المسـتقيم، الذي لا يصلُ بصاحبه حيثُ اتَّجه إلا إلى الحقِّ وجهَةِ الحقِّ مهما كانت السُّبُلُ من حوله منحرفـةً وأربابُها ظالمين مجرمين يمُارسـون كلَّ ألـوان التخلُّف والتجبُّر والتكبُّر والاسـتعلاء؛ إنَّه لَيَتَهادى بينَ السُّبُلِ الوعرة بتُؤدَةٍ وهُدوءٍ وحكمة، ليسَ لَهُ مِنْ مَقْصِدٍ إلاَّ الصلاحُ والإصلاحُ وكلُّ ما فيه النَّجاحُ والفلاحُ لِبَني البَشَر.

والمهـديُّ هو العُنُقُ ورأسُ الأقـوام جميعُهم، وهو الأوَّلُ المتقدِّم على كلِّ الخليقـة مذ أَدْرَكَهُ حِفْـظُ الله وحاطَتْهُ عنايَتُـهُ في غَيْبِه، فيكون ظهوره مَعْلَمًا فارقًا في تاريخ الإنسانية، يقودها بعصا الرحمة إلى العصمة، ويُبَصِّرُ العبـادَ ويُعَرِّفُهُـمُ الطَريقَ حَتَّى يُقِرُّوا بربُوبيَّةِ خالقِهِـمْ، فيُنيبونَ إليه طائعينَ خاضِعينَ مِنْ غيرِ إكراهٍ ولا عَنَت ولا إجبار؛ يُهديهم طُرُقَ النورِ على أطباقِ المعرفة واليقين، فيَهديهم مبيِّنًا الحقَّ مِنَ الباطلِ، ومُوَضِّحًا معالمَ الطريق، ومعلِّمًا الأتباع دروسَ العِزَّةِ والإباءِ والتضحيةِ والفِداءِ، ومُعَرِّفًا:

- وبنفسه وبنسبه الشريف الطاهر الزكي
- وبنبيِّه الكريم على الله وعلى رُسُـله وعـلى عباد الله المؤمنين، حيث أرسله الحقُّ تعالى رحمةً للعالمين وجعل رحمته موصولةً ممدودةً في خلفائه إلى خِتامِهم الخلفِ الهادي الأمينِ المهديِّ.
- بِرَبِّه الذي اختاره من خيرِ البيوت فجعله في غيبه آيةً وعلامةً من علامات يوم القيامة؛ لا تقوم إلا بإذنِ اللهِ تعالى وأمرِه.

## ٢ - المَهْدِيُّ فِيْ الاِصْطِلَاحِ

المهديُّ رجلٌ من عترة النبي وآل بيته، يخرج في آخر الزمان بعد أن يعيش الناس مرحلةَ الفوضى والظلم ونُكران الإنسانيَّة التي جُبلوا عليها، ومحاربةِ الفطرة التي فُطروا عليها، والاعتمادِ على القوَّة والاستئثار بالخيرات، ومنعِ الآخرين حقوقَهم، وظلمِ المساكين والضعفاء، والاعتداء على البشر وقهرهم وإذلالِهم، والإمعانِ في القتلِ وسفكِ الدماءِ واستباحةِ المحرمات.

ففي مرحلةٍ من أسفلِ مراحلِ الإنسانيَّة وأَحَطِّها وأكثرِها ظلامًا، وفي أعقدِ وأَحْرَجِ الخُطوب حيثُ تَتطلَّعُ البشريةُ إلى مُنقذٍ يأخذ بها إلى شاطئ الأمان، يخرجُ المهديُّ كالبرقِ الذي يُبَدِّدُ الظُّلْمَةَ ويُنيرُ الدُّنْيا من حيث لا يعرف الناس ولا يظنون. ما يعني أنَّ المهدي "ليس تجسيدًا لعقيدة إسلاميَّة ذات طابعٍ ديني فحسب، بل هو عنوانٌ لطموحٍ اتَّجَهَتْ إليه البشريةُ بمختلف أديانها ومذاهبها، وصِيَاغَةٌ لإلهامٍ فِطْرِيٍّ... تجدُ فيه المسيرةُ المكدودةُ للإنسان على مَرِّ التاريخ استقرارَها وطُمَأْنِينَتَها بَعْدَ عَناءٍ طَوِيلٍ"[1].

وإذا بحثنا بدايةً في سببِ تسمية المهديّ، فإنَّنا نتلمس من هذه التسمية أنَّها جاءت من معنى الهُدى والهداية؛ فالمهديُّ اسمُ مفعولٍ منَ الفعلِ «هَدَى» يدلُّ على من وقعتْ عليه الهدايةُ فاتَّصفَ بها حتى باتتْ لصيقةً به لا تُفارقُه بحالٍ من الأحوال، فهو مهديٌّ يُرشد النَّاسَ إلى طريق الهداية

---

١ - السيد محمد باقر الصدر: بحث حول الإمام المهدي؛ ص:٩.

الـذي ابتعدوا عنه، عـلى أنَّ هذا الطريقَ النورانيَّ المعبَّـدَ ما هو إلا طريقُ جـدِّه النبي (ص) الذي قـال فيه: «يقفو أثري لا يخطـئ»[١]؛ فهو متَّبِعٌ أَثَرَ جَدِّه رسـول الله لا يُخْطِئُهُ أَبَدًا، إِذْ هُوْ مَعْصـومٌ أَوْجَبَ الحقُّ اتِّباعَهُ كاتِّباعِ جَدِّه، لذا فإنَّه يصنع كما صنع رسـول الله ﷺ فَيَهْدِمُ ما كان قبلَه من ظُلْمٍ وطُغْيانٍ وتغييرٍ لِمَعَالِمِ الإنسـانيَّة كما هدمَ رسـولُ اللـه ﷺ أمرَ الجاهلية وأصنامَها واسـتعبادَ البشر وإذلالَهم وأكلَ أموالِ الناسِ بالباطلِ والاعتداءَ على الشـعوبِ المسـتضعفَة، وسَـحْقَ الطبقـاتِ الفقيرة، وسَـفْكَ الدِّماءِ البريئة،...؛ وهو مهديٌّ يهدي الخلقَ إلى الإسلامِ الحقيقيِّ يَخْرُجُ لِيَسْتَأْنِفَ الإسـلامَ[٢]، وذلكَ أنَّ الإسلامَ الحقَّ يكونُ غريبًا بعدَ أنْ يُغَيِّرَ الناسُ نَقَاوَتَه ويَنْحَرِفوا عَنْ مسيرتِه القائمةِ على الإنسانيَّةِ والرحمةِ والعدالةِ ونُصْرَةِ الحقِّ وكلِّ ما فيهِ صالحُ البشرِ وخيرِ العباد.

ويُحـدث الإمام الصادق شـارحًا طريقة المهديِّ ومـا يقوم به من أعمالٍ جليلة جعلت هذا الاسم لَصيقًا بِه فيقول: «إذا قام القائم عجل الله فرجه دعا الناس إلى الإسـلام جديدًا، وهداهم إلى أمرٍ قد دُثِر وضلّ عنه الجمهور، وإنّما سُـمِّيَ القائمُ مهديًّا لأنَّه يهدي إلى أمرٍ مَضْلولٍ عَنْهُ، وسُمِّيَ القائمَ لِقِيامِهِ بالحقّ»[٣].

---

١- علي الكوراني: معجم أحاديث الإمام المهدي؛ ج٣، ص٤٦٥.

٢ - علي الكوراني: معجم أحاديث الإمام المهدي؛ج٥، ص٤١، ح١١٢٣.

٣ - عـلي النمازي: مسـتدرك سـفينة البحار؛ ج١، ص١٠ - عـلي الكوراني؛ معجم أحاديث الإمام المهدي، ج٥، ص٤١.

كما ورد أنَّه «إِنَّمَا سُمِّيَ الْمَهْدِيَّ لِأَنَّهُ يَهْدِي لِأَمْرٍ قَدْ خَفِيَ...»[١].

وفي هـذه الأخبار إيضاحٌ للدعوةِ الجديـدةِ التي يدعو المهديُّ الناسَ إليهـا، حيـثُ يدعو إلى إسـلامٍ جديدٍ لا يعرفُـه الناسُ بعد تشـويهِ القوى المسـتكبرةِ لحقائقِ الدينِ وسـماحته وانفتاحِ أتباعه المغيَّبينَ عن سـاحةِ الحياة؛ كلُّ ذلك يسـيرُ وفق خُطط شـيطانيَّةٍ مدروسـةٍ تَتَحَقَّـقُ سريعًا بما تَمْتَلكُهُ تلكَ القُوَى مِنْ نُفُوذٍ وسُلْطَةٍ وجَبَرُوتٍ وسيطرةٍ على مفاصلِ الدُّوَلِ ومُقَدَّراتها وفكْرِ الجماهيرِ بما تُسَـخِّرُهُ منْ وسـائلَ إعلاميَّةٍ تعملُ ليلَ نهارَ عـلى طمسِ نورانيَّةِ الفِطْرَةِ في النفـوسِ البشريَّةِ وتقزيمِ الحقائقِ والترويجِ للباطـلِ وللمنكرِ وللجرائـمِ الأخلاقيَّةِ وللانحرافِ بـكلِّ أنواعِه؛ هذا إلى جانبِ الاسـتبدادِ الذي يُمَارِسُـهُ الحُكَّامُ المتَفَرْعِنون وأزلامُهم منَ العلماءِ -الذيـن باعوا الدين بالدنيا- إذ يُغَيِّرونَ معالمَ الدينِ الحنيف وصورتَه النَّقية الناصعةَ، لِيَضَلَّ جُمهورُ المسلمينَ ومعظمُ علمائِهم ومُفَكِّريهِمْ عن طريقه وطريقتـه؛ في مثـل هذه الظروف الصعيبـة الدقيقة يخرج المهـديُّ ليقومَ بأعبـاءِ الحـقِّ وبأمرِ الحـقِّ الْمَنْسِيِّ الذي يؤول ذكره ضربًـا من الخيال أو أسـطورةً تخبر عن قيام إنسـان من قـبره بعد أن وُوري الـثَّرى؛ لذا ورد أنَّ المهديَّ «سُمِّيَ قائمًا لأنَّه يقومُ بَعْدَ مَوْتِ ذِكْرِه»[٢].

وقِيَامُ المهديِّ بَعْدَ مَوْتِ ذِكْرِهِ ونِسْيانِ الناسِ خُروجَهُ ليسَ منَ الضروريِّ

١ - عبد الرزاق بن همام الصنعاني: المصنف، ج١١، ص٣٧٢، ح٢٠٧٧٢.
٢ - علي النمازي؛ مستدرك سفينة البحار؛ ج١، ص١٠.

أنْ يكـونَ الْمَقْصدُ منْهُ مُجَرَّدَ موت اسْـمه على المنابـر، وجهل الناس به، وعدم سَمَاعِ أيِّ أمرٍ مُتَعَلِّقٍ بشَخْصيَّته وبصفاته وبدُنُوِّ زمانه وبوقْت خُروجه في الأرض، بـل يتعدى هذا المعنى الظاهر إلى معان كثيرة من الممكن أن يصل إليها الإنسـان بالتأمُّل، فَمَعَ مَوْت ذكْـره يكونُ مَوْتُ طريقته وهدايته وأخلاقـه في المجتمعات البشريَّة، ويكونُ موتُ كلِّ مـا لَهُ عَلاقَةٌ بخَيْريَّته المتدفِّقَة منْ ينابيع رَحَمات الإسـلام المحمديِّ المهجور وسلامه وعدالَته وإحقاقه للحقِّ ونُصْرَته للمَظْلومين.

فخروج المهديِّ يكون حتميًّا عندما تحكمُ البشرَ شريعةُ الغاب، فيأكلُ القويُّ الضعيـفَ، ويَنْهَبُ المتجبِّرُ الذليلَ، ويعتدي الظَّلَمَةُ المسـتكبرونَ على الإنسـان، فَيَعيثونَ فَسـادًا، ويلهثون خلفَ القُوَّة والمال والاستحواذ على ثـروات العالم بالقهـر والقتل والدِّمـاء والإبـادة الجماعية للأطفال والنساء والشيوخ والرجال، بل لو كان الإفناء هو الطريقة الوحيدة للوصول إلى أهدافهم الدنيئة.

إلَّا أنَّ هذا الخروجَ المسـبوقَ بفساد لا مثيلَ له في الأرض، لا يستطيعُ البـشرُ تحديدَه وضَبْطَه والجزمَ بميقاته، إذْ ليسَ ذلكَ منَ اختصاصهم لأنَّه من علامات السَّاعة التي تَفَرَّدَ الحقُّ بها، لكنَّ الشيءَ الذي يقدرُون عليه بل يتوجَّبُ عليهم القيامُ به هو إحياءُ ذكره وأخلاقه ودين جَدِّه، وتَتَبُّعُ علامات ظُهوره، والاسـتعدادُ لهذا الظهور بالإصـلاح والعملِ الصالح ونشر الخير والمحبَّـة بينَ الناس، وإعادةُ تأهيلِ المجتمعات الإنسـانيَّة بالفضائل التي

تُخَوِّلُهُم استقبالَ إمامِ الحقِّ والهُدى الذي يكونُ مَنْجاةً لَهُمْ ومُصْلِحًا لشؤونِهم في كلِّ جانبٍ من جوانبِ الحياة.

## المَبْحَثُ الثَّاني:
## المَهْدِيُّ وَالأَمَلُ المَوْعُود

قال النبي ﷺ: «الأملُ رحمةٌ لأمتي، ولولا الأملُ ما أَرْضَعَتْ والدةٌ وَلَدَها، ولا غَرَسَ غارسٌ شَجَرا»[1].

وقال الإمام علي عليه السلام: «الأملُ رفيقٌ مُؤْنِسٌ»[2].

ما من قضيَّةٍ من القضايا التي يسعى المرءُ للوصولِ إليها وتحقيقها إلا ومبدؤُها الأملُ، فعندما يؤمن الإنسانُ بالأملِ الذي يُراوِدُه فإنَّه يَبْذُلُ كلَّ طاقاته وإمكاناته العمليةِ في سبيلِ تحقيقِ أمله الذي هو حُلْمه السعيد، وهنا يحلو البذل ويحلو العمل مهما كانَ شاقًّا؛ لكنَّ تحقيق الأحلام يتطلَّب إلى جانبِ العملِ التؤدةَ وعدمَ العجلةِ وانتظارَ الأوقات المناسبة وتحيُّنَ الفرص.

فالأملُ مع العملِ، ثُمَّ الانتظار الإيجابي الذي ترافقه المراقبة الدائمة

---

١ - محمد باقر المجلسي: بحار الانوار، ج١، ص١٧٤.

٢ - عبد الحميد بن هبة الله ابن أبي الحديد؛ شرح نهج البلاغة، ص: ٥٥.

منظومةٌ تحقِّق الفرج على كل صعيدٍ يسعى الإنسان إليه، وهذا هو الهدف الأسمى الذي يتمناه العباد.

هذا الأمل الإيجابي من شأنه أن يصلح عملَ صاحبه ويرفعه ويجعل له قيمةً كبيرةً مؤثرةً في الحياة، وذلك بخلاف الأمل السلبيّ الذي «يمنع خير العمل»، فيُبعد صاحبه عن عمل الخير، ولا يقدِّمُ لنفسه وللآخرين ما فيه نفعٌ، بل «يُفْسِدُ العمل ويُنْسِي الأجل» إذ يمارس صاحبُه كلَّ سوءٍ وظلم وهو غارق في ظلمات الحياة ناسيا الأجل الذي ينتظره.

هذا هو الأملُ الذي عبَّرت عنه الروايات النبوية تعبيراً يصل بصاحبه إلى قمَّة العبادة إذ «أَفْضَلُ العِبَادَةِ انْتِظَارُ الفَرَجِ»[1].

إنَّه إذًا أمل بشريٌّ يسير بصاحبه إلى الغايات المنشودة بسلام، فبالأمل أصبحت أحلامُ البشرية حقيقةً حتى سابق الإنسانُ الطَّير وقطع المسافات الطويلة جاعلاً حتى الريح خلفه.

وإذا كان الأملُ البشريُّ قد بلغ حدًّا بعيدًا لم يكن الإنسانُ ليَتَوَقَّعَهُ أو يتخيَّلَ تَحَقُّقَهُ، فكيفَ بالأملِ الإلهيِّ الذي وضعه الله تعالى في أرضه فجعله منقذًا لهم ومُصلحًا جميع أمورهم الاجتماعية والاقتصادية والتربويَّة والدينيَّة والسياسيَّة، بحيثُ يملأ هذا الأملُ الإيجابيُّ الدنيا قسطًا وعدلاً وإنسانيَّةً ورحمةً بعد أن ملأتها الآمالُ السلبيَّة والاستعماريَّة والنفعيَّة

---

١ - محمد بن عيسى الترمذي: سنن الترمذي، ج٥، ص٥٦٥، ح٣٥٧١.

والإجراميَّـة الحاقـدة ظلمًا وجَورًا وحسـدًا وقتلاً وسـفكًا للدمـاء البريئة وجرائم يَنـدى لها جبينُ البشريَّة وقوانين تدعم القتلةَ والسـفَّاحين وتُلقي بالأئمة على الأبرياء من أطفالٍ ونسـاءٍ وشـيوخٍ وشـبان أبَوْا أن يستسلموا للمحتلِّين والظالمين والعابثين بالإنسانية وبشعارات حقوق الإنسان؛ وها نحـنُ، نعيش القرنَ الحادي والعشرين الذي أتخمتنا الدول الغربية بمبادئه التحرريَّـة التي لم تكن غيرَ نارٍ ملتهبـة يصبُّ العالم الغربي جمرها ولهبها على الشـعوب المسـتضعَفَة لِيُحْرِقَ أخضرَها ويابسَـها ثـمَّ يَدْخُلُها مُدَّعِيًا حماية من تبقى فيها من حيوانٍ أو إنسان؛ هذا إن وُجِدَ للإنسان مكانٌ فيها.

إنَّ المهـديَّ هـو الأمـلُ الموعودُ، وهـو الحاكم الإلهي الـذي يَخرجُ مُصْلِحًـا على مسـتوى الدنيا، ولأنَّ انتماءه للحق، وهـو مَظْهَرُ الحقّ، فإنَّ الإنكارَ لوجوده والتشكيكَ به لا يكون إلا على مستوى إنكارِ الرسالة التي يحملهـا، والحقيقةِ التي يخرج بها، والإلهِ الحقِّ الذي اختاره لهذه المهمَّة الصعيبـة العظيمة؛ وهـذا أمرٌ طبيعيٌّ في بني البشر منـذ أن برأَ اللهُ الخلق وبعث فيهم الأنبياء والمرسـلين، وكانت الرسـائلُ تأتيهـم من الله الخالق الكبيرِ المتعال، إلَّا أنَّهم كانوا يزدادون عنادًا وإصرارًا على الاستمرار بِغَيِّهم وظُلمِهـم وطغيانِهـم، فيتعاظمون ويسـتكبرون على قَدْرِ عظمة الرسـالة وصاحبِها ومرسِلِها؛ وكم حدَّث التاريخُ عن مراتب من الإنكارِ والاستكبارِ وصلت بطغاة الأرض إلى سـفك دماء الأنبياء والمؤمنين وأبنائهم الصغار بأبشـع الطرق التي يمكن أن يتخيلها عقلُ عاقلٍ؛ وليست سورة البروج عنَّا

ببعيـدة، إذ تخبرنا عن نمَوذجٍ من هـذه النماذج المجرمة المتجبرة التي لم تتحمـلْ أن تقرأ فكرًا غير فكرِها، ولا أن تسـمعَ صوتًـا غير صوتِها، بل لم تتخيل أن يقاسِـمَها بَشَرِيٌّ مُلْكَهَا وسـلطانَها الذي سَـطَتْ به على العباد، واسْـترِقاقَها الممالِكَ والبشر الذين حَكَمَتْهم وجَعَلَتْ منهم عبيدًا مربوبين لها بصفتها آلهة عليهم.

## المَبْحَثُ الثَّالِثُ:
## التَّشْكِيكُ بِالمَهْدِيِّ وَبِالغَدِيرِ وَالمَحَطَّات التَّأْسِيسِيَّة

لا عجب إذا كان التشـكيك بالحقيقة المهدويَّة على مستوى التشكيك بوجودِ الله تعالى، وهذا أمرٌ طبيعيٌّ يلجأ إليه الجبابرة والفراعنة مُسْـتَخِفِّينَ أقوامَهم اسـتخفافًا يُحيـل الأكاذيبَ حقيقة، والاسـتعبادَ حرية، والجرائم رحمة، والتدنيس عِفَّةً، وقَتْـلَ الأبرياء والتطهير العرقي من حق المجرمين المحتلين -بحجة الدفاع عن أنفسهم ومجازرهم- سلامًا!

ثمَّ إنَّ التشـكيك بـكل الحقائق اليـوم ينتشر على أوسـع نطاق تحت شـعارات التحرر والعقلانيَّة والتقدميَّة، وذلك على غِرار كل العصور التي بُعث فيها الأنبياء والمرسلون فلم يلاقوا من أقوامهم غير التكذيب والصد. وإذا لم يهـزأ بالحقيقـة المهدويَّة المجرمون والمنحرفـون والأدعياء -عبر

وسائل الإعلام التي يحركونها- فهذا يعني أنَّ خللاً قد طرأ، إذ من الطبيعي بل من موجبات الظهور إنكار الحق الظاهر بأمر الله تعالى، وذلك إمعانًا وتحديًّا واسترسالاً واستمساكًا بعقيدة الظلم والجَور والقوانين المجرمة التي ينادي أصحابُها بحريةِ الشعوبِ والسلامِ والأمنِ، وهم يمارسون كلَّ نوعٍ من أنواع القتل والجور والانحراف.

لقد بعث الله تعالى نبيه الخاتَم، الذي كان أهل الكتاب ينتظرون ولادته وظهوره، لكنَّهم عندما رأوه أمام أعينهم وأدركوا أنَّه هو النبي المنتظر كفروا به وتآمروا عليه منذ ولادته.

أخرج الحاكم عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: « كَانَ يَهُودِيٌّ قَدْ سَكَنَ مَكَّةَ يَتَّجِرُ بِهَا، فَلَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي مَجْلِسٍ مِنْ قُرَيْشٍ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، هَلْ وُلِدَ فِيكُمُ اللَّيْلَةَ مَوْلُودٌ؟ فَقَالُوا: وَاللَّهِ مَا نَعْلَمُهُ.

قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ!! أَمَا إِذَا أَخْطَأَكُمْ فَلاَ بَأْسَ، فَانْظُرُوا وَاحْفَظُوا مَا أَقُولُ لَكُمْ: وُلِدَ هَذه اللَّيْلَةَ نَبِيُّ هَذِه الأُمَّة الأَخيرة، بَيْنَ كَتِفَيْه عَلاَمَةٌ فِيهَا شَعَرَاتٌ مُتَوَاتِرَاتٌ كَأَنَّهُنَّ عُرْفُ فَرَسٍ... فَتَصَدَّعَ الْقَوْمُ مِنْ مَجْلِسِهِمْ وَهُمْ مُتَعَجِّبُونَ مِنْ قَوْلِه وَحَدِيثِه.

فَلَمَّا صَارُوا إِلَى مَنَازِلِهِمْ أَخْبَرَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ أَهْلَهُ فَقَالُوا: قَدْ وُلِدَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ غُلاَمٌ سَمَّوْهُ مُحَمَّدًا.

فَالْتَقَى الْقَوْمُ فَقَالُوا: هَلْ سَمِعْتُمْ حَدِيثَ الْيَهُودِيِّ، وَهَلْ بَلَغَكُمْ مَوْلِدُ

هَذَا الْغُلَام؟

فَانْطَلَقُوا حَتَّى جَاءُوا الْيَهُودِيَّ فَأَخْبَرُوهُ الْخَبَرَ.

قَالَ: فَاذْهَبُوا مَعِي حَتَّى أَنْظُرَ إِلَيْهِ. فَخَرَجُوا حَتَّى أَدْخَلُوهُ عَلَى آمِنَةَ فَقَالَ: أَخْرِجِي إِلَيْنَا ابْنَكِ فَأَخْرَجَتْهُ، وَكَشَفُوا لَهُ عَنْ ظَهْرِهِ فَرَأَى تِلْكَ الشَّامَةَ فَوَقَعَ الْيَهُودِيُّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ.

فَلَمَّا أَفَاقَ قَالُوا: وَيْلَكَ مَا لَكَ؟ قَالَ: ذَهَبَتْ وَاللَّهِ النُّبُوَّةُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ. فَرُحْتُمْ بِهِ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ؟! أَمَا وَاللَّهِ لَيَسْطُوَنَّ بِكُمْ سَطْوَةً يَخْرُجُ خَبَرُهَا مِنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ...»[1].

هكذا كان حالُ أحبارِ اليهودِ، لا بل إنَّ معظمَ رجالات الدين عندهم قاموا بإخفاء الوثائق المتعلقة بعلامات نُبوته، ومع ذلك ظهر أمرُ النبيِّ رغم كل محاولات الإخفاء والحذف والتحريف؛ فها هو عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ يعلن إسلامه أمام النبي ويقول: «أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنَّكَ جِئْتَ بِحَقٍّ، وَقَدْ عَلِمَتْ يَهُودُ أَنِّي سَيِّدُهُمْ وَابْنُ سَيِّدِهِمْ، وَأَعْلَمُهُمْ وَابْنُ أَعْلَمِهِمْ، فَادْعُهُمْ فَاسْأَلْهُمْ عَنِّي قَبْلَ أَنْ يَعْلَمُوا أَنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ، فَإِنَّهُمْ إِنْ يَعْلَمُوا أَنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ قَالُوا فِيَّ مَا لَيْسَ فِيَّ.

فَأَرْسَلَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَقْبَلُوا فَدَخَلُوا عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُمْ

---

١ - محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، ج٢، ص٦٥٧، ح٤١٧٧.

رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا مَعْشَرَ اليَهُود، وَيْلَكُمْ، اتَّقُوا اللَّهَ، فَوَاللَّه الَّذي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ، إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّه حَقًّا، وَأَنِّي جِئْتُكُمْ بِحَقٍّ، فَأَسْلِمُوا». قَالُوا: مَا نَعْلَمُهُ، قَالُوا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَهَا ثَلاَثَ مِرَار.

قَالَ: 'فَأَيُّ رَجُلٍ فِيكُمْ عَبْدُ اللَّه بْنُ سَلاَمٍ؟' قَالُوا: ذَاكَ سَيِّدُنَا وَابْنُ سَيِّدِنَا، وَأَعْلَمُنَا وَابْنُ أَعْلَمِنَا.

قَالَ: 'أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ؟' قَالُوا: حَاشَى لِلَّه مَا كَانَ لِيُسْلِمَ.

قَالَ: 'أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ؟' قَالُوا: حَاشَى لِلَّه مَا كَانَ لِيُسْلِمَ.

قَالَ: 'أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ؟' قَالُوا: حَاشَى لِلَّه مَا كَانَ لِيُسْلِمَ.

قَالَ: 'يَا ابْنَ سَلاَمٍ اخْرُجْ عَلَيْهِمْ'، فَخَرَجَ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ اليَهُود اتَّقُوا اللَّهَ، فَوَاللَّه الَّذي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ، إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّه، وَأَنَّهُ جَاءَ بِحَقٍّ، فَقَالُوا: كَذَبْتَ.

فَأَخْرَجَهُمْ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[1].

هذا كان حالُ اليهود مع دعوة النَّبيّ الأعظم الذي عرفوا مكانته ونُبوَّتَه لكنَّهم لم يؤمنوا به عناداً وحسَدًا. وتعاونوا مع المشركين وعبدة الأصنام ضد الرسالة المحمدية، واتحدوا معهم اتحاداً كاملاً فقاتلوه وخانوا عهودهم ومواثيقهم التي واثقوه عليها. إلاَّ أنَّ خيانتهم وأكاذيبهم وألاعيبهم

١ - محمد بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري، ج٥، ص٦٣، ح٣٩١١.

لم تُثْنِ النبيَّ عن تبليغ دعوةِ ربه، فبلَّغ رسالة الله وأظهر الله دعوة نبيّه على اليهود، وفضح أمرهم وشتت جمعهم، وكان تعامل النبي معهم رغم كل ما فعلوه مزدانًا بالرحمة والإنسانية التي لم يعرفوا لها وجهًا.

ثُمَّ كانت محنة النبي مع قومه، إذ أجمع أهلُ السِّيَرِ والأخبار والتفسير فيما تواتر من روايات أنَّ النَّبي جمع الناس -عندما اقترب انتقاله إلى الرفيق الأعلى بعد حجة الوداع عند غدير خم- معلنًا أنَّ «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه»، فما كان من القوم إلا أن أقرُّوا ظاهرًا بألسنتهم ثم سرعان ما أنكروا بيعة الغدير وعهده ساعة انتقل إلى الرفيق الأعلى، لتصيرَ الخلافةُ عندهم قضيَّةً سياسيَّةً لا علاقة لها بالدين وبالرسالة وبالنبي المرسل الذي أمرهم بالتزام منهاج (عليّ) حاكما وإماما وخليفة للرسول ومحصِّنًا للرسالة.

وهنا مَكمَنُ العقدةِ، إذ إنَّ النَّبي هو الذي أخبر عن الأئمة بعده عددًا وصفات، أمَّا العدد فبحسب ما جاء في الروايات فهو اثنا عشر كما جاء في الروايات: «إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَا يَنْقَضِي حَتَّى يَمْضِيَ فِيهِم اثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْش»[1].

فمِنْ أي قريش سيكون هؤلاء الخلفاء؟ هل سيكونون إلا من علية قريش وخيرة قريش وصفوة قريش كما كان النبي الأعظم كذلك؟

---

١ - مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري؛ صحيح مسلم؛ج٣، ص١٤٥٢، ح٥.

وهـذا يعني أنهم لن يكونوا إلا من بَني هاشـم ومـن ذوي قربى النبي الأعظم ﷺ الذين أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا؛ والنبي هو الذي بيَّن لأمته أنَّ خلفاءه يكونون على مستوى عال من الفكر والصدق والأمانة والصلاح والإخلاص والرفعة، لا بل العصمة، ولذلك أمرنا باتباعهم قائلاً: «فعليكم بسـنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ»[1].

لقد حدَّد النبيُّ طبيعةَ هؤلاء الخلفاء وصفاتهم التي تميزهم عن غيرهم تمييزًا لا إشكال بعده، فهم مهديُّون؛ كلُّهم مهدِيٌّ من مَهْدِي؛ إلَّا أنَّ العدالةَ بـكل صورها وأبعادها لا تتحقَّق إلا على يـدِ خليفةِ الله المهديّ الذي هو ختام المهديِّين والأوصياء جميعهم.

وإذا كان الله سبحانه قد أرسل نبيه محمدًا ﷺ فختم به الرسالات، إلا أنَّه كَكُلِّ الأنبياءِ الذين كان لهم أوصياء يقومون بالمهام المحددة لهم على أكمـل وجْه وأحسـنه، والأوصياء الذين هم الخلفاء الراشـدون المهديون من بعـده والْمُعَيَّنون بأمرِ اللـه تعالى، والذين كان أوَّلَهـم (عليٌّ) وآخرَهم

١ - أحمـد بن محمد الشـيباني ابـن حنبل: مسـند الإمام أحمد بـن حنبل، ج٢٨، ص٣٧٣، ح١٧١٤٤. أبو داود سـليمان بن الأشعث: سنن أبي داود، ج٤، ص٢٠٠، ح٤٦٠٧. محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه: سنن أبن ماجه، ج١، ص.ص.٢٨-٢٩. سليمان بن أحمد الطبراني: المعجم الكبير؛ ج١٨، ص٢٤٥، ح٦١٧. أحمد بن عمرو البزار: مسند البزار، ج١٠، ص١٣٧، ح٤٢٠١.

(المهديُّ)، هؤلاء الخلفاء جميعُهم مَعَ عُلُوِّ قَدْرِهِم وشأنِهم ومكانَتِهِمْ عِنْدَ الله تعالى، إلا أنَّ قريشًا رفضت الإذعانَ لهم واتباعَ سُنَنِهِمْ، ولقد أخبرَ النبيُّ عنْ مُخالَفَتِهِمْ؛ كما أشارَ القرآنُ إلى ذلك أيضًا.

ولو كانَتْ قريش سَتَتْبَعُ الخلفاءَ الذينَ أَمَرَ النبيُّ باتِّباعِهِمْ -لا الخلفاءَ الذينَ صَنَعَتْهُمْ- لما أخبرَ النبيُّ عن خروج المهدي المنتظر، الذي هو رجل من ذُرِّيَّتِه، هو خِتامُ خلفائه الذي سَتَتَحَقَّقُ العدالةُ على يَدَيْهِ في آخرِ الزَّمان.

وبما أنَّ أوَّل الخلفاء كان الإمامَ عليًّا بنصّ وحي السماء، فإنَّ البيعةَ الأولى للخليفة الأول سوف تُنْتَهَكُ حرمتُها ليكون نقضُها نقضًا للتأسيس الأوَّل وصِناعةً للخلاف القائم على رفض الإسلام المحمديِّ؛ ونقضُ التأسيس هذا يتبع ما بعده على طريق الانحراف والضلال؛ أمَّا الالتزام بالبيعة فهو الذي يؤسِّسُ للمنهج الرباني الذي يُوَطِّئُ للظهور إلى أن يتحقق وعد الله تعالى بخروج قائم آل البيتِ.

# الفَصْلُ الثَّانِي:
# إِعْلَانُ وِلَايَةِ (الإِمَام عَلِيّ) عِنْدَ غَدِيرِ خُم

## المَبْحَثُ الأَوَّلُ:
## المَهْدِيُّ وَالتَّأْسِيس لِلْوِلَايَةِ

إذا كانــت العدالةُ الحقيقيَّةُ بكل صُورها وأبعادها لا تتحقق إلَّا على يدِ خليفة الله المهديِّ الذي هو ختام المهديِّين والأوصياء جميعِهم؛ فمن أين لنــا أن نعرف أول هؤلاء الخلفاء المهديين؟ وهل عــرَّف النبيُّ أتباعَه على خلفائه الراشدين الذين أوجب اتباعَهم واتباعَ سننهم؟

العقــل والمنطق والواقع يقــضي بأنَّ النَّبي قد بيَّن للنــاس الطريق لئلا يختلفــوا، لذا حدَّث القرآنُ عن مخالفة الذين أوتوا الكتاب، وعن كتمانهم الحق وعدم تحمل المســؤوليةِ التــي حمَّلهم الله تعالى إياها فاســتحقوا بذلــك الذمَّ بما جنوه، فقال في ذلك: ﴿**وَإِذْ أَخَــذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ**﴾ [آل عمران؛ الآية ١٨٧]

هنا نطرح سؤالاً مهمًّا وخطيراً:

هــل يمكن أن يتركَ النبيُّ الأعظم هــذه الأمة هملاً من دون أن يبين لها خلفاءه الراشــدين الذين أوجب عــلى المجتمع المســلم اتباعهم، واتباع

سننهم والتزام هديهم والعضَّ على هذه السنن بالنواجذ؟!

إنَّ مثل هذا الزعم يقضي بأن يكون مَثَلُ النَّبيِّ كَمَثَلِ عموم أهل الكتاب الذين أُمروا بتبيين الكتاب للنَّاس لكنَّهم لم يفعلوا؛ حاشاه!!!

كما أنَّ هذا الزعمَ ينسفُ ما نطق به كتابُ الله المبين الذي أخبر أنَّ الله تعالى إنَّما أرسل نبيَّه ليُبيِّنَ للناس ما نُزِّل إليهم:

- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة النحل؛ الآية ٤٣-٤٤]
- ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل؛ الآية ٦٤]

فهل بَيَّنَ النبيُّ للناسِ ما نُزِّل إليهم؟

إذا كان النبيُّ قد بَيَّنَ للناس ما نُزِّلَ إليهم فهذا يعني أنَّه قد أطاع ربَّه وفعل ما أمره الله تعالى به ولم يخالف أمره طرفة عين، وهذا يلائم طبيعةَ الرسول وعصمته ومكانته.

أمَّا إذا ظننا ولو للحظة واحدة أنَّ النبيَّ قد ترك أمر ربه هملاً، ولم يبيِّن للنَّاسِ ما نُزِّلَ إليهم فهذا يعني أنَّ الرسول الخاتم قد عصى أمر مولاه -حاشاه- كما فعل عموم الذين أوتوا الكتاب، وأنَّ الشريعة لم تُبَلَّغْ، وأنَّ الهدفَ لم يتحقق من الرسالةِ وبعثةِ الرسول. هنا يتأكَّدُ لنا أنَّ الغديرَ كان

اللَبِنَـةَ الأولى على طريـق البناء الرسـالي ثقافيًّا وفكريًّـا وعقائديًّا، حيث أعلن النبيُّ للنـاس ولاية (عليٍّ) عليهم، بل جعل ولاية (عليٍّ) على الناس كولايته هو النبي الخاتم عليهم، لذا أعلنها صريحةً "مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ، فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ..."[1].

وإذا انضـاف إلى هذه الروايات المتواترة ما جاء في سـبب نزول آيات من كتـاب الله بهذا الخصوص نجـد التطابقَ الكاملَ مـع ما صح وتواتر من الأخبار؛ لكننا سنسـتمدُ هذه الأدلةَ من آخر الآيات نزولاً، مع الإشـارة إلى أنَّ هـذه الآيات مدرجةٌ في سـورة المائدة؛ ولو دققنـا النظرَ في مطلع هذه السـورة ثم قمنا بدراسـة علميةٍ تحدد السبب الذي من أجله أمر النبيُّ بإدراج هذه الآيات في سـورة المائدة[2] لأدركنا أنَّ اختيار سورة المائدة لم يكـن إلا اختيارًا من قِبـل الوحي. فلماذا يتم إدراج آيـاتِ الولاية وإكمال الدين وإتمام النعمة وتحديد الولي في سـورة بدأت بالأمر بالوفاء بالعقود مـع أنَّ الأحكامَ التـي جاءت بعد هذا الأمر كانت تتحـدث عمَّا أحل الله تعالى من بهيمة الأنعام؟ أيكون الوفاء بالعقود له علاقة بما أحل الله تعالى

---

١ - أحمد بن محمد الشيباني ابن حنبل: مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج٥، ص٣٥٠.

٢ - قَـالَ ابْنُ الْحَصَّار: «تَرْتِيبُ السُّـوَرِ وَوَضْعُ الْآيَاتِ مَوَاضِعَهَـا إِنَّمَا كَانَ بِالْوَحْيِ، كَانَ رَسُولُ اللَّه (ص) يَقُولُ: ضَعُوا آيَةَ كَذَا فِي مَوْضِعِ كَذَا، وَقَدْ حَصَلَ الْيَقِينُ مِنَ النَّقْلِ الْمُتَوَاتِـرِ بِهَـذَا التَّرْتِيبِ مِنْ تِلَاوَةِ رَسُـولِ اللَّه (ص) وَمِمَّا أَجْمَـعَ الصَّحَابَةُ عَلَى وَضْعِهِ هَكَذَا فِي الْمُصْحَفِ». ابن مناع القطان: مباحث في علوم القرآن، ج١، ص١٣٣.

وما حرم من أطعمة، أم أنَّ العقود التي ذُكِرَتْ في مطلع السورة تُوَجِّهُ إلى ما سَتَتَضَمَّنُهُ السورة من عقود وعهود ومواثيق فيها صلاح الأمةِ وبقاؤها وضمان وجودها وصلاحها؟!

إنَّ الالتزام بما أباح الله تعالى والابتعاد عما حرَّم، إنَّما يندرج تحت عنوان الطاعة لله تعالى ولرسوله، كما أنَّ الوقوع فيما حرَّم، إنَّما يندرج تحت عنوان المعصية لله تعالى ولرسوله، فلماذا بدأت السورة بالوفاء بالعقود؟!

عندما نقرأ السورة من أوَّلها إلى آخرها ندرك أنَّ القضيةَ لها علاقة بمضامين السورة وآخر الآيات القرآنية نزولاً فيها، إذ إنَّ إكمال الدين وإتمام النعمة والإخبار العام عن الدين الذي ارتضاه الله تعالى لعباده والولي الذي اختاره وأمر نبيه بإعلانه أمام ملأ عظيم من المسلمين الذين حجوا مع نبيهم وأخذوا عنه مناسكهم، راضين مؤمنين متطهرين من ذنوبهم، كل ذلك يشير إلى طبيعة العقود الإلهية العظمى التي ألزم الله تعالى المؤمنين بها.

من هذه الآيات التي وردت في سورة المائدة والتي تدلل على الخليفة النائب عن النبي متطابقة مع الروايات الحديثية المتواترة:

**أَوَّلًا:** ما جاء في سبب نزول قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**﴾[سورة المائدة؛ الآية: ٦٧].

- فعَـن مُجَاهِد قَالَ: «لما نزلت ﴿**بلـغ مَا أنزل إِلَيْك من رَبك**﴾ قَالَ: يـا رب إِنمَّا أَنا وَاحِـدٌ، كَيفَ أصنع ليجتمـع عليّ النَّاس، فَنزلت ﴿**وَإِن لم تفعل فَمَا بلغت رسَالَته**﴾»[١].
- وَعَن أبي سعيد الْخُدْرِيّ قَالَ: «نزلت هَذه الْآيَة ﴿**يَا أَيهَا الرَّسُول بلـغ مَا أنزل إِلَيْك من رَبك**﴾ على رَسُـول الله ﷺ يَوْم غَدِير خم فِي عَليّ بن أبي طَالب»[٢].
- وعَن ابْن مَسْعُود قَالَ: «كُنَّا نَقْرَأ على عهد رَسُول الله ﷺ ﴿**يَا أَيهَا الرَّسُـول بلغ مَا أنزل إِلَيْك من رَبك**﴾ أَنَّ عليًّا مولى الْمُؤمنِينَ {وَإِن لم تفعل فَمَا بلغت رسَالَته وَالله يَعْصِمك من النَّاس}»[٣].

سـبب النزول واضح التطابق مع النصـوص المتواترة، ولقد واجه النبـيُّ الناس يوم بلَّغهم أمرَ اللـه تعالى، ذكر المفسِّرون في معنى قول الله تعالى: «﴿**سَـأَلَ سـائِلٌ بِعَذابٍ واقِعٍ * لِلْكافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دافِعٌ**﴾ [سـورة المعارج؛ الآية ١-٢]، إِنَّ السَّـائِلَ هُنَا هُوَ الْحَارِثُ بْنُ النُّعْمَان الْفِهْـرِيُّ. وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا بَلَغَهُ قَـوْلُ النَّبِيِّ ﷺ فِي عَلِيٍّ: ‘مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَـوْلَاهُ’، رَكِبَ نَاقَتَهُ، فَجَـاءَ حَتَّى أَنَاخَ رَاحِلَتَـهُ بِالْأَبْطَحِ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَمَرْتَنَا عَنِ اللَّهِ أَنْ نشـهد أن لا إله إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّكَ رَسُـولُ اللَّهِ

١ - عبد الرحمن السيوطي: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج٣، ص١١٧.
٢ - عبد الرحمن السيوطي: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج٣، ص١١٧.
٣ - عبد الرحمن السيوطي: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج٣، ص١١٧.

فَقَبِلْنَاهُ منْكَ، وَأَنْ نُصَلِّيَ خَمْسًا فَقَبِلْنَاهُ منْكَ، وَنُزكيَ أَمْوَالَنَا فَقَبِلْنَاهُ منْكَ، وَأَنَّ نَصُومَ شَهْرَ رَمَضَانَ في كُلِّ عَامٍ فَقَبِلْنَاهُ منْكَ، وَأَنْ نَحُجَّ فَقَبِلْنَاهُ منْكَ، ثُمَّ لَمْ تَرْضَ بِهَذَا حَتَّى فَضَّلْتَ ابن عمك علينا؛ أفهذا شيء منْكَ أَمْ منَ اللَّه؟!

فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: 'وَاللَّه الَّذي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ مَا هُوَ إِلاَّ منَ اللَّه'.

فَوَلَّى الْحَارثُ وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ مَا يَقُولُ مُحَمَّدٌ حَقًّا فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حجَارَةً منَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ؛ فَوَاللَّه مَا وَصَلَ إِلَى نَاقَته حَتَّى رَمَاهُ اللَّهُ بِحَجَرٍ فَوَقَعَ عَلَى دِمَاغِه، فَخَرَجَ منْ دُبُرِه فَقَتَلَهُ، فَنَزَلَتْ: ﴿**سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ**﴾» [سورة المعارج؛ الآية ١][1].

**ثَانيًا:** ما جاء في سبب نزول قوله تعالى: ﴿**اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**﴾ [سورة المائدة؛ الآية: ٣].

ذكر الآيات من دون ربطها بالواقعة التي نزلت فيها تفقدُنا معرفةَ الهدفِ منْ نزول الآيات؛ ومعلومٌ أنَّ القرآنَ نزل منجَّمًا على رسول الله، حيث كانت الآيات تنزل تباعًا بعد كل حدث أو قبله؛ ومتى وقعنا على أسبابٍ واضحةٍ لنزول الآيات ووجدنا الروابط الكبيرة بينها وبين الروايات

---

١ -محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي؛ تفسير القرطبي؛، ج١٨، ص٢٧٨.

المتواترة ذات العلاقة بقضية التأسيس الأول، فإنَّ الخلافَ حول هذه القضية الكبرى لن يكون أبدًا؛ لكنَّنا متى قطعنا أوصال الروايات ولم نبحث عن القواسم المشتركة بينها وبين الآيات وأسباب نزولها فقدنا الهدف العلمي والعملي والتطبيقي من القرآن ورددناه كالببغاوات من دون الاستفادة الحقيقية من معارفه وبلا تدبر؛ مع أنَّ مُنزل الكتاب المبين هو الذي وجَّه إلى ضرورة تدبر القرآن فقال سبحانه: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾[سورة محمد؛ الآية: ٢٤]. ومن هذه الآيات التي يذكر المفسرون سببَ نزولها في واقعةِ الغديرِ وبيعة الإمام علي:

عن الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: «كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَنَزَلْنَا بِغَدِيرِ خُمٍّ، فَنُودِيَ فِينَا: الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ، وَكُسِحَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَحْتَ شَجَرَتَيْنِ، فَصَلَّى الظُّهْرَ وَأَخَذَ بِيَدِ عَلِيٍّ عليه السلام.

فَقَالَ: «أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ؟

قَالُوا: بَلَى.

قَالَ: أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ؟

قَالُوا: بَلَى.

قَالَ: فَأَخَذَ بِيَدِ عَلِيٍّ فَقَالَ: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ، وَأَحِبَّ مَنْ أَحَبَّهُ، وَأَبْغِضْ مَنْ أَبْغَضَه، وَأَعِنْ مَنْ أَعَانَه، وَانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ، وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ؛ قَالَ: فَلَقِيَهُ عُمَرُ بَعْدَ

ذَلِكَ فَقَالَ: هَنِيئًا يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ، أَصْبَحْتَ وَأَمْسَيْتَ مَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ»[١].

وفي أمالي الشجري: فَقَالَ عُمَرُ: «بَخٍ بَخٍ لَكَ يَابْنَ أَبِي طَالِبٍ!! أَصْبَحْتَ مَوْلَايَ وَمَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ.

فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**﴾ [المائدة: ٣]»[٢].

كما روي عن أبي سعيد الخدري قال: «لما نصب رسول الله صلى الله عليه وسلم عليًّا يومَ غديرِ خُم فنادى له بالولاية، هبط جبريل عليه بهذه الآية ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم**﴾»[٣].

وكذا حدَّث أبو هريرة قال: «لَمَّا كان يومُ غدير خمّ وهو يوم ثماني عشرَ من ذي الحجة، قال النبيُّ ﷺ: 'من كنت مولاه فعليٌّ مَولاه'. فأنزل الله ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم**﴾»[٤].

---

١ - أحمد بن محمد الشيباني ابن حنبل: مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج٣٠، ص٤٣٠، ح١٨٤٧٩. محمد بن جعفر الكتاني: نظم المتناثر في الحديث المتواتر؛ ص١٢٤.

٢ - أحمد بن محمد الشيباني ابن حنبل: فضائل الصحابة، ج٢، ص٥٩٦، ح١٠١٦. يحيى بن الحسين الشجري: ترتيب الأمالي الخميسية للشجري؛ ج١، ص٥٦، ح١٨٨. يوسف بن قزعلي البغدادي سبط ابن الجوزي: تذكرة الخواص من الأمة بذكر خصائص الأئمة، ج١، ص.ص٢٦٣-٢٦٤.

٣ - عبد الرحمن السيوطي: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج٣، ص٣٢٣.

٤ - عبد الرحمن السيوطي: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج٣، ص٣٢٣.

هـذه الآيات وما جاء في أسـباب نزولها تؤكد على التأسـيسِ الأعظمِ لخلافةِ الإمام عليٍّ للنبي وتتطابق تطابقًا كاملاً مع الروايات المتواترة.

**ثَالِثًا:** ما جاء في سـبب نزول قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُـولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِيـنَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُـولَهُ وَالَّذِيـنَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ**﴾ [سـورة المائدة؛ الآية: ٥٥- ٥٦].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «أَقْبَلَ عَبْدُ اللَّه بْنُ سَلَامٍ وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنْ قَوْمِه مِمَّنْ قَدْ آمَنُوا بِالنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالُوا: يَا رَسُـولَ اللَّه، إِنَّ مَنَازِلَنَا بَعِيدَةٌ وَلَيْسَ لَنَا مَجْلِسٌ وَلَا مُتَحَـدَّثٌ دُونَ هَذَا الْمَجْلِـسِ، وَإِنَّ قَوْمَنَا لَمَّا رَأَوْنَا آمَنَّا بِاللَّه وَبِرَسُـولِه وَصَدَّقْنَاهُ رَفَضُونَا، وَآلَوْا عَلَى أَنْفُسِـهِمْ أَنْ لَا يُجَالِسُـونَا، وَلَا يُنَاكِحُونَا، وَلَا يُكَلِّمُونَا، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْنَا.

فَقَـالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: ‘﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُـولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾ [سورة المائدة؛ الآية: ٥٥].

ثُـمَّ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ إِلَى الْمَسْـجِدِ وَالنَّاسُ بَيْنَ قَائِـمٍ وَرَاكِعٍ، وَبَصَرَ بِسَـائِلٍ، فَقَالَ لَهُ النَّبِـيُّ ﷺ: ‘هَلْ أَعْطَاكَ أَحَدٌ شَـيْئًا؟’. فَقَالَ: نَعَمْ، خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ.

فَقَـالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: ‘مَـنْ أَعْطَاكَهُ؟’، قَالَ: ذَاكَ الْقَائِـمُ، وَأَوْمَأَ بِيَدِه إِلَيَّ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ‘عَلَى أَيِّ حَالٍ أَعْطَاكَ؟’، فَقَالَ: أَعْطَانِي وَهُوَ رَاكِعٌ، فَكَبَّرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿**وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ**﴾» [سورة المائدة؛ الآية: ٥٦]، فَأَنْشَأَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ يَقُولُ فِي ذَلِكَ:

أَبَا حَسَنٍ تَفْدِيكَ نَفْسِي وَمُهْجَتِي
وَكُلُّ بَطِيءٍ فِي الْهَوَى وَمُسَارِعِ
أَيَذْهَبُ مَدْحِي وَالْمُحَبَّرُ ضَائِعًا
وَمَا الْمَدْحُ فِي جَنْبِ الْإِلَهِ بِضَائِعِ
فَأَنْتَ الَّذِي أَعْطَيْتَ إِذْ كُنْتَ رَاكِعًا
زَكَاةً فَدَتْكَ النَّفْسُ يَا خَيْرَ رَاكِعِ
فَأَنْزَلَ فِيكَ اللَّهُ خَيْرَ وِلَايَةٍ
وَبَيَّنَهَا فِي مُحْكَمَاتِ الشَّرَائِعِ[1]

من خلال هذه الروايات التي تواتر بعضُها ودلَّ بعضُها الآخر على ما دلَّت عليه الروايات المتواترة نعرف أنَّ الولاية في الإسلام قسمان: ولاية دينيَّة وولاية دنيويَّة، والوليُّ الذي يقدمه النبيُّ ليحمل من بعده أمانة الأُمَّة الإسلاميَّة، لابدَّ له من التمتع بالولاية الدينيَّة ليستطيع الحكم بين الناس نيابةً عن النبيّ كما أمر الله تعالى وكما أمر رسوله، لا بل إنَّ النبي ﷺ جعل للأولياء من بعده سُنَنًا

١ -يحيى بن الحسين الشجري:ترتيب الأمالي الخميسية للشجري؛ ج١، ص١٨١، ح٦٨٠.

أوجب على الأمَّة اتباعها والالتزام بها كما يستنّون بسنَّة نبيهم الكريم. وكما يجب أنْ يتمتَّعَ الوليُّ بالسلطة الدينيَّة، فإنَّ من باب أولى أن يتمتع بالسلطة الدنيوية ليقيم العدالةَ الحقةَ في المجتمع، وهذا ما لا نجده على وجه الكمال عند غير آلِ البيتِ الأطهار عليهم السلام، لذلك فإنَّ المهديَّ هو الذي سيقيم العدالةَ في المجتمع، وذلك بما يتمتع من ولايةٍ دينيةٍ وولايةٍ دُنيويةٍ.

ومتى اختلت زاويةٌ من زوايا هذه الولاية أو ركنٌ من أركانها كانت الولاية قاصرةً وكانت الأمَّةُ مقصرةً إلا من اتبع الوليَّ الحقَّ ولو لم يُقدِّر له الله تعالى رؤيته ولقاءه.

بعد الذي جاء به أهل اللغة، فهل للولاية التي نص عليها النبي صلى الله عليه وآله وسلم غير تقديم عليّ عليه السلام ولاسيَّما بعد إقبال المؤمنين على تهنئته ومبايعته وصيًّا وخليفةً للنبي كما قبلوا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نبيًا ورسولاً؟

ثم هل التولي عنه إلا تولٍ عن الحق الذي جاء به نبيُّ الإسلام؟

الولايةُ التي نصَّ عليها النبي لـ(علي) لم تكن غير ولاية الاتباع له والاقتداء به وتقديمه على كل شيء، وهذا المعنى لو لم تنص عليه مواد اللغة -مع أنَّها نصَّت- فإنَّه من المفاهيم الجديدة، والمدلولات الجديدة التي جاء بها الإسلام، كما هو الحال في لفظ الصلاة والصوم والزكاة والحج والعمرة وغيرها من الكلمات التي كان لها معانٍ جديدةٌ مغايرةٌ لما اصطلح عليه أهل اللغة، ثم باتت تعني في الإسلام مفاهيم جديدة لا يستطيع أحدٌ أنْ ينكرها أو أن يرفضها لأنَّها من وضع الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم إذ منحها

الإسلام أبعادًا جديدةً جَعَلَ ذِكْرَهَا مُتَعَلِّقًا بتلك المفاهيم، لذا فإنَّ المسلمَ عندما يُسأل عن الصلاة فإنه لا يتبادر إلى ذهنه إلا العبادة المفروضة خمس مرات في اليوم والليلة، والتي تبدأ بالنِّيَّةِ وتُخْتَتَمُ بالتَّسليم، مع أنَّ المعنى اللغوي للصلاة هو الدعاء، وكذلك الأمر بالنسبة للصيام الذي يعني في اللغة الامتناع والحج الذي يعني القصد. لكنَّ الإسلام عندما جاء منح هذه المفردات أبعادًا جديدة، والولاية من هذا الباب والقبيل.

عن أبي الطفيل عن زيد بن أرقم وجرير البجلي قالا: "شهدنا الموسم في حِجَّةٍ مع رسول الله ﷺ - وهي حجة الوداع - فبلغنا مكانًا يُقال له: غدير خم، فنادى: الصلاة جامعة!

فاجتمعنا: المهاجرون والأنصار، فقام رسول الله ﷺ وسطنا فقال:

أيها الناس! بم تشهدون؟ قالوا: نشهد أن لا إله إلا الله.

قال: ثمَّ مه؟ قالوا: وأنَّ محمدًا عبده ورسوله.

قال: فَمَنْ وَلِيُّكُمْ؟ قالوا: الله ورسوله مولانا.

قال: مَنْ وَلِيُّكُمْ؟ ثم ضرب بيده إلى عضد عليٍّ فأقامه، فنزع عَضُدَهُ فأخذ بذراعيه فقال:

من يكنِ الله ورسوله مولاه فإنَّ هذا مولاه؛ اللهم والِ مَنْ والاه، وعادِ مَنْ عاداه، اللهم من أحبَّه من الناس فكن له حبيبًا، ومن أبغضه فكن له مبغضًا، اللهم إنيِّ لا أجد أحدًا أستودعه في الأرض بعد العبدين الصالحين غيره، فاقض فيه بالحسنى.

قال أبو الطفيل: فقلت لزيد: سمعتَه من رسول الله ﷺ؟

قال: ما كان في الدوحات رجل إلا رآه بعينه وسمع بأذنه"[١].

وفي رواية: «أيها الناس إنيِّ تركتُ أمرين لن تَضِلُّوا إن اتبعتموهما وهما: كتاب الله وأهل بيتي عترتي.

ثمَّ قال: أتعلمون أنيِّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم - ثلاث مرات - قالوا: نعم.

فقال رسول الله ﷺ: من كنت مولاه فعلي مولاه"[٢].

وعن عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ: "إنَّ عليًّا منِّي وأنا منه، وهو وليُّ كلِّ مؤمنٍ من بعدي»[٣].

لو أنَّنا تأمَّلنا في حديث (زيد بن أرقم) و(جرير البجلي)، ثم درسنا هذا التسلسل الذي تتبَّعته الحكمة المحمَّدية، لئلا يعيش الناس حياة الضياع بعده فيتيهوا عن المنهج الحق، لو درسنا الألفاظَ النبويَّةَ وتدرُّجَها، لوصلنا

---

١ - أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النسائي؛ السنن الكبرى؛ ج٧، ص٣١٠، ح٨٠٩٢. نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي؛ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد؛ ج٩، ص١٠٦.

٢ - أحمد بن محمد الشيباني ابن حنبل: مسند الإمام أحمد بن حنبل؛ ج٣، ص٣٣٢، ح٣٠٦٢. محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري: الشريعة للآجري، ج٤، ص٢٠٢١، ح١٤٨٨.

٣ - محمد بن عيسى الترمذي؛ سنن الترمذي؛ ح٣٧١٢(٦٣٢/٥). محمد بن حبان بن أحمد التميمي ابن حبان؛ الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ج١٥، ص٣٧٤. سليمان بن أحمد الطبراني: المعجم الأوسط، ج٦، ص١٦٢، ٦٠٨٥.

إلى لُبِّ الحقيقة التي أراد رسول الله ﷺ أن يوصي بها.

لقد بدأهم السؤال: بم تشهدون؟ فقالوا: نشهد أن لا إله إلا الله.

لكنَّ هذه الشهادة ليست كافية من أجل منجاة العبد، فسألهم: ثمَّ مه؟

قالوا: وأنَّ محمداً عبده ورسوله.

ثمَّ شدَّد على مفهوم شهادة لا إله إلا الله محمد رسول الله، فسألهم: فَمَنْ وَلِيُّكُمْ؟

قالوا: الله ورسوله مولانا.

فمقتضى "لا إله إلا الله" أن يكون المؤمنُ مواليًا لله تعالى، فلا ولاء لغير الله تعالى وشريعته وأحكامه، ولا هيمنةَ في نفسه لعقيدةٍ غير عقيدةِ الإسلام، فَبدينِ الله تعالى نَخْرُجُ من ظلمات الشكِّ والشركِ، وندخل في أنوار الهدايةِ والحق.

ومقتضى "محمد رسول الله" أَنَّه لا هديَ غير الهَدْيِ المحمَّديِّ يجوزُ اتباعُه بحالٍ من الأحوال، فهديُه مُنَزَّلٌ من عند الله تعالى، وشريعته ناسخة لكل الشرائع، الولاء لمحمد يعني أنَّه هو الأُسوة الحسنة لمن كان يرجو الله تعالى واليوم الآخر. هو الأسوة لكل من آمن أنَّه لا إله إلا الله إيمانًا حقيقيًّا لا يتغير أو يتبدَّل.

وهذه الإجابة مع أنَّها صحيحةٌ، إلا أنَّها غيرُ كاملةٍ ما لم يعرف المؤمنون الخليفة الراشد للنبي، هذا الخليفةُ هو الذي يقوم بعده بأداء المهامِّ، فَيَسُنَّ لهم السنن التي أمرهم نبيُّهم باتِّباعِها إذ قال: «فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء

الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ»[1]، لذلك سألهم مرةً أخرى: مَنْ وَلِيُّكُمْ؟

ولم يكن هذا السؤال إلا ليتعرفوا إلى وليِّهم بعد النبي، هذا التدرُّج يصبغُ الولاية لعليٍّ بصبغة عقائدية متصلة بالإيمان بالله تعالى رباً، وبمحمد نبياً، لأنَّ الولاية لعليٍّ ليست اختيارًا بشريًّا، وإنَّما هي اختيار إلهي أنعم به الله تعالى على (عليّ) وعلى ذريته من بعده من دون سائر المسلمين.

وإذا كانت الولاية لله تعالى هي ولاية عونٍ وحفظٍ وتأييدٍ منه للعبد، وتولي العبد ربَّه يعني التحلِّي بأحسن الوجوه، وإذا كانت ولاية النبي هي ولاية طاعة واستجابة والتزام بما به جاء وأمر، فإنَّ ولاية المؤمن عليًّا تعني السمع والطاعة له بعد رسول الله ﷺ على أنَّه رأس الأمة، وخليفة نبيِّ الرحمة.

ولئلا يتعلَّل المتعلِّلون بعدم معرفته، ولئلا يغيِّرُ المغيِّرون، لم يكتفِ بذكر اسم علي كما اكتفى بسماع الشهادتين منهم لأنَّه لا خلاف على الشهادتين، وإنَّما الخلاف كائن على مولى المؤمنين بعد النبي ﷺ، لذا ضرب بيده إلى عضد علي عليه السلام فأقامه، فنزع عضده، فأخذ بذراعيه فقال: من يكن الله تعالى ورسوله مولاه فإنَّ هذا مولاه.

---

١ - أحمد بن محمد الشيباني ابن حنبل: مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج٢٨، ص٣٧٣، ح١٧١٤٤. محمد بن حبان بن أحمد التميمي ابن حبان: السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، ج١، ص٦..

لفت انتباه الناس من خلال الطريقة التي أقام بها عليًّا ليقول لهم: هذا ما يقبل الله تعالى به، يقبل ممن يتولى محمدًا نبيًّا ورسولاً من دون سائر الناس، وممن يتولى عليًّا من بعده وليًّا وخليفةً لرسول الله، أمَّا من لم يتولَّ عليًّا فليس ممن يتولى محمدًا وإن زعم وادَّعى.

ويشدِّد النبي ﷺ على عظيم الولاء لعلي عليه السلام، فيدعو له ولمن يتولاه ويتبع هديه بعد محمدٍ ويحبه، كما يدعو على من يحاربه ويعاديه ويكرهه فيقول: "اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه، اللهم من أحبه من الناس فكن له حبيبًا، ومن أبغضه فكن له مبغضًا».

ثم يؤكد على خلافته مشبِّها نصرته بنصرة الملائكة الأبرار الذين لا يستطيع أحد أن ينوب عن مهامهم الموكولة إليهم من قبل الله تعالى -وهما جبرائيل وميكائيل- فيقول: اللهم إنِّي لا أجد أحدًا أستودعه في الأرض بعد العبدين الصالحين غيره، فاقض فيه بالحسنى.

هذه النصوص وهذا العرض الواضح يوضح أنَّ الولاية التي عقدها النبي لعليٍّ وأمرَ المؤمنين بها ذات أبعاد جديدة لا يمكن أن تعني مجرد الحب، فهل يُصَدِّقُ عاقِلٌ أنَّ النبيَّ المرسَلَ والنبي الخاتَم المبعوث رحمة للعالمين جمع الناس ليقول لهم: أَحِبُّوا عَلِيًّا؟!

إنَّ هذا إلا منتهى السخف والضحك على العقول والاستهانة بالمواقف العظيمة التي حدَّدَت للأمَّة طريق نجاحها ونجاتها بحُسن اتباعها للولي النائب عن النبيِّ وِلايةً تامَّةً كاملةً غير ناقصةٍ حملت النبيَّ على منع المسلمين من

المغادرة إلى قبائلهم قبل معرفة خليفته الذي أراد الإعلان عنه إعلانًا عامًّا حافلاً قبل انتقاله إلى الرفيق الأعلى. لذا كان النبيُّ المرسَـلُ يؤكد على الربط الكامل بـين طاعته وطاعة الله تعالى، وبين طاعته وطاعـة علي، فعن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أطاعَني فَقَدْ أَطاعَ الله تعالى، وَمَنْ عَصاني فَقَد عصى الله تعالى، ومَنْ أطاعَ عَلِيًّا فَقَدْ أطاعني، ومَنْ عَصَى عَلِيًّا فَقَدْ عَصانِي»[1].

## المَبْحَثُ الثَّانِي:
## وِلَايَةُ عَلِيٍّ عَهْدٌ مَحْفُوظٌ لَمْ تَثْبُتْ عَلَيهِ الأُمَّةُ

وِلاية عليٍّ لم تكن غريبةً على مسامع النَّاس، وإن كان الرُواة قد حاولوا مجاراةَ السـلطات الحاكمة مُسْدلين السِّـتار على النصِّ الواضح الذي لا ارتيـابَ فيه؛ فعَنْ سَـلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ، قَالَ: "قَامَ رَسُـولُ اللـه ﷺ يَوْمًا فِينَا خَطِيبًـا، بِمَاءٍ يُدْعَى خُمًّا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَة، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْه، وَوَعَظَ وَذَكَّرَ، ثُمَّ قَالَ: 'أَمَّا بَعْدُ، أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيـبَ، وَأَنَا تَـارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللـهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ'.

---

١ - محمـد بـن عبد الله الحاكم النيسـابوري: المسـتدرك عـلى الصحيحين، ج٣ ص١٣٠، ح٤٦١٧.

فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللهِ وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَأَهْلُ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي»[1].

فهل قصد النبي في هذا الحديث إلا عين ما قصده في حديث الاعتصام بِسُنَّته وسُنَّة خلفائه الراشدين؟

وهل قرن أهل بيته بالكتاب إلا لأنَّهم خلفاؤه الذين يبيِّنون الكتاب بعده ويوضِّحون للناس ما أُشكل عليهم؟

وهل الاقتران والتلازم بين القرآن والعترة إلا لأنَّهم كتاب الله الناطق؟

الغدير -إذًا- قد أرشد إلى الخلفاء الراشدين، وأوَّلهم علي بن أبي طالب، فعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ: "كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَنَزَلْنَا بِغَدِيرِ خُمٍّ، فَنُودِيَ فِينَا: الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ، وَكُسِحَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ تَحْتَ شَجَرَتَيْنِ، فَصَلَّى الظُّهْرَ، وَأَخَذَ بِيَدِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَقَالَ: 'أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ؟' قَالُوا: بَلَى.

قَالَ: 'أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ؟' قَالُوا: بَلَى.

قَالَ: فَأَخَذَ بِيَدِ عَلِيٍّ، فَقَالَ: 'مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ، فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، اللهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ'.

قَالَ: فَلَقِيَهُ عُمَرُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ: 'هَنِيئًا يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ، أَصْبَحْتَ

---

١ - مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري: صحيح مسلم، ج٣٥، ص٢٤٠٧ و ج٤، ص١٨٧٣.

وَأَمْسَيْتَ مَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ، وَمُؤْمِنَةٍ""[١]

النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو مولاهم الذي أوجب الله تعالى عليهم التزام أمرِه لأنَّ فيه هدايتَهم وصلاحَهم "ومن كان محمدٌ مولاه فعليٌّ مولاه"

الغدير رسالةُ السماءِ إلى الأرضِ، لكنَّ الأمَّةَ لم تثبت على عهد الغدير، ولم تستطع الصمود في وجه العصبيَّات القبليَّة الجاهليَّة، ولم ترضخ لوحي السماء رضوخًا ثابتًا، وإنَّما كان رضوخها آنيا لأسباب ربما لم تكشف الروايات عنه بعد، لذا فإنَّ الاستغناء عن رسالة السماء أحلَّ بها حُكَّامًا ظُلَّامًا خالفوا أمر الله تعالى، وعاندوا إرادته، ثم توارثوا التمهيد لإقصاءِ الخلفاءِ الحقيقيين بكل الوسائل والطرق؛ ثم ما لبث الإقصاءُ والاستبعادُ أنْ تحوَّل إلى قتلٍ عمدٍ حتى استشرى القتلُ بالخلفاءِ المهديين من الذريَّة النبويَّة الطاهرة استشراءً مخيفًا، حيثُ قضى جميعُهم شهداء مقتولين في سبيل إعلاء راية الإسلام المحمَّدي. إلى أنْ كانت غيبة الإمام تلك المعجزةَ الفارقة التي تؤكد استمرار هذا المنهج الحق -عبر العصور والدهور إلى قيام الساعة- وانتصاره على كل من أقصَوْه وعاندوه ومارسوا كل لون من ألوان الجريمة بهدف طَمس نور الله تعالى؛ ومن أجل ذلك فإنَّه بالظهور تتحقق هذه الرسالة وتتجلى هيمنتُها على الأرض عدلاً ورحمةً، وتتجلى المعجزة

---

١ - أحمد بن محمد الشيباني ابن حنبل: مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج٣، ص٤٣٠، ح١٨٤٧٩.

الباهرة بعد نكران الغدير والتعامل معه بسطحيَّة وانهزاميَّة إذ جعلت قريش مِنْ ولاية محمَّد على النَّاس مجرَّد ولاية سياسيَّة يستطيعون تغييرها بعد أن أدرك كل فرد من أفراد المجتمع الإسلامي أنَّ ولاية محمد على الناس هي ولاية إلهية، دينية، تشريعية، عقائدية، سلوكية، تربوية ودنيوية بكلِّ أبعادها الاجتماعية والسياسيَّة والاقتصادية؛ إنَّها الولايةُ التي لا تنفك عن كل شأن من شؤونهم. لذا كان الغدير العتبة الأولى والأساس الأول على طريق المهدويَّة، فَمَنْ قَبِلَ به قَبِلَ بما بَعْدَهُ وبمن بعده، ومَن رَفَضَهُ أَسَّسَ للخلاف الحاصل بعده وللنتائج المخيفة التي أعقبته؛ فهل غير النبي أراد توثيق الموقف الغديري المتواتر عند النزع إذ أمرهم بإحضار الكتاب والدواة قائلا لهم: "إئتوني أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعدي"[1].

## المَبْحَثُ الثَّالِثُ: خِيَانَةُ عَهْدِ الغَدِيرِ

وخانت الأمَّةُ عهدَ نبيِّها عن سابق إصرارٍ وتصميمٍ، مع أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان قد

١ - عبد الرزاق بن همام الصنعاني: المصنف، ج٦، ص٥٧، ح٩٩٩٢. أحمد بن شعيب النسائي: السنن الكبرى، ج٣، ص٤٣٤، ح٥٨٥٤. محمد بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري، ج٦، ص٩، ح٤٤٣١.

بيَّنَ للنَّاسِ أنَّهم مهما تركوا هَدْيَهُ ونَقَضُوا عُهُودَهمْ فإنَّ طائفةً من أمَّته ستحمل لواءَه وعهده، لا تعرف التراجع حتى يُظهر الله تعالى دينه وهذه الطائفةُ ثابتة على ما عاهدت الله تعالى عليه، وفي ذلك يقول ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ»[١].

ولئن ظنَّ القارئ أنَّ الطائفة المذكورة في هذا الحديث مجهولة فإنَّ أحاديث أخرى عَرَّفت بهذه الفئة، وفسَّرت كلَّ غموضٍ ممكن أن يعتري الأفهام، فها هو عمر الذي هنَّأ الإمام بإمرة المؤمنين يروي عن حضرة النبي ﷺ قوله: «في كل خلَف من أمّتي عدولٌ من أهل بيتي ينفون عن هذا الدين تحريفَ الضالّين وانتحالَ المبطلين وتأويلَ الجاهلين، ألا وإنَّ أئمَّتكمْ وفدُكمْ إلى الله عزَّ وجلَّ، فانظروا مَنْ تُوفِدون»[٢]. ومع أنَّ النبيَّ قد وضَّح للناس الطريق والنهج والنائبينَ عنه، لكنَّه كانَ على علم تامٍّ بأنَّ الأمَّة لن تقبلَ بوصيَّته لعليٍّ سواء أكتب لهم أم لم يكتب، لذا أقامَ الحُجَّةَ عليهم، كما أَكَّدَ لِعَلِيٍّ في الوقت نفسه أنَّ الأمَّةَ سَتُخالفُ أَمْرَهُ وستغدر بالوصيِّ الذي عينه نائبًا عنه؛ لذا كان علي عليه السلام يقول: «إنَّ مِمَّا عَهِدَ إليَّ النَّبِيُّ ﷺ أنَّ الأمَّةَ سَتَغْدِرُ بي بَعْدَهُ»[٣].

---

١ - مسلم بن الحجاج النيسابوري: صحيح مسلم، ج٣، ص١٥٢٣، ح١٩٢٠ .

٢ - أحمد بن عبد الله الطبري: ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، ج١، ص١٧. سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي؛ ينابيع المودة لذوي القربى، ج١، ص٣٥٢.

٣ - إسماعيل بن عمر ابن كثير: البداية والنهاية، ج٨، ص١٦١. علي بن الحسن ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج١٤، ص٢٠٣.

وفي رواية أخرى عن حيان الأسدي قال: سمعت عليًا يقول: قال لي رسول الله ﷺ: «إنَّ الأمَّةَ سَتَغْدرُ بكَ بَعْدي، وأنتَ تَعيشُ على ملَّتي وتُقْتَلُ على سُنَّتي، مَنْ أَحَبَّكَ أَحَبَّني وَمَنْ أَبْغَضَكَ أَبْغَضَني، وإنَّ هَذِهِ سَتُخَضَّبُ مِنْ هَذا». يَعْني لِحْيَتَهُ مِنْ رَأْسِه[1].

وغَدْرُ الأمَّةِ بعليٍّ هو عينُ الغدر بالنبي المرسَل، والغدر بالنبي المرسَل هو عينُ الغدر بالربِّ المرسِل، ولقد اعترف عمر لابن عباس بأنَّ قريشًا أبت أنْ تجمعَ لبني هاشم النبوة والخلافة، فتعاقدت الأمَّةُ مع قريش ناكصةً مرتدةً على أعقابها، مؤثِرَة رضا قريش على رضا الله وأمرِه وبيانه.

يروي الطبري أنَّ (عمر) حاور (ابن عباس) في شأن الخلافة قائلاً: "يا بن عباس، أتدري ما منع قومكم منهم بعد محمد؟

قال ابن عباس: فكرهتُ أن أجيبه، فقلت: إن لم أكن أدري فأمير المؤمنين يُدريني.

فقال عمر: كرهوا أن يجمعوا لكم النبوّة والخلافة، فتبجحوا على قومكم بجحًا بجحًا (أي: تفخروا وتتباهوا فرحين)، فاختارت قريش لأنفسها فأصابت ووُفِّقت.

فقلت: يا أمير المؤمنين، إن تأذن لي في الكلام، وتُمِطْ عني الغضب

---

١ - أحمد بن الحسين البيهقي: دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، ج٦، ص٤٤٠.

تكلَّمت. فقال: تكلم يا بن عباس.

فقلت: أمّـا قولك يا أمير المؤمنين: اختارت قريش لأنفسـها فأصابت ووُفّقت، فلو أنّ قريشًا اختارت لأنفسها حيث اختار الله عزّ وجلّ لها لَكَان الصواب بيدها غير مردود ولا محسود.

وأمّـا قولك: إنّهم كرهوا أن تكون لنا النبوّة والخلافة، فإنّ الله عزّ وجلّ وصـف قومًا بالكراهيـة فقال: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَـا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ**﴾ [سورة محمد؛ الآية ٩].

فقـال عمر: هيهات والله يـا بن عباس! قد كانت تبلغني عنك أشـياء كنت أكره أن أُقرّك عليها، فتُزيل منزلتَك مني.

فقلـت: وما هي يا أمير المؤمنين؟ فإنْ كانـت حقًّا، فما ينبغي أن تُزيل منزلتي منك، وإنْ كانت باطلاً فمثلي أماط الباطلَ عن نفسه.

فقال عمر: بلغني أنّك تقول: إنمَّا صرفوها عنَّا حسدًا وظلمًا!

فقلت: أمّا قولك يا أمـير المؤمنين: ظلمًا؛ فقد تبيّن للجاهل والحليم. وأما قولك: حسدًا، فإنّ إبليس حسد آدم؛ فنحن ولده المحسودون.

فقال عمر: هيهات! أبت والله قلوبكم يا بني هاشم إلاَّ حسدًا ما يحول، وضَغَنًا وغُشًّا ما يزول»![1].

هـذه المحطة الغديريَّة كانـت المحطة التأسيسـية الأولى التي نَقَضَها

---

١ - محمد بن جرير الطبري: تاريخ الطبري، ج٤، ص٢٢٤.

القـومُ على خـط التقهقر عن المنهـج المحمَّدي الذي يُعَـدُّ الفيصل بين الأصحاب الذين استقاموا والأصحاب الذين تقهقروا فحقَّت عليهم دعوة النبـي في الأولى والآخرة إذ يقول "سُـحْقًا سُـحْقًا"؛ كيـف لا وهم الذين يَتَّهمون خِيرةَ أهل الأرض بالحسد والضَّغَن والغُشِّ؟!

جاء في صحيح البخاري أنَّ رسول الله ﷺ: «بينما أنا قائمٌ، فإذا زمرةٌ، حتـى إذا عَرَفْتُهم خرج رَجُلٌ مِنْ بَيْنـي وبينهم قال: هَلُمَّ، قُلْتُ: أين؟ قال: إلى النَّار والله!!

قلْتُ وما شأنُهُمْ؟ قال: إنَّهُمُ ارتَدُّوا بَعْدَكَ على أَدْبارِهِمْ القَهْقَرَى.

ثـم إذا زُمرةٌ، حتَّـى إذا عرفْتُهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنـي وبَيْنِهِمْ قال: هُلُمَّ، قلت: أين؟ قال: إلى النَّار والله!!

قلْتُ: وما شَـأْنُهُمْ؟ قال: إنَّهُمُ ارتَدُّوا بَعْدَكَ على أَعْقابِهِمُ القَهْقَرَى، فَلا أراه يَخْلُصُ مِنْهُمْ إلاّ مِثْلُ هَمَلِ النَّعَمْ»[1].

قَالَ أَبُو حَازِم: فَسَـمِعَنِي النُّعْمَانُ بْنُ أَبِي عَيَّاشٍ، فَقَالَ: "أَشْهَدُ عَلَى أَبِي سَـعِيد الْخُدْرِيِّ لَسَـمِعْتُهُ وَهُوَ يَزِيدُ فِيهَا: 'فَأَقُولُ سُحْقًا مِمَّنْ غَيَّرَ بَعْدِي'". وَقَـالَ ابْـنُ عَبَّاسٍ: «سُـحْقًا بُعْدًا، يُقَالَ: سَـحِيقٌ بَعِيدٌ، أَسْـحَقَهُ وَسَـحَقَهُ أَبْعَدَهُ»[2].

---

١ - محمد بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري، ج٨، ص١٢١، ح٦٥٨٧.

٢ - المُهَلَّـبُ بـنُ أَحْمَـدَ المَرِيُّ: المختـصر النصيح في تهذيب الكتـاب الجامع الصحيح، ج٣، ص٤٦.

قال الحافظ: قال الخطابي: "الهَمَل ما لا يرعى ولا يستعمل، ويطلق على الضوالّ، والمعنى أنه لا يَرِدُهُ منهم إلا القليل، لأنَّ الهَمَل في الإبل قليل بالنسبة لغيره"[١].

يبقى السؤال: مَنْ هو الرجل الذي يخرج ويأخذ بهم إلى النار؟ هل يمكن أن يكون عليًّا الذي قال فيه النبي: "عليٌّ مني وأنا منْ عَلِيٍّ"؟ الذي هو "قسيم الجنة والنار".[٢]

وعن ابن عباس أنَّ النبي ﷺ قال: «إنَّ أُناساً من أصحابي يؤخذ بهم ذاتَ الشمال، فأقول: أصحابي أصحابي! فيقال: إنَّهم لم يزالوا مرتدِّينَ على أعقابِهِمْ منذُ فارقتَهم.

فأقولُ كما قالَ العبدُ الصالحُ: ﴿**وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾" [سورة المائدة؛ الآية ١١٧-١١٨][٣].

هذه الروايات الصحيحة مع ما أوردته كتب التاريخ والتراجم من

---

١ - أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج١١، ص٥٨٠. مجد الدين أبو السعادات ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٥، ص٢٧٤.

٢ - محمد بن محمد ابن أبي يعلى: طبقات الحنابلة، ج١، ص٣٢٠.

٣ - محمد بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري؛ ج٤، ص١٣٩، ح٣٣٤٩.

صنيـع الصحابة المتطابق مع الأخبار التي لم يختلف العلماء في صحتها، والتي تُحدِّث عن انقلابهم وارتدادهم على أعقابهم، تُثبتُ الإعجازَ النبويَّ وصدقَ الرسـول المخبرِ عـن الله، والذي قال فيه ربُّـه: ﴿**وما يَنْطِقُ عَنِ الهـوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**﴾ [سـورة النجم؛ الآيـة ٣-٤]، إذ لم يَثْبُتْ على عَهْد الغدير إلا مثل هَمَل النَّعَم، حيثُ كانَ الارتدادُ الذي تحدَّثَ عنْهُ النبيُّ، كما ظَهَرَ التطابقُ التامُّ بين ما حدَّثَ به الرسـولُ الخاتَمُ وبين طريقِ الارتدادِ الذي اختارَه القومُ عن سابقِ إصرارٍ وتصميم.

ولقد كان الصحابـة يعرفون هذه القضيةَ الْمِفْصَلِيَّـةَ ويؤكِّدونَ على أنَّ الصُّحبـةَ لا تَنْفَعُهُـمْ متـى غيَّروا وبدَّلوا ولـو كانوا مِمَّنْ بايـعَ النبيَّ تحتَ الشَجَرَة، أو مِمَّنْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ بِسَبَبِ صَنِيعِهِمْ في ذَلكَ الموقف، إذ إنَّ مدْحَةَ الله تعالى لهـم لم تكن لأنَّهُمْ صَحِبُوا النبيَّ ورَأَوْهُ، وإنَّما كانتْ منْ أجلِ موقفٍ جليلٍ وعهدٍ عظيمٍ عاهدوا اللهَ تعالى ورسولَه عليه؛ فما معنى أن يعاهدَ الصحابيُّ ربَّه ورسولَ ربِّه ثمَّ يَغدرَ بعَهْدِه؟!

هذا المعنى كان يُؤَكِّدُهُ أصحابُ النبيِّ أنفسُهُمْ ويَعْتَرِفُونَ به أمامَ الناس، فَعَنِ العلاءِ بنِ المسـيِّب عن أبيـه قال: "لَقِيتُ البراءَ بنَ عـازِب، قُلْتُ لهُ: طُوبَىَ لَكَ، صَحِبْتَ النبيَّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وبايعتَهُ تحتَ الشجرة! فقال: يا ابنَ أخي إنَّكَ لا تَدْري ما أَحْدَثْنا بَعْدَهُ»[1]!

---

١ - محمد بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري، ج٣، ص١٣٠، ح٤١٧٠.

لَقَـدَ عَـرَفَ الصحابةُ أنَّ اللهَ تعالى قد رضي عن أهل بيعة الشـجرة لمَا أظهروه مِنْ حُسْنِ نيَّةٍ والتزام واستجابة لأَمْرِ الله تعالى، فَلَمْ يَكُونوا لِيَحْظَوْا برِضْوَان الله تعالى عنهمْ لِمُجَرَّد رُؤْيَتِهمُ النبيَّ أو صُحْبَتِهمْ لَهُ أو تكحيلِهمْ أعيُنَهُـمْ برُؤْيا طَلْعَته البَهيَّة؛ كَمَا عَرَفُوا أنَّ نَقْضَهُمُ العَهْدَ يُخْرِجُهُمْ مِنْ دائرةِ الرِّضْـوان التي تَحَدَّثَ عَنْها كتابُ اللـه المبين فقال: ﴿**لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا**﴾ [سورة الفتح؛ الآية: ١٨].

## يُسْتَفَادُ مِنْ التَّأسِيسِ الأَوَّل

١. تبليغ النبي كل ما أمره ربُّه بتبليغه.
٢. تعيينـه عليًّا إمامًا وخليفة ووصيًّـا لا تختلف ولايته عن ولاية محمد رسول الله في كل الأمور.
٣. تعيين الخلفاء الراشدين الذين أوجب على الأمة اتباعَهم، بل التزامَ سننهم التي لا تختلف عن سننِ النبيِّ الخاتم.
٤. إعلان عصمةِ هؤلاء الأئمة الذين لا يمكن أنْ يكونوا كغيرهم من الناس، ولو كان شـأنهم كشـأن غيرهم ممن يحكمون لما أمرَ الأمَّةَ باتباع سـننهم، ويُسـتدلُّ من ذلـك أنَّ الخليفة الذي تكـون له سـننٌ يأمر الوحـيُّ باتباعها هو إمـام معصوم ليس كغيره.

٥. الخلفاء الْمُعَيَّنون من قبل النبي بأمر الله تعالى كُلُّهُمْ مَهْدِيُّون مـن نبعة واحدة، خِتامهم المهديّ، وأوَّلُهم لا يمكن أن يكون غيرَ عليٍّ بابِ مدينةِ علمِ رسولِ الله.

٦. عدد الخلفاء الراشـدين ليس أربعة ولا خمسـة، وإنما هو اثنا عشر، ما يعني أنَّ قضيَّة الخلافة والإمامة العُظمى من القضايا التي يجب بحثها اعتمادًا على النصوص الصحيحة الثابتة عند جميع المسلمين جميعهم.

٧. لقـد كانت بيعة الغدير لعـلي بإمارة المؤمنين إعلانًـا خِطابيًّا شَـفاهيًّا مُتَواتـرًا حضره ما يزيدُ على المئة ألف إنسـان، وهذا يكرِّس الحـقَّ الإلهي الذي جعله الله تعـالى لعليٍّ وللخلفاء الاثنى عشر من ذُرِّيَّتِه مِنْ بَعْدِه.

٨. لقـد أمرَ النبيُّ أصحابَـه المتواجدين -عندمـا حَضَرَتْهُ الوفاةُ- بإحضارِ دَوَاةٍ وكِتابٍ كي يَكْتُبَ لهم كتابًا لا يضلون من بعده؛ إلا أنهم لم يسـتجيبوا لأَمْـرِه مُفَضِّلينَ الضـلالَ على الهُدى. وهل أمرهـم نبيُّهُمْ بإحضار الـدواة والكتـاب إلَّا لِيُؤَكِّدَ لهم البَيْعَـةَ التي جَعَلَها في أعناقِهِمْ لِوَصِيِّهِ عَلِيّ بن أبي طالبٍ يومَ الغديـر؟ هـذه الحادثةُ الأليمـةُ أَطلق عليها ابنُ عبـاس رَزِيَّةَ الخميس.

٩. بدأ التشـكيك بالنبيّ الكريم على أوسـع نطـاق بعدما أمرهم

بإحضار الدواةِ والكتابِ كي يكتب لهم وصيته التي لا يختلفون بعدها، وذلك عندما روَّج المروجون لمقولة عمر "حسبنا كتاب الله" التي ألغت دور النبي وصادرت الإسلام المحمَّدي الذي سيتم تصديره للناس إسلامًا قرشيًّا.

١٠. رزيَّة الخميس كانت الكاشفة التي مازت ما بين المؤمن وغير المؤمن، والمصدِّق وغيرِ المصدِّق والمرتدِّين عن بَيْعَتِهِمْ وَوَلائِهِمْ وغيرِ المرتَدِّين، كما أعلنت هذه الرزية صراحةً أَنْ لا مَزِيَّةَ لِرَجُلٍ رأى النبيَّ على غَيرِهِ منَ الناسِ إلَّا بالالتزامِ والعملِ والاستقامَة، وأنَّ الذينَ يُبَدِّلونَ وينحرفون لن يكونوا إلا وَقُودَ جَهَنَّمَ. مهما علا قَدْرُهُمْ عِنْدَ الناس.

١١. أظهرتْ رَزِيَّةُ الخميس أنَّ القلَّةَ القليلة من الصحابة هم الذين سيلتزمونَ أَمْرَ نبيِّهم، وأنَّ قِلَّةً قليلةً كَهَمَلِ النَّعَمْ هم الذين سَيَنْجُونَ مِنْ هذهَ الفِتْنَة. {وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ} [سورة سبأ؛ الآية ١٣].

١٢. إنَّ اختيارَ قريشٍ المعلَنَ جاءَ برَفْضِ الكتابِ ثمَّ بالاستيلاءِ على الحُكْمِ مِنْ خلالِ بَيْعَةِ السقيفَةِ التي لم يَحْضُرْها غيرُ ثلاثةٍ مِنَ المهاجرين الذين اخْتَزَلوا دَوْرَ الوَحْيِ والنَّبيِّ والوَصِيِّ والغدير ذاهبينَ في اتِّجاهٍ يُرْضي قُرَيْشًا وأَتْباعَها مِنَ الطُّلَقاءِ الذينَ لا يزالُ حِقْدُهُمْ على الإسلامِ مُتَغَلْغِلاً في قُلوبِهِمْ ونُفُوسِهِمْ.

# الفَصْلُ الثَّالِثُ:
# صُلْحُ الإِمَامِ الحَسَنِ بنِ عَلِيّ.. الظُّرُوفُ وَالتَّأْسِيسُ

## المَبْحَثُ الأَوَّلُ:
## صُلْحُ الحُدَيْبِيَّةِ بَيْنَ النَّبِيِّ وَقُرَيْشٍ دُسْتُورٌ لِلإِمَامِ الحَسَنِ[1]

المحطَّة التَّأسيسيَّة الثانية تَجَلَّتْ عندما عقدَ الإمامُ الحسنُ المجتبَى الصلحَ مع معاويةَ في ظروفٍ كانت أشبهَ ما تكون بصلح الحديبية الذي عقده جدُّهُ المصطفى مع قريش التي كانت تُشيع بين العرب أنَّ محمَّدًا وأصحابه صبأوا وتركوا دين آبائهم وأجدادهم وصَدُّوا الناس عن عبادة الله تعالى وكعبته وخرجوا على قريش -أهل حرم الله- التي يُعَظِّم العرب شأنها حيث أَضْفَتْ على نَفْسِها قَداسَةً اسْتَغَلَّتْها في تَحْريفِ دينِ إبراهيم وأَكْلِ أموال الناس بغير حقٍّ وتغيير معالم الحج الإبراهيمي. فكان هذا الصلح الذي أثبت للعربِ أنَّ قريشًا لا تُعَظِّمُ اللهَ تعالى ولا لِبَيْتِه حُرْمَةً، وأنَّ النبيَّ محمَّدًا ﷺ هو الذي يُعَظِّمُ حُرُماتِ بيتِ الله تعالى وكعبتَه المشرَّفَةَ، وأنَّه سَيُعيدُ مَعالِمَ الإسلامِ وشعائرَ الحَجِّ على مِلَّةِ إبراهيمَ خليلِ الرحمن بعد أنْ حَرَّفَتْها قريشٌ استكبارًا واستعلاءً على قبائلِ العربِ.

---

١ - صلح الحديبية كان في العام السادس في شهر ذي القعدة في

جاء في سيرة ابن هشام[١] أنَّ النبيَّ خرج معتمرا «وَاسْتَنْفَرَ الْعَرَبَ وَمَنْ حَوْلَهُ مِنْ أَهْلِ الْبَوَادِي مِنْ الْأَعْرَابِ لِيَخْرُجُوا مَعَهُ، وَهُوَ يَخْشَى مِنْ قُرَيْشٍ الَّذِي صَنَعُوا، أَنْ يَعْرِضُوا لَهُ بِحَرْبٍ أَوْ يَصُدُّوهُ عَنْ الْبَيْتِ... وَسَاقَ مَعَهُ الْهَدْيَ، وَأَحْرَمَ بِالْعُمْرَةِ لِيَأْمَنَ النَّاسُ مِنْ حَرْبِهِ، وَلِيَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّهُ إنَّمَا خَرَجَ زَائِرًا لِهَذَا الْبَيْتِ وَمُعَظِّمًا لَهُ؛ حَتَّى إذَا كَانَ بِعُسْفَانَ لَقِيَهُ بِشْرُ بْنُ سُفْيَانَ الْكَعْبِيُّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ قُرَيْشٌ، قَدْ سَمِعْتُ بِمَسِيرِكَ، فَخَرَجُوا وَقَدْ لَبِسُوا جُلُودَ النُّمُورِ، وَقَدْ نَزَلُوا بِذِي طُوًى (موضع قرب مكة)، يُعَاهِدُونَ اللَّهَ لَا تَدْخُلُهَا عَلَيْهِمْ أَبَدًا، وَهَذَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فِي خَيْلِهِمْ قَدْ قَدَّمُوهَا إلَى كُرَاعِ الْغَمِيمِ (مَوضِع بِنَاحِيَة الْحجاز بَين مَكَّة وَالْمَدِينَة، وَهُوَ وَاد أَمَام عسفان بِثمَانِيَة أَمْيَال) فَسَلَكَ النبي بمن معه طَرِيقًا وَعْرًا أَجْرَلَ (الأجرل: الْكثير الْحجَارَة، ويروى: أجرد، أَي لَيْسَ فِيهِ نَبَات). فقالَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: إنَّ خَالِدَ بْنَ الوَلِيد بالغَميم في خَيْلٍ لِقُرَيْشٍ طَلِيعَةٌ، فَخُذُوا ذَاتَ اليَمين. فَوَاللَّه ما شَعَرَ بِهِمْ خَالِدٌ حَتَّى إذَا هُمْ بِقَتَرَةِ الجَيْشِ، فَانْطَلَقَ يَرْكُضُ نَذِيرًا لِقُرَيْشٍ، وسَارَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ حتَّى إذَا كانَ بالثَّنِيَّةِ الَّتي يُهْبَطُ عليهم منها بَرَكَتْ به رَاحِلَتُهُ، فَقالَ النَّاسُ: حَلْ حَلْ[٢]، فألَحَّتْ، فَقالوا: خَلأَتِ القَصْوَاءُ،

---

١ - عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية لابن هشام، ج٢، ص٣٠٨ وما بعدها.

٢ - «حَلْ حَلْ» وهيَ كلمةٌ تُستَعملُ لزَجر الجَمَل وحمْله علَى المَسير، ثمَّ قالوا: «خَلأَتِ القَصْواءُ»، أي: وَقَفتْ وبَرَكتْ وامتنَعَتْ من المشْي. والقَصواءُ: اسمُ ناقة النبي؛ وقوله (ص) حَبَسها حابِسُ الفيلِ؛ أي: منعها الذي منع فيل أبرهة من التقدم نحو البيت ليهدمه.

خَلأَتِ القَصْوَاءُ، فَقالَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: ما خَلأَتِ القَصْوَاءُ، وما ذَاكَ لَهَا بخُلُق، ولَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الفِيلِ، ثُمَّ قالَ: والذي نَفْسِي بيَدِه، لا يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فيهَا حُرُمَاتِ اللَّهِ تعالى إلاَّ أعْطَيْتُهُمْ إيَّاهَا. ثم جَاءَ بُدَيْلُ بنُ ورْقَاءَ الخُزَاعِيُّ في نَفَرٍ من قَوْمِه من خُزَاعَةَ، وكَانُوا عَيْبَةَ نُصْحِ رَسولِ اللَّهِ ﷺ من أهْلِ تهَامَةَ (أي: مَحلّ نُصحه ومَوضع أَسراره)، فَقالَ: إنِّي تَرَكْتُ كَعْبَ بنَ لُؤَيٍّ وعَامِرَ بنَ لُؤَيٍّ نَزَلُوا أعْدَادَ مِيَاهِ الحُدَيْبِيَةِ، ومعهُمُ العُوذُ المَطَافِيلُ[1]، وهُمْ مُقَاتِلُوكَ وصَادُّوكَ عَنِ البَيْتِ. فَقالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: إنَّا لَمْ نَجِئْ لِقِتَالِ أحَدٍ، ولَكِنَّا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ، وإنَّ قُرَيْشًا قدْ نَهِكَتْهُمُ الحَرْبُ وأَضَرَّتْ بهِمْ، فإنْ شَاؤُوا مَادَدْتُهُمْ مُدَّةً، ويُخَلُّوا بَيْنِي وبيْنَ النَّاسِ، فإنْ أظْهَرْ: فإنْ شَاؤُوا أنْ يَدْخُلُوا فيما دَخَلَ فيه النَّاسُ فَعَلُوا، وإلاَّ فقَدْ جَمُّوا[2]، وإنْ هُمْ أبَوْا، فَوَالَّذي نَفْسِي بيَدِه لأُقَاتِلَنَّهُمْ علَى أمْرِي هذا حتَّى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي[3] ولَيُنْفِذَنَّ اللَّهُ أمْرَهُ[4].

فَرَجَعُوا إلَى قُرَيْشٍ فَقَالُوا: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إنَّكُمْ تَعْجَلُونَ عَلَى مُحَمَّدٍ،

---

١ - معهُمُ العُوذُ المَطَافِيلُ؛ أي: النَّاقةُ ومَعها ولَدُها، وقيلَ: النِّساءُ ومعَها أولادُها، وهو كنايةٌ عن استعدادهمْ لصَدِّ النَّبيِّ (ص) عن بيتِ الله ولوْ بالحرب.

٢ - جَمُّوا؛ أي: اسْتراحوا من جَهدِ الحربِ

٣ - حتة تنفرد سالفتي؛ أي: حتى يَنفصِلَ مُقدَّمُ العُنقِ عن الجسد، وهي كِنايةٌ عنِ القتالِ حتَّى الموت.

٤ - محمد بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري؛ ج٣، ص١٩٣،ح ٢٧٣١.

إنَّ مُحَمَّدًا لَمْ يَأْتِ لِقِتَالٍ، وَإِنَّمَا جَاءَ زَائِرًا هَذَا الْبَيْتَ، فَاتَّهَمُوهُمْ وَجَبَهُوهُمْ (أي: خاطبوهم بما يكرهون) وَقَالُوا: وَإِنْ كَانَ جَاءَ وَلَا يُرِيدُ قِتَالًا، فَوَاللَّهِ لَا يَدْخُلُهَا عَلَيْنَا عَنْوَةً أَبَدًا، وَلَا تَحَدَّثَ بِذَلِكَ عَنَّا الْعَرَبُ.

ثُمَّ بَعَثُوا إِلَيْهِ الْحُلَيْسَ بْنَ عَلْقَمَةَ أَوْ ابْنَ زَبَّانَ، وَكَانَ يَوْمَئِذٍ سَيِّدَ الْأَحَابِيشِ، وَهُوَ أَحَدُ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ كِنَانَةَ، فَلَمَّا رَآهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِنَّ هَذَا مِنْ قَوْمٍ يَتَأَلَّهُونَ[1]، فَابْعَثُوا الْهَدْيَ فِي وَجْهِهِ حَتَّى يَرَاهُ، فَلَمَّا رَأَى الْهَدْيَ يَسِيلُ عَلَيْهِ مِنْ عُرْضِ الْوَادِي (أي: جانبه) فِي قَلَائِدِهِ[2]، وَقَدْ أَكَلَ أَوْبَارُهُ مِنْ طُولِ الْحَبْسِ عَنْ مَحِلِّهِ[3]، رَجَعَ إِلَى قُرَيْشٍ، وَلَمْ يَصِلْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِعْظَامًا لِمَا رَأَى، فَقَالَ لَهُمْ ذَلِكَ. فَقَالُوا لَهُ: اجْلِسْ، فَإِنَّمَا أَنْتَ أَعْرَابِيٌّ لَا عِلْمَ لَكَ. فَغَضِبَ الْحُلَيْسُ عِنْدَ ذَلِكَ وَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، وَاللَّهِ مَا عَلَى هَذَا حَالَفْنَاكُمْ، وَلَا عَلَى هَذَا عَاقَدْنَاكُمْ؛ أَيُصَدُّ عَنْ بَيْتِ اللَّهِ مَنْ جَاءَ مُعَظِّمًا لَهُ؟! وَالَّذِي نَفْسُ الْحُلَيْسِ بِيَدِهِ، لَتُخَلُّنَّ بَيْنَ مُحَمَّدٍ وَبَيْنَ مَا جَاءَ لَهُ، أَوْ لَأَنْفِرَنَّ بِالْأَحَابِيشِ نَفْرَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ. فَقَالُوا لَهُ: مَهْ، كُفَّ عَنَّا يَا حُلَيْسُ حَتَّى نَأْخُذَ لِأَنْفُسِنَا مَا نَرْضَى بِهِ.

ثم إن قُرَيْشًا كَانُوا بَعَثُوا أَرْبَعِينَ رَجُلًا مِنْهُمْ أَوْ خَمْسِينَ رَجُلًا، وَأَمَرُوهُمْ أَنْ يُطِيفُوا بِعَسْكَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لِيُصِيبُوا لَهُمْ مِنْ أَصْحَابِهِ أَحَدًا، فَأُخِذُوا

---

١ - يتألَّهون: يتعبَّدون ويُعظِّمون أمرَ الإلَه.

٢ - أي: مَا يعلق في أَعْنَاق الْهدي ليُعلَم أَنَّه هَدْيٌ.

٣ - عن محله؛ أي: مَوْضِعه الّذي ينْحَر فِيهِ من الْحرم.

أَخْذًا، فَأُتِيَ بِهِمْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَعَفَا عَنْهُمْ، وَخَلَّى سَبِيلَهُمْ، وقَدْ كَانُوا رَمَوْا فِي عَسْكَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْحِجَارَةِ وَالنَّبْلِ.

أمـا النبي فقد دَعَا خِرَاشَ بْنَ أُمَيَّـةَ الْخُزَاعِيَّ، فَبَعَثَـهُ إِلَى قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ، وَحَمَلَـهُ عَلَى بَعِيرٍ لَهُ يُقَالُ لَهُ الثَّعْلَبُ، لِيُبَلِّغَ أَشْرَافَهُمْ عَنْهُ مَا جَاءَ لَهُ، فَعَقَرُوا بِهِ جَمَلَ رَسُـولِ اللَّـهِ ﷺ، وَأَرَادُوا قَتْلَهُ، فَمَنَعَتْهُ الْأَحَابِيشُ، فَخَلَّوْا سَـبِيلَهُ، حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ.

ثُمَّ بَعَثَتْ قُرَيْشٌ سُـهَيْلَ بْنَ عَمْرٍو، أَخَا بَنِي عَامِرِ ابْنِ لُؤَيٍّ، إِلَى رَسُـولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَالُوا لَهُ: ائْتِ مُحَمَّدًا فَصَالِحْهُ، وَلَا يَكُنْ فِي صُلْحِهِ إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ عَنَّا عَامَهُ هَذَا، فو الله لَا تُحَدِّثُ الْعَرَبُ عَنَّا أَنَّهُ دَخَلَهَا عَلَيْنَا عَنْوَةً أَبَدًا...".

وكان مـن أهم ما جاء في هـذا الصلح أنْ تضعَ الحـربُ أوزارَها عشرَ سـنين يأمنُ فيهنَّ الناسُ، وأنَّ من أَحَبَّ أَنْ يَدْخُـلَ فِي عَقْدِ مُحَمَّدٍ وَعَهْدِهِ دَخَلَ فِيهِ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهِمْ دَخَلَ فِيهِ. فدخلت خُزاعةُ في عهدِ محمَّد، وأقرَّ العربُ أنَّ محمدًا قُوَّةٌ محترمَةٌ جديرةٌ بالتقدير والتعظيم، إذ هو من أهل الحرمِ المعظِّمين لبيت الله تعالى حقيقةً، بخلاف قريـشٍ التي ثبت كذبها واسـتغلالها جِـوارَ البيت في تثبيـت زَعامتها ولَو انتهكت كلَّ الحرمات والقوانين والمقدسات على أعين القبائل وزعمائها.

بهـذا الصلحِ عَرَفت قبائلُ العرب الفئـةَ التي تَصُدُّ عنْ حرمِ الله تعالى، وتبيَّنَ لها الكاذبَ منَ الصادق، وتَيَقَّنَتْ أنَّ محمَّدًا هو الذي يُعَظِّمُ حَرَمَ اللهِ تعالى، وأنَّ قريشًـا إنَّما تستغلُّ جِوارَ البيتِ في ظُلْمِ محمَّدٍ وأتباعِهِ وتشويهِ

سُمْعَتِه وصورتِه بينَ القبائلِ.

فبينما كانتْ قريشٌ تنشرُ بين القبائل الأكاذيبَ والأضاليلَ زاعمةً أنَّ محمَّدًا قدْ جاءَ للقتال وللحرب مُنْتَهكًا حُرْمَةَ الكعبة المشرَّفَة وحرَم الله الآمن، شَهدَتْ كلُّ القبائلِ أنَّ قريشًا هي التي أَرْسَلَتْ جُنودَها لتَصُدَّهُ عنْ بيتِ الله تعالى، ضاربة بمُعْتَقَدات العَرَب التي كانت تَدَّعي حمايَتَها عُرْضَ الحائط، وما زادَ العربَ تعظيمًا للنبيِّ عَدَمُ إلحاقه الأذى بالمقاتلين الذينَ رَمَوْا سهامَهُمْ على المسلمينَ بعدَ أنْ تمكَّنَ من الإمساك بهم، وكانَ هذا العملُ الراقي الدالُّ على مدى التزام النبيِّ بقواعد دين إبراهيم وشعائره هو الفيصلَ بينَ قريش ومعظم القبائلِ؛ وكمْ باءت مُخَطَّطاتُ قريش بالفشلِ الذريع ساعةَ أَطْلَقَ النبيُّ سَراحَ المقاتلين في حين آذَتْ قريشٌ خِراشَ بْنَ أُمَيَّةَ الْخُزَاعِيَّ رسولَ النبيِّ إليها وأرادَتْ قَتْلَهُ لولا أنَّ الأحابيشَ مَنَعَتْهُ تَعْظيمًا لحُرْمَة البيت الذي لم تُعَظِّمْهُ قُرَيْش.

وكم كانَ سَوْقُ النبيِّ للهَدْي مُؤَثِّرًا في نفس الحُلَيْس -سَيِّد الأحابيش- الذي قالها علانيَةً: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، وَاللَّه مَا عَلَى هَذَا حَالَفْنَاكُمْ، وَلَا عَلَى هَذَا عَاقَدْنَاكُمْ. أَيُصَدُّ عَنْ بَيْتِ اللَّه مَنْ جَاءَ مُعَظِّمًا لَهُ؟! وَالَّذِي نَفْسُ الْحُلَيْسِ بِيَدِه، لَتُخَلُّنَّ بَيْنَ مُحَمَّد وَبَيْنَ مَا جَاءَ لَهُ، أَوْ لَأَنْفِرَنَّ بِالْأَحَابِيشِ نَفْرَةَ رَجُلٍ وَاحِد».

هنا، بات النبيُّ قادرًا على تبليغ رسالته للعرب بمقبوليَّة كبيرة لاسيَّما وأنَّ القبائل قد عرفت نِيَّتَهُ ونِيَّةَ قريش التي افْتُضِحَ أَمْرُها عِنْدَ هذا الامتحان الذي استُدْرِجَتْ إليه، فَسَقَطَتْ مِنْ عَينِ زُعَماءِ القبائلِ الذين رَأَوْا بأُمِّ

أعيُنِهِمْ استهانةَ قريشٍ بحَرَمِ اللهِ وكَعْبَتِه المشرَّفَة، في حينَ شَهِدُوا تَعْظيمَ النبيِّ لِلْحَرَمِ ولِلْبَيْتِ، كما عاينوا مِنَ النبيِّ عَدَمَ الردِّ على إساءَةِ قريشٍ أو التعاملَ مع عُدْوانِهِم بالمِثْل.

أمَّا الضربةُ القاضيةُ التي تلقتها قريشٌ فكانت عندما أقسم النبيُّ بأنَّه لن يردَّ لقريشٍ طلبًا فيه تعظيمٌ لحرمات الله تعالى وحقنٌ لدماءِ الناسِ وإحلالٌ للسلام: "والذي نَفْسي بيَدِه، لا يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللَّهِ تعالى إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا"؛ وهذه العبارة وحدها متى تناهت إلى أسماعِ القبائل أدركت أن قريشًا تتاجر بحرم الله تعالى ولا تعظمه.

أمَّا الرسالة التي بعث بها النبيُّ مع (بُدَيْل بن ورْقَاءَ الخُزَاعِيّ) بعد أنْ حدَّثه عن نيَّةِ قريشٍ وحَشْدِها جموعها ليقاتلوه ويصدُّوه عن بيت الله تعالى، فقد كانتْ العرضَ الأخيرَ والإنذارَ الأخيرَ في الوقت عينه، خصوصًا وأنَّ قدومَه لم يكن إلا للعمرةِ وليس للقتال؛ أمَّا العرضُ فكان يحملُ كلَّ معاني الشفقةِ على قريشٍ التي «نَهِكَتْهُمُ الحَرْبُ وأَضَرَّتْ بِهِمْ»، وقد جاء النبيُّ الذي أخرجته قريشٌ من مكةَ عارضًا السِّلم إلى مدة محددة على أنْ تُخَلّي بَيْنه وبينَ النَّاسِ، فإنْ أظْهَره الله تعالى عليهم وأرادوا الدخولَ فيما دَخَلَ فيه النَّاسُ فَعَلُوا، وإلَّا فقَدْ استراحوا من الحربِ التي تُوقِعُ الضَّررَ بكلِّ الناس لا تَستثني منهُم أحدًا أبدا.

لكنَّ هذا العرضَ الإنسانيَّ السِّلميَّ مع ما فيه منْ إشفاقٍ على الناسِ الذين يُستغَلُّون في حرب تُشعلُ قريشٌ نارَها حِقْدًا وحسدًا لم يكنْ

عرضَ الضعيفِ الخائفِ، وإنَّمـا كانَ عَرْضَ القويِّ الواثقِ من قُدراته على المواجهـة والقتالِ والانتصارِ المحتـومِ متى رفضت قريـشٌ عَرْضَه "وإنْ هُـمْ أبَوْا، فَوَالَّذي نَفْسي بيَدِه لَأُقَاتِلَنَّهُمْ علَى أمْري هذا حتَّى تَنْفَرِدَ سَـالِفَتي ولَيُنْفِذَنَّ اللَّهُ أمْرَهُ".

## المَبْحَثُ الثَّانِي:
## وَجْهُ الشَّبَهِ بَيْنَ صُلْحِ النَّبِيِّ مَعَ قُرَيْشٍ وَصُلْحِ الحَسَنِ مَعَ مُعَاوِيَةَ

لَـئِنْ تَتَبَّعْنـا صُلْحَ الإمامِ الحسـنِ مع معاوية بن أبي سـفيان الذي كان إعلامُه يشـوِّه صـورة الإمام علي بن أبي طالب والد الحسـن، ويلعنه على المنابر[1] ويتَّهمُه بمقتَلَة عثمان ويحرِّض أهلّ الشام على قتاله، ناشرًا بينَهُمْ إسـلامًا لا يمُتُّ إلى الدينِ المحمَّديِّ بصِلَة؛ نعرفُ كيف كانَ هذا الصُّلحُ وسـيلةً كبرى لإيقاظ المعارفِ ونشر الحقائق وتعريف المجتمع الشـامي وغيره من المجتمعات التي كانت تحت سلطة معاويةَ بحقيقةِ عليٍّ ومكانته الدينيَّةِ والعلمية والفكرية والإسلامية المحمَّديَّة.

---

١ - عن عَامِر بْنِ سَعْد بْنِ أَبِي وَقَّاص عَنْ أَبِيه يقول: «أَمَرَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ سَعْدًا فَقَالَ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسُـبَّ أَبَا التُّرَابِ؟» إلخ. مسـلم بن الحجاج النيسـابوري: صحيح مسلم، ج٤، ص١٨٧١، ح٢٤٠٤.

إنَّ أهــمَّ هدفٍ من أهداف الحســن أنْ يَدْخلَ الناسُ في دين الله تعالى أفواجًــا كما دخلوا بعد صلح الحديبية الذي كان فتحًا مبينًا، وأنْ يفتحَ اللهُ تعــالى بهذا الصلح قلــوبَ النَّاس كما فتح على نبيِّه مكــةَ فتحًا مبينًا، وأنْ يدخــلَ في عهده مــن أراد أنْ يدخلَ؛ فَمَا فُتِحَ فِي الْإِسْــلَامِ فَتْــحٌ قَبْلَ هذا الصلــح كَانَ أَعْظَمَ مِنْهُ، فَلَمَّا كَانَتْ الْهُدْنَةُ، وَوُضِعَتْ الْحَرْبُ، وَآمَنَ النَّاسُ بَعْضُهُــمْ بَعْضًا، وَالْتَقَوْا فَتَفَاوَضُوا فِي الْحَدِيــثِ وَالْمُنَازَعَةِ، فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدٌ بِالْإِسْلَامِ يَعْقِلُ شَيْئًا إلَّا دَخَلَ فِيهِ، وَلَقَدْ دَخَلَ فِي تِينِكَ السَّنَتَيْنِ مِثْلُ مَنْ كَانَ فِي الْإِسْلَامِ قَبْلَ ذَلِكَ أَوْ أَكْثَرَ؛ ولئن خرج رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إلَى الحديبيّة في ألــف وَأَرْبع مائَة، في قَوْلِ جَابِــرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ فلقد خرج عَامَ فَتْحِ مَكَّةَ -بَعْدَ ذَلِكَ بِسَنَتَيْنِ- فِي عَشَرَةِ آلَافٍ[1].

لقد كان الإمامُ الحســنُ محمَّديَّ النســبِ والفكــرِ والهدي والتخطيط والسياســة والصلح، وكلُّ من يقف على طبيعــة الصلح الذي عقده الإمامُ الحسن مقارنًا بصلح النبي في الحديبية سيجد تطابقًا غير مسبوق، وسيدرك أنَّه من رسول الله وأنَّه سيدُ شباب أهل الجنة، إذ جعل الحقُّ تبارك وتعالى دخول الجنة عبره إذ هو امتدادٌ للشــجرة النبوية المباركة، فجَده رسول الله وأمه فاطمة بنت محمد سيدة نساء العالمين، وأبوه علي بن أبي طالب سيد الوصيين وباب مدينة علم النبي الخاتَم وأخوه ونفسه.

---

١ - عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية لابن هشام، ج٢، ص٣٢٢.

## التَّشكِيْكُ وَالطَّعْنُ بِصُلْحِ الحَسَنِ وَصُلْحِ الحُدَيْبِيَّة

كما لاقى النبيُّ من تُهَم وعَنَت وتشكيك بالأهداف وسُوءِ أدبٍ مِنْ قِبَلِ المسلمين بسبب هذا الصلح، لاقى الإمامُ الحسنُ كذلك؛ فعندما أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّه ﷺ مِنَ الْحُدَيْبِيَة رَاجِعًا، قَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَاب رَسُول اللَّه ﷺ: «مَا هَذَا بِفَتْح، لَقَدْ صَدُّونَا عَنِ الْبَيْت، وَصُدَّ هَدْيُنَا، وَرَدَّ رَسُولُ اللَّه ﷺ رَجُلَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ كانا خرجا إليه، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ قَوْلَ أُولَئِكَ، فَقَالَ: ‘بِئْسَ الْكَلَامُ، بَلْ هُوَ أَعْظَمُ الْفَتْح، قَدْ رَضِيَ الْمُشْرِكُونَ أَنْ يَدْفَعُوكُمْ بِالرَّاحِ عَنْ بِلَادِهِمْ، وَيَسْأَلُوكُمُ الْقَضِيَّةَ، وَيَرْغَبُونَ إِلَيْكُمْ فِي الأَمَان، وَقَدْ رَأَوْا مِنْكُمْ مَا كَرِهُوا، وَأَظْفَرَكُمُ اللَّهُ تعالى عَلَيْهِمْ، وَرَدَّكُمُ اللَّهُ تعالى سَالِمِينَ مَأْجُورِينَ، فَهُوَ أَعْظَمُ الْفُتُوحِ’.

ثم أخذ يذكرهم بمواقف ضعفهم يوم واجه المشركين في الحرب قائلا: ‘أَنَسِيتُمْ يَوْمَ أُحُد، إِذْ تُصْعَدُونَ وَلا تَلْوُونَ عَلَى أَحَد، وَأَنَا أَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ؟

أَنَسِيتُمْ يَوْمَ الأَحْزَاب إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وإذا زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ، وَتَظُنُّونَ بِاللَّه الظُّنُونَا؟’.

فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: صَدَقَ اللَّهُ تعالى وَرَسُولُهُ، فَهُوَ أَعْظَمُ الْفُتُوحِ، وَاللَّه يَا نَبِيَّ اللَّه مَا فَكَّرْنَا فِيمَا فَكَّرْتَ فِيهِ، وَلَأَنْتَ أَعْلَمُ بِاللَّه تعالى وأمره مِنَّا...»[1].

---

١ - محمد بن محمد بن أحمد أبو الفتح: عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، ج٢، ص١٦٥.

إنَّ مـن يتعمق في صلـحِ الحديبيةِ يشـهد عظيمَ الانقـلاب الإعلاميّ والثقافيّ والنفـسيّ الذي أنتجه هذا الصلح في فكـر القبائل العربية، التي كانـت واقعةً تحت تأثـير قريشٍ وأكاذيبها وإشـاعاتها وإعلامهـا، فالنبيُّ الكريـم كان في نظـر قبائل العـرب صابئًا لا يُعَظِّـمُ الحـرَمَ ولا أهلَه؛ أمَّا قدومُـه على مكة مع أتباعِه فيُشَـكِّلُ تهديدًا كبيرًا للكعبة المشرفة التي هي محـط أفئدةِ كلِّ القبائل. لذا فـإن العربَ قاطبةً كانت سـتتجمَّع جموعُها وتلتفُّ قُواها وجيوشُـها تحت رايةِ قريشٍ لتحاربَ النبيَّ وتستأصل الدعوة الإسـلامية وأشـياعها مـن دون أن تُبْقِيَ على رجلٍ واحـد منهم، لولا هذا الصلـحُ الذي أثبـتَ كَذِبَ الدعايـةِ القرشـيَّةِ وفَضَحَ طُرُقَهـا الملتَوِيَةَ في اسـتغلالِ حَمِيَّةِ القبائلِ وتعظيمِ العربِ لكعبةِ الله تعالى. والأهمُّ من ذلك أنْ تتحـوَّلَ القبائلُ من حِلـفِ العِداءِ للنبـيِّ إلى المدافع الأول والمناصر الأعظـم له بعد أن تيقَّنتْ منْ قدومِهِ السِّـلميِّ معظِّما الحَرَم معتمِرًا، لا بل أضحت هذه القبائل نفسها تشكل تهديدًا كبيرًا بإعلانها الحربَ على قريش إذا لم تسمح للنبي بالدخول إلى مكةَ لأداءِ المناسك.

أمَّا صلحُ الحسـنِ فكان النُّسـخة الثَّانية عن صلـحِ الحديبية، وهذا ما عبرَّ عنه الإمامُ الحسـنُ يوم عاتبه الناسُّ على الصلح كما عاتبوا جده على صلحـه مع قريش وقالوهـا كلمة لو مزجت بماء البحـر لمزجته؛ «فعندما الْتَـأَمَ الأمـرُ -واتُّفِقَ على الصلح- ولم يبـقَ إلا الكتاب، وثب عمر فأتى أبا بكر فقال: يا أبا بكر، أليس برسول اللهُّ؟ قال: بلى.

قال: أو لسنا بالمسلمين؟ قال: بلى.

قال: أو ليسوا بالمشركين؟ قال: بلى.

قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا (أي الذلة)؟

قال: أبو بكر: يا عمر الزم غرزه (أي: ركابه) فإنّي أشهد أنّه رسول الله.

قال عمر: وأنا أشهد أنّه رسول الله.

ثم أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ألست برسول الله؟ قال: بلى.

قال: أو لسنا بالمسلمين؟ قال: بلى.

قال: أو ليسوا بالمشركين؟ قال: بلى.

قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا؟

قال: أنا عبد الله ورسوله، لن أخالف أمره ولن يضيّعني.

وكان عمر يقول: ما زِلْتُ أَصومُ وأَتَصَدَّقُ وأُصَلِّي وأُعْتِقُ مِنَ الذي صَنَعْتُ يَوْمَئِذٍ، مَخَافَةَ كلامِي الَّذي تكَلَّمْتُهُ يَوْمَئِذٍ، حَتَّى رَجَوْتُ أَنْ يَكونَ خَيْراً!»[1].

الذي يتأمل في كلامِ عمرَ يعرف كيف كان يحرِّض على رسول الله، ومدى شكِّه بوحي السماء، وبالتالي يظهر للمُدقِّق استغلالُه هذه الواقعة وممارستُه أكبرَ تأثير سلبيٍّ على الناس، ليدرك العاقل في نهاية المطاف

---

١ - محمد بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري، ج٣، ص١٩٣، ح٢٧٣١..

أنَّـه لم يـترك وسـيلةً ولا صحابيًّا إلا حرضـه على عدم اتبـاع النبي وعلى عصيان أمره، وهذا ما حمل المسـلمين على عدم الاسـتجابة لأمر رسـول اللـه بالذبحِ والتحلُّلِ مـن الإحرام قبل العـودة إلى المدينة المنورة وذلك لعـدم القدرة على القيام بأعمال العمرة، "فَلَمَّا فَرَغَ النبي مِنْ قَضِيَّةِ الكِتَابِ (كتـاب الصلح)، قَالَ لأَصْحَابِه: 'قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ احْلِقُوا'. قَالَ: فَوَاللَّه مَا قَـامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلاَثَ مَـرَّاتٍ. فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَـلَمَةَ، فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ، فَقَالَتْ أُمُّ سَـلَمَةَ: يَا نَبِيَّ اللَّه، أَتُحِبُّ ذَلِكَ؟ اخْرُجْ ثُمَّ لاَ تُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً، حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ، وَتَدْعُوَ حَالِقَـكَ فَيَحْلِقَكَ. فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ؛ نَحَرَ بُدْنَهُ، وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا، فَنَحَرُوا."[1].

هنا لابدَّ من أن نطرح بعض الأسـئلة المباشرة والواضحة لنعرف حقيقةَ عِصيان أمرِ النبيِّ:

**أَوَّلًا:** إذا كان عمـر قـد اعترض عـلى النبيِّ ولم يقتنعْ بـكلامِ صاحبِ الرسالة فهل اقتنع بكلامِ أبي بكر؟!

**ثَانِيًا:** إذا كان أبو بكر مقتنعًا غير شـاكٍّ بأمر النبي فهل حدَّثَت الرواياتُ والأخبار بأنَّ أحدًا من الصحابةِ ائتمر بأمرِ النبيِّ فتحلَّل من إحرامه؟

---

١ - أحمـد بـن محمد الشـيباني ابن حنبل: مسـند الإمام أحمد بـن حنبل، ج٣١، ص٢٤٣، ح١٨٩٢٨..

**ثَالِثًا:** إذا كان عمرُ وأبو بكرٍ وجميع الصحابة قد عصوا أمرَ رسولهم فلم يتحلَّلوا إلا بعد أنْ قامَ وتحلَّل، ما شَجَّعَ المؤمنين الذين انساقوا خلف التشكيك إلى التشبُّه بصنيع نبيهم والالتزام بهديه، أوليس هذا الأمر يعني أنَّ قضيةَ التبرير لفعل النبي كان ضربًا من الخيال بدليل عدم إخبار الروايات عن التزامه أمر النبي، وهذا يؤكد على أنَّ أبا بكر كان واحدًا من الشاكِّين «فَوَاللَّه مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ».

**رَابِعًا:** العنصر المعروف الذي حَرَّضَ الناسَ على العِصيانِ وعَدَمِ الاكتراثِ لِأَمْرِ الرسولِ الكريم هو الذي حدَّث عن نفسه لشيوع هذه الحادثةِ بين الناس وليجد لنفسه بابًا يقدم فيه اعتذاره فيرفع نفسه فوق الوحيِّ رتبة مشددًا على أنَّ عِصيان الله تعالى ورسوله والشك بوحي السماء إنَّما كان حرصًا منه على الأمَّة، وقد استغفر ربَّه على ما أحدث، وفي ذلك يقول: «ما زِلْتُ أَصومُ وأَتَصَدَّقُ وأُصَلِّي وأُعْتِقُ مِنَ الذي صَنَعْتُ يَوْمَئِذٍ، مَخَافَةَ كلامِي الَّذي تكَلَّمْتُهُ يَوْمَئِذٍ، حَتَّى رَجَوْتُ أَنْ يكونَ خَيْراً!».

العجيبُ أنْ يرجُوَ خيراً الشاكُّ الذي مَشَى بينَ الناسِ مُحَرِّضًا على عِصْيانِ أَمْرِ النَّبِيِّ!

وهل يرجو خيراً من شكَّ بالله تعالى وبرسوله وأعلن ذلك أمام النَّاس غيرَ مستحٍ منَ الربِّ المرسِل ومِنْ صاحبِ الرِّسالة؟!

**خَامِسًا:** إذا كان صنيعُ عمرَ مُبَرَّرًا عند العلماء، أو يجب أنْ يبرَّرَ؛ فهل مِنْ حَرَجٍ على مَنْ يَخْرُجُونَ علينا في هذا العصرِ مُشَكِّكِينَ بأوامرِ اللهِ

تعالى وبأوامرِ رسـولِه الكريم، وذلك بعدَ أكثرَ مِنْ ألفٍ وأربعمِئَةِ عامٍ على البِعْثَةِ النَّبَوِيَّة؟!

**سَادِسًـا:** لَئِنْ بَرَّرَ العُلَماءُ لِعُمَرَ صَنيعَهُ فهلْ سـيكونُ التشريعُ والتقعيدُ والأحـكامُ إلَّا ضربًا منَ الخُرافَةِ الْمَبْنِيَّة على ازْدِواجِيَةِ المعاييرِ على طريقةِ السياسـاتِ الظالمةِ المتحكِّمَةِ بأهلِ الأرض تحت شعار العدالة والمحبَّةِ والسَّلام!

**سَـابِعًا:** ألا يجب أنْ نُعيدَ قراءة القرآن بوعي كبير لنعرف أسبابَ النزولِ غـيرِ المذكورة والتي نجـدُ مصادقيهـا في الروايات الصحيحـة والأخبار الموثَّقة والسـيرة النبوية الثابتة؛ ومن بين تلك الآيات قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * فَإِنْ زَلَلْتُـمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ [سورة البقرة؛ الآية: ٢٠٨ - ٢٠٩] لنسأل أخيرا: فيمن نزلت هذه الآيات؟! وهل عقد النبي صلحًا في حياته غير صلح الحديبية؟! وهل تنطق هذه الآيات الواضحات عن صلح غير صلح الحديبية؟!

تأثيرٌ سلبيٌّ عمِل عليه عمرُ بقوَّة، فاتَّبعَ القومُ خطُواتِه ونَسُوا أنَّ الرسولَ يُوحَى إليه من عند الله تعالى، ولقد أصرَّ القوم على عصيان أمرِ رسولهم إذ أمرهم بالحلق فقصَّروا، فدعا النبي للمحلِّقين فاضحًا المقصِّرين الشاكِّين بأمـره وبنبوَّته فعَن ابْـنِ عَبَّاس، قَالَ: "حَلَـقَ رجَالٌ يَـوْمَ الْحُدَيْبِيَة، وَقَصَّرَ آخَرُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: 'رَحِمَ اللهُ الْمُحَلِّقِينَ'.

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَالْمُقَصِّرِينَ؟ قَالَ: 'يَرْحَمُ اللهُ الْمُحَلِّقِينَ'.
قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَالْمُقَصِّرِينَ قَالَ: 'يَرْحَمُ اللهُ الْمُحَلِّقِينَ'.
قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَالْمُقَصِّرِينَ؟ قَالَ: 'وَالْمُقَصِّرِينَ'.
قَالُوا: فَمَا بَالُ الْمُحَلِّقِينَ، يَا رَسُولَ اللهِ ظَاهَرْتَ لَهُمُ الرَّحْمَةَ؟ قَالَ: 'لَمْ يَشُكُّوا'»[1].

هنا يؤكد النبي على أنَّ فئةً أخطأت إذْ توقَّفتْ عن التزام الأمر، لكنَّ خطأها لم يَكُنْ عنْ شكٍّ ولا عن مخالَفَة متعمَّدة، لذا فإنَّها امتثلت الأمر ساعةَ رأت نبيَّها يَنْحَرُ ويَحْلِقُ ليَتَحَلَّلَ منْ إحرامه فأسرعَتْ إلى التشبُّه بسُنَّة نَبِيِّها، فاستَحَقَّتْ دعوتَه بالرحمة ثلاثَ مَرَّات رغم خطئها الأوَّل وتأثُّرها بالإشاعات المُسيئَة لقَدْر النبيِّ وعَظَمَته، وهذا هو الُخلقُ المحمديِّ الذي لا يَتَغَيَّرُ ولا يَتَبَدَّلُ إذْ هو المرسَلُ رحمةً للعالمين. كما يؤكِّدُ أنَّ فئةً كانَتْ تَتَعَمَّدُ مخالفَةَ النبيِّ وتشويهَ الصُّلْح فمَشَتْ بينَ الناس تَحُثُّهُمْ على مخالفة الأمر والوقوف في وَجْه المخَطَّط الإلهي؛ هذه الفئةُ لم يَدْعُ النبيُّ لها بالرحمة إلا بعدَ إلحاح النَّاس عليه ثلاث مَرَّات، وذلكَ لأنَّها كانتْ مُتَجَلْبِبَةً بالشُّكوك ونُكْران الرسالة والأوامر الإلهيَّة؛ وفارقٌ عظيمٌ بينَ المؤمنين والشاكِّين.

طبعا لم يستطع عمرُ إنكارَ شكِّه والفضيحة التي عَلقَتْ في أذهان الناس، وفي ذلك قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ: "جَلَسْت عِنْدَ عُمَرَ بْنِ الْخَطّابِ يَوْمًا، فَذَكَرَ

١ - أحمد بن محمد الشيباني ابن حنبل: مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج٥، ص٣٣٧، ح٣٣١١.

الْقَضِيّةَ فَقَالَ: لَقَدْ دَخَلَنِي يَوْمئذ مِنْ الشّكّ، وَرَاجَعْت النّبيّ (ص) يومئذ مراجعة مـا رجعته مثْلَهَا قَطّ، وَلَقَدْ عَتَقْت فِيمَا دَخَلَنِي يَوْمئذ رِقَابًا، وَصُمْت دَهْرًا، وَإِنيّ لَأَذْكُـرُ مَا صَنَعْت خَالِيًـا فَيَكُونُ أَكْبَرَ هَمّي؛ ثُمّ جَعَلَ اللـهُ عَاقِبَةَ الْقَضِيّة خَيْرًا! فَيَنْبَغِـي لِلْعِبَاد أَنْ يتّهمُوا الرّأْيَ؛ وَاَلله لَقَدْ دَخَلَنِي يَوْمئذ مِنْ الشّـكّ حَتّى قُلْت فِي نَفْسِي: لَوْ كُنّا مائَةَ رَجُلٍ عَلَى مِثْلِ رَأْيِي مَا دَخَلْنَا فِيهِ أَبَدًا!»[1].

لقد كانت الفضيحة هذه المرة بوحي السـماء على لسـان سيد الأنبياء، لذا كان الإعلام القرشي يعمل على تحسين صورة المنكرين والمشكِّكين، فها هو عمر يُشـيعُ بينَ الناسِ اعترافَه بالخطيئة الفظيعة والجريمة الشـنيعة مُعْلِنًـا توبتَه مـع التبرير غير المقنع لِنَفْسـه إذ قـال: «ثُمّ جَعَلَ اللـهُ عَاقِبَةَ الْقَضِيّـة خَيْرًا!»؛ ولا يعرفُ عاقل من العقلاء كيفَ يسـتطيعُ المرءُ الشـكَّ بنَبيِّه والإسـاءةَ إليه وتحريضَ الناسِ عليه ثـمَّ يُحَدِّثُنا عمَّا فَعَلَهُ تكفيراً عنْ ذنوبه لِيُقْنِعَنا بأنَّ عاقبةَ الإساءة إلى النبيِّ كانَتْ خَيْرًا؛ مع الإشارة إلى أنَّه لم يَعْتَذِرْ عنْ صنيعه للنبيِّ كما كانَ عمومُ المنافقين يَعْتَذِرُون!

ثم سرعان ما يتحوَّل الشـاكُّ بالرسول وبالرسـالة إلى مُوَجِّه أمين للأمة «فَيَنْبَغِـي لِلْعِبَـاد أَنْ يَتّهِمُـوا الرّأْيَ»، لكـنَّ عظيمَ الجُـرْم، والإصرارَ على المخالفـة، والشـكَّ بالنبيِّ احتلَّت في نفسـه المكانةَ الكـبرى، خصوصًا وأنَّه اعترفَ بما كانَ يُضْمِرُهُ مِنْ عملٍ انقلابيٍّ ضِدَّ الرسـولِ لَوْ أنَّ مِئَةَ رَجُلٍ

١ - امحمد بن عمر بن واقد السهمي الواقدي: المغازي، ج٢، ص٦٠٧.

وافقُوا على ذلكَ كما وافقوا على عصيان أمر النبيِّ فلم ينحروا ولم يحلقوا ليَتَحَلَّلُوا من إحرامهم بَعْدَ أنْ مُنعُوا مِنْ أداء العمرة؛ وهذا الاعتراف بحدِّ ذاته يَتَطَلَّبُ منَ الدارسينَ وقْفاتٍ طويلةً ليقوموا بعمليَّة الربط ما بينَ هذه الواقعة وغيرها منَ الوقائع والأحداث السابقة واللاحقة وصولاً إلى رزيَّة الخميس التي نَقَضَت الأساسَ الأعظمَ لبَيْعَة الغدير حيثُ سارع عمرُ إلى اتِّهام النبيَّ بالهجْر والهَذَيان وعَدَم معرفة ما يقولُ، ثُمَّ مَنَعَ المتواجدينَ من إحضار دواة وكتاب لئَلا يَكْتُبَ النبيُّ الوصيَّةَ العاصمةَ منَ الضلال.

يحدِّثُ زَيْد بْنُ أَسْلَمَ عَنْ أَبيه: "أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ كَانَ يَسيرُ في بَعْض أَسْفَاره (وهذا إنما كان بعد الحديبية)، وَعُمَرُ بْنُ الخَطَّاب يَسيرُ مَعَهُ لَيْلاً، فَسَأَلَهُ عُمَرُ عَنْ شَيْءٍ، فَلَمْ يُجبْهُ رَسُولُ اللَّه ﷺ، ثُمَّ سَأَلَهُ فَلَمْ يُجبْهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ فَلَمْ يُجبْهُ. فَقَالَ عُمَرُ: ثكلَتْكَ أُمُّكَ، نَزَرْتَ رَسُولَ اللَّه ﷺ ثَلاثَ مَرَّات (أي: ألححت عليه)، كُلَّ ذَلكَ لاَ يُجيبُكَ، فَحَرَّكْتُ بَعيري حَتَّى كُنْتُ أَمَامَ النَّاس، وَخَشيتُ أَنْ يَنْزلَ فيَّ قُرْآنٌ، فَمَا نَشبْتُ أَنْ سَمعْتُ صَارخًا يَصْرُخُ بي، فَقُلْتُ: لَقَدْ خَشيتُ أَنْ يَكُونَ نَزَلَ فيَّ قُرْآنٌ. فَجئْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ فَسَلَّمْتُ عَلَيْه، فَقَالَ: 'لَقَدْ أُنْزلَتْ عَليَّ اللَّيْلَةَ سُورَةٌ لَهيَ أَحَبُّ إليَّ ممَّا طَلَعَتْ عَلَيْه الشَّمْسُ'، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا**﴾"[1]. [سورة الفتح؛ الآية ١].

هذه الرواية الأخيرة تؤكد على تعامل عمرَ "غير المؤدَّب" مع الحضرة

١ - محمد بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري، ج٦، ص١٨٩، ح٥٠١٢.

المحمديـة، كما تظهر عدم رضا النبي عن تصرفاته وسـوء أدبه وطويته إذ كان يخـشى مـن أن ينزل الله تعـالى بحقه قرآنًا، وعندمـا وصل إلى النبي أخبره بنزول آية الفتح عليه ليؤكد له من جديد أنَّه نبيٌّ مرسـل من عند الله، وأنَّ تحريض الناس على رسـولهم وعدم الرضا بصلحه وحربه ومعاهداته وكل ما يقوم به إنَّما هو جريمةٌ ونفاقٌ عظيم لأنَّ النبيَّ معصومٌ بعصمة الله وكل ما يقوم به لا يكون إلا عن أمر الله، وأنَّ مَنْ خانَ رسـولَ الله وحرَّضَ عليه وشكَّكَ به فإنَّه لنْ يُطْفِئَ نورَ الله، فاللهُ مُتِمٌّ نورَهُ ولو كَرِهَ الْمُحَرِّضون.

إنَّ مـا لَقِيَـهُ النبيُّ مِنْ قومِـه في صُلحه مع قريش، لَقِيَهُ الإمامُ الحسـنُ الذي واجَهَهُ بعضُ مَنْ لا علْمَ له ولا معرفةَ بطبيعة هذه الرسـالة المحمديَّة وحامليها -الذين لا يَخرجونَ عنْ أُطُرِ سياسـاتِ الوحي وكلِّ ما فيه صالحُ البلاد والعباد- لذا عَمَدَ هؤلاء الناسُ إلى إهانَة الإمام الحسـنِ بقولهم: «يا مُسَوِّدَ وُجوهِ المؤمنين» و «يا مُذِلَّ المؤمنين» و «يا مُسَخِّمَ وُجوهِ المؤمنين».

يروي الذهبي عَنْ فُضَيْلِ بنِ مَرْزُوْق قَالَ: "أَتَى مَالِكُ بنُ ضَمْرَةَ الحَسَنَ، فَقَالَ: السَّـلاَمُ عَلَيْكَ يَا مسـخِّم وُجُوهِ الْمُؤْمِنِيْنَ. فَقَالَ: لاَ تَقُلْ هَذَا -وَذَكَرَ كَلاَمًا يَعتَذِرُ بِه-رضيَ اللهُ عَنْهُ»[1].

العجيب أنَّ الذهبي لم يذكر الكلام الذي اعتذر به الإمام الحسن مع أنَّه يعرفُ تمامًا أنَّ الكلام الذي اعتذر به الإمامُ يُدَلِّلُ على ارتدادِ معاويةَ

١ - محمد بن أحمد الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٤، ص٣٤٣.

وحقده على الإسلام، وسعيه إلى الثأر منْ آل بيت محمَّد، يروي هذه الحادثة ابن عساكر في تاريخه تامةً ذاكرًا تبرير الإمام إذ قال: "يا مالك، لا تَقُلْ ذلك؛ إنيِّ لَمَّا رأيتُ الناسَ تركوا ذلك إلَّا أهلَهُ خَشيتُ أنْ تُجْتَثُّوا عنْ وَجْه الأرض، فأردْتُ أنْ يكونَ للدين في الأرض ناعٍ. فقال بأبي وأمي ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾» [سورة آل عمران؛ الآية ٣٤][1].

وما أجملَ ما أرشدَ إليه الإمامُ الحسنُ منْ حِفْظ النفوس التي تُبَلِّغُ الدِّينَ وتُخْبِرُ الناسَ الحقائقَ وتَنْشرُها في البلاد فتكونُ ناعيةً تَنْعى مَنْ قُتِلَ واستُشْهِدَ فَتَنْشُرُ الحقائقَ وتُخْبِرُ عنها وتُحَرِّكُ النفوسَ لِتَسْلُكَ سبيلَ الحقِّ مُقْتَفِيَةً أَثَرَ مَنْ سَبَقَها منْ أَهْلِ الرِّضْوان.

الهدفُ بالنسبة للإمام الحسن معروفٌ وواضح، فمعاويةُ يحملُ أحقادَ الجاهلية وضغائنَها، وهو وريث أبيه وأمِّه آكلة الأكباد، فهل يقبلُ بغيرِ اجتثاث المؤمنين وأتباع الرسالة منْ على وَجْه الأرض؟!

أهدافُ معاوية خطيرةٌ، ولَئِنْ عَمَدَ معاويةُ وبَنُوهُ إلى قتلِ المؤمنين، فالذي يوجبه العقل والمنطق على القائد الربانيِّ الحكيم هو حفظُ الدين وحامليه ومبلِّغيه ومُبَيِّني الحقائق وفاضحي المؤامرات؛ لذا كان هذا الصُّلْحُ الذي يَفْسَحُ للمعارف المحمَّديَّة أن تَنْطَلِقَ في الأرض فلا تكونَ حبيسةَ الكوفةِ، متى قُضِيَ على أهلها فَقَدَتْها الأُمَّةُ وضاعتْ.

---

١ - علي بن الحسن ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج١٣، ص٢٨٠.

إنَّـه الصلح الذي يوسـع دائـرة المعرفة ويسـمح للحقيقة بأنْ تسـبح في الأرض مخترقـة العقولَ، مصحَّحَـةً المفاهيمَ، مُسَـلِّطَةً الأضواءَ على الأكاذيب والأطروحات السـائدة؛ فلا عجبَ أنْ تصلَ المعارفُ المحمَّديَّةُ إلى الشام وأنْ يَعْرِفَ أهلُها مكانَةَ الإمام عليّ بعد أن كان يُسَبُّ على المنابر.

والأعجبُ من ذلك أنَّ الذهبيَّ ذكر تبريرًا آخرَ أورده لأنَّه لا يكشف عن حقيقـة معاويةَ وأهدافه وأطماعه وارتداده، قـال الذهبي: «وَقَالَ لَهُ آخَرُ: يَا مُذِلَّ المُؤْمِنِيْنَ! فَقَالَ: لاَ، وَلَكِنْ كَرِهتُ أَنْ أَقتلَكُم عَلَى المُلْكِ»[1].

## تَبْرِيرَاتُ الصُّلْحِ

يتوهم السـامعَ هـذه الروايةَ أنَّ الإمام الحسـن إنَّما تـرك الحربَ زُهْدا بالملـك فقط، ولـئن كان هذا التبريـر صحيحًا فإنَّ للإمـام تبريرات كثيرة يجب على الباحث المنصف تَتَبُّعُها ودراستُها دراسةً واقعيَّة، وهو لذلك - كما جاء في بعض الروايات- قال لمنتقديه: "لست مذل المؤمنين، ولكني معزهم، مـا أردتُ بمصالحتي معاويةَ إلَّا أنْ أدفعَ عنكمُ القتلَ عندما رأيتُ مِنْ تَباطُؤِ أصحابي عَنِ الحربِ، ونكولِهِمْ عنِ القتال، ووالله لَئِنْ سِرْنا إليهِ بالجبالِ والشجرِ ما كانَ بُدٌّ مِنْ إفْضاءِ هذا الأمرِ إليهِ»[2].

---

١ - محمد بن أحمد الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٤، ص٣٤٣.

٢ - أحمد بن داود ابو حنيفة الدينوري: الأخبار الطوال، ص٢٢١.

وعندما خرجوا من عنده، دخلوا على الحسين، فأخبروه بما ردَّ عليهم أخوه الحسن، فقال الحسين لهم: «صدق أبو محمد، فليكنْ كلُّ رجلٍ منكم حِلْسًا مِنْ أحلاسِ بيته (أي: مُلازمًا للبيت)، مادامَ هذا الإنسانُ حيًّا (يقصد معاوية)».

لقد ذكر الرواة الكثير من التبريرات التي أظهرها الإمام الحسن لأتباعه لئلا يقعوا فريسة الوهم والمخالفة والمعصية والارتداد، فعَنْ يُوسُفَ بْنِ مَازِن، قَالَ: قُلْتُ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "يَا مُسَوِّدَ وُجُوهِ الْمُؤْمِنِينَ، عَمَدْتَ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ، فَبَايَعْتَ لَهُ، يَعْنِي مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أُرِيَ فِي مَنَامِهِ بَنِي أُمَيَّةَ يَعْلُونَ مِنْبَرَهُ خَلِيفَةً خَلِيفَةً، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تعالى: ﴿**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ**﴾ [سورة الكوثر؛ الآية ١] وَ ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ**﴾»[1] [سورة القدر؛ الآية ١-٣].

لَقائلٌ يقول في الحديث مقالاً ويعُدُّه من الأحاديث المنكرة أو المضطربة، إلَّا أنَّ علينا الوقوف على جملة من الأحاديث الواردة في هذا الشأن، فعَنْ سُفيانَ بن سعد قَالَ: "أَتَيْتُ حسنَ بنَ عَلِيّ بَعْدَ رُجُوعه من الكُوفَة إِلى المَدينة فَقُلْتُ لَهُ: يَا مُذِلَّ المؤمنينَ. فَكَانَ ممَّا احْتَجَّ عَلَيَّ أَنْ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: لَا تَذْهَبُ الأَيَّامُ والليالي حَتى يَجْتَمِعَ

١ - محمد بن جرير الطبري: تفسير الطبري، ج٢٤، ص٥٤٦.

أَمْرُ هَذه الأمَّة عَلى رَجُلٍ وَاسِعِ السُّرْمِ (الأمعاء)، ضَخْمِ الْبُلْعُومِ، يَأكُلُ وَلَا يَشْبَعُ، وَهُوَ مُعَاوِيةُ فَعَلِمْتُ أَنَّ أَمْرَ الله وَاقِعٌ»[1].

وعن سُفْيَانُ بْنُ اللَّيْلِ قَالَ: "قُلْتُ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ لَمَّا قَدِمَ مِنَ الْكُوفَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ: يَا مُذِلَّ الْمُؤْمِنِينَ!

قَالَ: لَا تَقُلْ ذَلِكَ، فَإِنِّي سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: 'لَا تَذْهَبُ الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي حَتَّى يَمْلِكَ مُعَاوِيَةُ'. فَعَلِمْتُ أَنَّ أَمْرَ اللَّهِ وَاقِعٌ، فَكَرِهْتُ أَنْ تُهْرَاقَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ دِمَاءُ الْمُسْلِمِينَ»[2].

وعن إسماعيل بن عبيد بن رفاعة عن أبيه أنَّ عبادة بن الصامت قام قائمًا في وسط دار عثمان بن عفان فقال: "إني سمعت رسول الله محمداً أبا القاسم ﷺ يقول: سَيَلي أموركم من بعدي رجالٌ يُعَرِّفونكم ما تُنكرون، ويُنكرون عليكم ما تعرفون، فلا طاعة لمن عصى الله تعالى، فلا تعتبوا أنفسكم، فوالذي نفسي بيده، إنَّ معاوية من أولئك، فما راجعه عثمان حرفًا»[3].

---

١ - نعيم بن حماد المروزي: كتاب الفتن، ج١، ص١١٦. (١/ ١١٦) . جلال الدين السيوطي: جمع الجوامع المعروف بـ «الجامع الكبير»، ج٣، ص٢٦٥، و ج٢٠، ص٩٢.

٢ - علي بن الحسن ابن عساكر:تاريخ دمشق، ج٥٩، ص١٥١.

٣ - أحمد بن الصدِّيق الغماري: المداوي لعلل الجامع الصغير وشرحي المناوي، ج٤، ص٢٥٢.

وإذا كان معاوية مؤسس الدولة الأموية من المغيِّرين المبدِّلين فإنَّ النبي (ص) لعن مروان بن الحكم ومن وُلد من صلبه فعن الشعبي قال: سمعت عبد الله بن الزبير وهو مستندٌ إلى الكعبة وهو يقول: "ورب هذه الكعبة لقد لعن رسول الله ﷺ فلانًا وما ولد من صلبه»[١]. وفي رواية البزار أنه قال: «لقد لعن الله الحكم وما وَلَدَ على لسان نبيه ﷺ»[٢].

وكما لعن النبي هؤلاء المبدِّلين فإنَّه أمر الأمة بالتخلص من إجرامهم وعدوانهم وسفكِهم الدماء واغتصابِهم البلاد والحكم وحقوق العباد، وفي ذلك يقول: «إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما»[٣]. والمقصود بذلك من خلال الجمع بين الروايات: إذا بويع لعليٍّ (وقد بويع علي عند الغدير) ثم بويِعَ غيرُه، كمعاويةَ، فاقتلوا الآخر، أي: معاوية، وهذا ما جاء مبيَّنًا في الحديث الآخر الذي قال فيه ﷺ: "إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه»[٤].

---

١ - أحمد بن محمد الشيباني ابن حنبل: مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج٢٦، ص٥١، ح١٦١٢٨.

٢ - أحمد بن عمرو البزار بن عبد الخالق: مسند البزار، ج٦، ص١٥٩، ح٢١٩٧.

٣ - مسلم بن الحجاج النيسابوري: صحيح مسلم، ج٣، ص١٤٨٠، ح٦١.

٤ - محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري: تاريخ الطبري، ج١٠، ص٥٨. عبد الحميد بن هبة الله ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج١٥، ص١٧٦. أحمد بن يحيى البلاذري: أنساب الأشراف، ج٥، ص١٢٨. محمد ابن عقيل: العتب الجميل على أهل الجرح والتعديل، ج١، ص٥٤. حسن بن علي السقاف: زهر الريحان في الرد على تحقيق البيان، ج١، ص٩٠.

وقد ورد هذا الحديث بألفاظ عديدة، منها ما جاء عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا رأيتم معاوية بن أبي سفيان يخطب على المنبر فاضربوا عُنُقَهُ"[١].

وعن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه؛ فَتَرَكوا أَمْرَهُ فلم يُفْلِحوا ولم يَنْجَحوا"[٢].

عن الأعمش عن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "سيظهر على الناس رجل من أمتي، عظيم السُّرم (الأمعاء)، واسع البلعوم، يأكل ولا يشبع، يحمل وزر الثقلين، يطلب الإمارة يومًا، فإذا أدركتموه فابقروا بطنه، قال: وكان في يد رسول الله ﷺ قضيب، قد وَضَعَ طَرَفَه في بطن معاوية"[٣].

وعن سالم بن أبي الجعد قال: قال رسول الله ﷺ: "معاوية في تابوت مقفل عليه في جهنم"[٤].

بالعودة إلى تنبيه الإمام الحسن على اختياره الصلح مع معاوية، نجد أنَّه في تلك الروايات التي مر ذكرُها مع جملةٍ من الأحاديثِ المتضافرةِ التي تدل على صناعةِ الحزبِ الأُموي أكبر جبهة ضد الإسلام الحنيف.

---

١ - أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري: أنساب الأشراف، ج٥، ص١٣٠.
٢ - أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري: أنساب الأشراف، ج٥، ص١٢٨.
٣ - عبد الحميد بن هبة الله ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج٤، ص١٠٨.
٤ - أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري: أنساب الأشراف، ج٥، ص١٢٨.

يستدرك (أي: الإمام الحسن) على من يعيبون عليه الصلح، ثم يعطيهم خيوطًا وبراهين تؤكد على صحة ما ذهب إليه.

فالإمام الحسن بعد دراسة الواقع تيقن أنَّ معاويةَ يتقلد السلطتين: الدينية والسياسية بالقوة والظلم والهيمنة والخداع ، وأنَّ معرفةَ النَّاسِ لصاحبِ السلطةِ الدينيَّةِ الحقّ مِنْ أوجبِ الواجباتِ لئلا يستمرَّ تشويهُ الدين من خلال القوة السياسية التي يتقلدها معاوية وإعلامه المجرم الذي ما ترك شيئًا إلا شوَّهه، حتى وصلت به الجرأة إلى أن يَسُنَّ سِبابَ أميرِ المؤمنين على المنابر، وهذه السنَّة بِحَدِّ ذاتها هي عين الكفر والخروج عن دائرة الإسلام، وهي بالتالي تؤسس لدينٍ أُموي يناهض كل تعاليم الشريعة والحق ويشرع للطلقاء سِباب النبي وتحريف العقيدة والنكوص على الأعقاب واستعادة أمجادِ الجاهليةِ والثأر من محمَّد رسول الله ﷺ والتشكيك بكل حقيقة وتزييف كل خبر.

جاء عن أبي عبد الله الجدلي قال: "دخلت على أم سلمة فقالت لي: يا أبا عبد الله، أيُسَبُّ رسول الله ﷺ فيكم ثم لا تغيِّرون؟ -وفي رواية: على المنابر وأنتم أحياء؟-.

قلت: معاذ الله! أو سبحان الله! - أو كلمة نحوها –

قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من سبَّ عليًّا فقد سبني.

وفي رواية: قلتُ: وأنىَّ ذلك؟

قالت: أليس يُسَبُّ عليٌّ ومَنْ يُحِبُّه؟ فأشهد أنَّ رسول الله ﷺ كان

يحبه"[١].

وفي رواية قالت: «أليس يُسَبُّ علي ومن يحبه؟ وقد كان رسول الله ﷺ يحبه»[٢].

وفي رواية عن أبي عبد الله الجدلي قال: «حججت وأنا غلام، فمررت بالمدينة، وإذا الناس عنق واحد، فاتبعتهم، فدخلوا على أم سلمة زوج النبي ﷺ، فسمعتها تقول: يا شبيب بن ربعي.

فأجابها رجل جلف جاف: لبيك يا أمتاه.

قالت: يُسب رسول الله ﷺ في ناديكم؟

قال: وأنَّى ذلك (أي: كيف ذلك)؟

قالت: فعليٌّ بن أبي طالب؟

قال: إنا لنقول أشياء نريد عرض الدنيا.

قالت: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: 'من سب عليا فقد سبني، ومن سبني فقد سب الله تعالى'»[٣].

إن التفرغ للقضايا الدينية وتكريس المرجعية المحمدية هو الأساس الذي يجب العمل عليه في نظر الإمام الذي عرف من جده أن معاوية سيحكم لا

---

١ - أحمد بن محمد الشيباني ابن حنبل: فضائل الصحابة، ج٢، ص٥٩٤، ح١٠١١.

٢ - سليمان بن أحمد الطبراني: المعجم الكبير، ج٢٣، ص٣٢٢، ح٧٣٧. أحمد بن علي الموصلي أبو يعلى: مسند أبي يعلى،ج١٢، ص٤٤٤، ح٧٠١٣.

٣ - محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص١٣٠، ح٤٦١٦.

محالة، وأن التصحيح يبدأ من خلال هذا الصلح الذي يفضح الأكاذيب الأُموية ويُفسح المجال في تعرُّف الناس على الربِّ المعبودِ وعلى النبيِّ المتبع وعلى وصيه الذي عينه حاكمًا متبوعًا يوم الغدير، وعلى أوصيائه المحمديين وعِدل الكتاب المبين؛ ومن خلال هذه المعارف يتم فضح الفراعنة الذين يَنزون على منبر النبي فينصبون أنفسهم أرباب على الناس تجب طاعتهم ويحرم الخروج عليهم، وهكذا يتصدرون المجالس ويشرِّعون بالقوة ما يريدون.

لقد تقدم معاويةُ على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وهو بذلك قد وصل به الانحراف كل مبلغ، لكن انحرافه كانحراف أبيه من قبله، إذ لابد من الوقوف بوجهه وقفةً تسمح بنشر الوعي وتمنح الناس فرصة الدخولِ تحت راية الإمامِ الحسنِ الثقافيَّة والفكريَّة والعقائديَّة المحمَّديَّة، ومتى عرف الناس هذه الحقائق والوقائع على لسان محمد رسول الله ﷺ مع وقوف الحملات الإعلاميَّة التشويهيَّة استطاع الناس التفكير والتمييز والاختيار بين السلطة السياسية المنحرفة، والسلطة التي تركت الشؤون السياسيَّة لتعمل على إصلاح الواقع الديني والثقافي والاجتماعي. من هنا نفهم قوله ﷺ للناس: «إِنَّ مِنْكُمْ مَنْ يُقَاتِلُ عَلَى تَأْوِيلِه، كَمَا قَاتَلْتُ عَلَى تَنْزِيلِه.

قَالَ: فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ. فَقَالَ: لَا، وَلَكِنْ خَاصِفُ النَّعْلِ. وَعَلِيٌّ يَخْصِفُ نَعْلَهُ»[1].

---

١ - أحمد بن محمد الشيباني ابن حنبل: مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج١٧، ص٣٩١، ح١١٢٩٠.

إن قضيــة التقدم على الإمام علي ليســت قضية عابرة تمرُّ مرور الكرام، إذ جعلها النبيُّ الأعظم من باب الارتداد والنكوص على الأعقاب، لذا قال لعلي: «لا يتقدمنَّك أحدٌ بعدي إلاّ كافر، ولا يتخلَّفُ عنكَ بعدي إلاّ كافر، وإنَّ أهلَ السماواتِ لَيُسمُّونَكَ أميرَ المؤمنين»[١].

هنا، نعود أيضًا إلى صلح الإمام الحسن لنفهمَ أنَّه إنَّما اتبع منهاج جَدِّه رسول الله ﷺ بحذافيره لمن يتخلف عنه مقدارَ ذرةٍ، فعن أبي سعيد عقيصا قال: "قلت للحســن بن عــلي بن أبي طالب يا بن رســول الله، لم داهنت معاوية وصالحته وقد علمت أنَّ الحق لك دونه وأنَّ معاوية ضال باغ؟

فقــال: ...يا أبا ســعيد علة مصالحتــي لمعاوية علة مصالحة رســول الله ﷺ لبني ضمرة وبني أشــجع ولأهل مكة حين انــصرف من الحديبية أولئك كفار بالتنزيل ومعاوية وأصحابه كفار بالتأويل، يا أبا ســعيد إذا كنتُ إمامًا من قبل الله تعالى ذكره لم يجب أن يُسفَّه رأيي فيما أتيته من مهادنة أو محاربة، وإنْ كان وجه الحكمة فيما أتيته ملتبسًا ألاَّ ترى الخضر عليه السلام لما خرق السفينة وقتل الغلام وأقام الجدار ســخط موسى عليه السلام فعله لاشتباه وجه الحكمة عليه حتى أخــبره فرضي؛ هكذا أنا، ســخطتم عليَّ بجهلكم بوجــه الحكمة فيه ولولا ما أتيتُ لما تُرِكَ من شيعتِنا على وجه الأرض أحدٌ إلا قُتِل»[٢].

---

١ - ابو العباس الحسني: المصابيح في السيرة، ج١، ص٢٧٩.

٢ - الشيخ الصدوق محمد بن علي ابن الحسين القمي: علل الشرائع، ج١، ص٢١١.

صلحُ الإمـامِ كان ضمانةً لحفظِ كلِّ من تشـيَّع لآل البيت مناصرًا لهم مؤمنًا بمنهاجهم لا يخشى في الله تعالى لومة لائم، ولا يخفى على العقلاء كيف ستتسـع دائرة الموالين والمحبين والمتشيعين لآل البيت بسبب هذا الصلـح، خصوصًا عندما يصير التعرف على آل البيت متاحًا لعموم الناس في شـتى أصقاع العالم الإسـلامي، حتى في الشام مسـتقَر وعاصمة بني أمية؛ وهذا عين ما حدث يوم الحديبية يوم تعرَّف العرب على النبي الكريم ودخلوا في حلفه، حيثُ أضحى قوةً مؤثرةً على النفوس والعقول والأفكار إذ صحـح المفاهيـم وأنار للناس الدروب وكشـف اللثام عـن كل تزوير عملت قريش على نشره طوال عشرين عامًا.

وعَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: "خَطَبَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بِالنَّخْلَةِ حِينَ صَالَحَ مُعَاوِيَةَ، فَقَـامَ فَحَمِدَ اللَّهَ تعالى وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَـالَ: 'إِنَّ أَكْيَسَ الْكَيْسِ التُّقَى، وَإِنَّ أَعْجَـزَ الْعَجْزِ الْفُجُـورُ، وَإِنَّ هَذَا الْأَمْرَ الَّذِي اخْتَلَفْتُ فِيـهِ أَنَا وَمُعَاوِيَةُ حَقٌّ لامْـرِئٍ، وكَانَ أَحَقَّ بِحَقِّهِ مِنِّي، أَوْ حَقٌّ لِي فَتَرَكْتُهُ لِمُعَاوِيَةَ إِرَادَةَ اسْـتِصْلَاحِ الْمُسْلِمِينَ وَحَقْنَ دِمَائِهِمْ، وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ، وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَاسْتَغْفَرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ»[1]

وفي رواية أنَّه قال في خطبته: "إنمَّا الخليفةُ مَنْ سارَ بكتابِ اللهِ، وسُنَّةِ

١ - محمـد بن عبد الله الحاكم النيسـابوري: المسـتدرك عـلى الصحيحين، ج٣، ص١٩٢، ح٤٨١٣.

نَبِيِّـه ﷺ، وليس الخليفةُ مَنْ سـارَ بالجَـوْر، ذلكَ مَلِكٌ مَلَـكَ مُلْكًا يُمَتَّعُ بـه قليلاً ثُمَّ تَنْقَطِعُ لَذَّتُـهُ وتَبْقى تَبِعَتُهُ، وإنْ أَدْرِي لَعَلَّـهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ ومَتاعٌ إلى حِين»[1].

لقد حدَّد الإمام الحسـن طبيعة الخلاف بين خطين اثنين: خط الإيمان والتقوى والعدالة الذي يسـير عليه والـذي ورثه عن أبيه وجده، وبين خط الفجـور الـذي ورثه معاويـة عن أبيه وأمـه. ثم شرع في تبيـين صفة إمام المسـلمين سواء أكانت السـلطة السياسـيَّة بيده أو بيدِ غيره، مفرِّقًا ما بين الخليفـةِ الربانيّ المحمَّديّ العادلِ، وبـين الملك الذي يتربع على العرشِ بالجَـورِ والظلمِ وتعطيل الدين والسـنة وتحريف الشرائـع وعبادة الدنيا، لتكون عاقبته عند الله وخيمة وحسابه عسيرا.

أمَّا معاوية فقـد كان على النَّقيض، إذ أكد للناس أنَّه إنمَّا حارب خلفاء النبي (عليًّا وابنه الحسن)، وخاض في دماء المسلمين وأعراضِهم من أجل الْمُلك؛ فعَنْ سـعيد بن سـويد قال: صلى بنا معاوية بالنخيلة -يعني خارج الكوفـة- الجمعة في الضحى، ثم خطبنا فقال: "مـا قاتلتُكم لِتَصُومُوا ولا لِتُصَلُّـوا ولا لِتَحُجُّوا ولا لِتُزَكُّوا. قَـدْ عَرَفْتُ أَنَّكُمْ تَفْعَلونَ ذلكَ، ولكنْ إنمَّا قاتلتُكُمْ لأتأمَّرَ عليكُمْ، فقد أعطاني اللهُ تعالى ذلكَ وأنتُمْ كارهون»[2]

١ - ابو الفرج علي بن الحسين بن محمد الأصبهاني: مقاتل الطالبيين، ص٨٠.
٢ - يعقوب بن سفيان الفسوي: المعرفة والتاريخ، ج٣، ص٣١٨.

قال شريك في حديثه: «هذا هو التهتّك»[١]

ولمـا بويع معاوية خطـب فقال: "ما اختلفـتْ أمَّةٌ بعد نَبيِّهـا إلّا ظَهَرَ أهـلُ باطلِها على أهـلِ حَقّها، ثمَّ إنَّه انْتَبَهَ فَنَدِمَ، فقـال: إلّا هذه الأمَّة فإنَّها وإنَّها»[٢].

## المَبْحَثُ الثَّالِثُ:
## مَتَى نَكَثَ مُعَاوِيَةُ العَهْدَ مَعَ الإِمَامِ الحَسَنِ؟

أمَّـا الروايات التي تذكر أنَّ معاويةَ اسـتعلن بنَكْثِه العهد وعدم الالتزام بالمواثيـق التي أبرمها مع الإمام الحسـن فور تنازل الحسـن عن السُّـلطة فهـذا لم يكن، بل لا يمكن أنْ يقبل به عاقـل، لأنَّه لو حدث لما تمَّ صلحٌ ولرجع النزاع إلى سابقِ عهده؛ إلَّا أنَّ الباحثَ يرى جليًّا كيف نقض معاوية عهـده لكن بعد أن اسـتتبت له الأمـور، وذلك بعد عشر سـنوات مضت على الصلح، إذ غيَّرَ الديموغرافيا السياسَـية[٣] للكوفة بتهجير معظَم أهلها

١ - ابو الفرج علي بن الحسين بن محمد الأصبهاني: مقاتل الطالبيين، ص٧٧.
٢ - ابو الفرج علي بن الحسين بن محمد الأصبهاني: مقاتل الطالبيين، ص٧٧.
٣ - الديموغرافيا السياسية، مجال للاندماج، وكذلك تغيير الحدود والهوية، ما يمكن أن يعيد رسم حدود المجموعات السكانية بطريقة غير ممكنة مع السكان الأحياء.

-الموالين للإمام علي ولأبنائه- إلى خراسان، مستقدمًا موالين له من خارج الكوفة ومن القبائل نفسها التي قام بتهجيرها.[١]

مـن هذه الروايات التـي يذكرها المؤرخون والتي نـرى أنَّها كانت بعد استِتْبَاب الأمر لمعاويةَ، حيثُ عمل على نقض العهد مُصِرًّا على تعيين ابنه يزيد خليفة، ما أورده الإخباريون من أنَّ معاوية خطب وذكر عليًّا، فنال منه، ونالَ منَ الحسـن، فقام الحسين ليردّ عليه، فأخذ الحسن بيده فأجلسه، ثم قام فقال: «أيّها الذاكرُ عليًّا، أنا الحسـنُ، وأبي عليٌّ، وأنتَ معاويةُ، وأبوك صخرٌ، وأمي فاطمةُ، وأمُّك هندٌ، وجَدِّي رسـولُ الله ﷺ، وجَدُّكَ حَرْبٌ، وجـدَّتي خديجةُ، وجدَّتُكَ قتيلـةُ، فَلَعَنَ اللهُ أَخْمَلَنا ذِكْرًا، وأَلْأَمَنا حَسَـبًا، وشَرَّنا قَدَمًا، وَأَقْدَمَنا كُفْرًا ونِفاقًا». فقال طوائفُ منْ أهلِ المسجدِ: آمين[٢]. أما رواة هذا الخبر فكانوا يردِّدون آمين كما ردَّد أهلُ المسجد آمين».

وعن أبي إسحاق قال: "سمعت معاويةَ بالنخيلة يقول: ‘ألا إنَّ كلَّ شيءٍ أعطيتُه الحسـنَ بـنَ عليٍّ تحتَ قدميَّ هاتين لا أفي به’. قال أبو إسـحاق: وكان والله غدّارًا!»[٣]

لقد عرَّى صُلح الحسن معاويةَ وأظهر حقيقته للناس، وعرفت الخلائق

---

١ - ينظر في هذا الشـأن العلامة السـيد سـامي البدري، الإمام الحسـن في مواجهة الانشقاق الأموي.

٢ - أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد الأصبهاني: مقاتل الطالبيين، ص٧٨.

٣ - أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد الأصبهاني: مقاتل الطالبيين، ص٧٧.

صدق نبوءة جده رسول الله في عملية الإصلاح الفكري والديني والثقافي والاجتماعي والعقائدي، فبعد أن كانت فئة عظيمة من المسلمين قد اغترت بمعاوية وإعلامه ظانَّة أنَّه يمثل الإسلام والحق، جاء انعقادُ الصُّلحِ كضربةٍ قويَّةٍ زلزلت كيان الفكر الأُموي والعقيدة التي بثَّها في الناس والتي توسَّل فيها نقض الآيات القرآنية والتعاليم النبوية، حيث عرفت الجماهير الغفيرة أنَّ معاويةَ لا يعرف وُد ذوي القربى، وأنه حرب عليهم وعلى الكتاب الآمر بودهم وعلى النبي الذي ينتمون إليه.

لقد فتح الإمام الحسن الطريق مشرعةً للفئةِ التي غَرَّرَ بها بنو أُمية، وعمل بمنتهى الرحمة المحمَّديَّةِ إشفاقًا على الناسِ من الهلاك والضياع من قبل أن يصلهم نور الحق الذي يظنون أنهم يتبعونه، وضَحَّى بكل الدنيا إذ وضعها تحت قدميه من أجل أنْ يغرس في الخلق تعاليم الإسلام الحق، وتنازل عن الخلافة والقوة والمنعة والجيوش حفاظًا على الأرواح والنفوس التي وصلها الإسلام مشوَّهًا ناقصًا.

وبعد صلحٍ دام عشرُ سنوات استطاع الإمام الحسن خلالها إظهار منهاج عليٍّ أمير المؤمنين في كل بِقاع الأرض، وجد معاويةُ أنَّ عليًّا الذي كان يُسَبُّ على المنابر التابعة لبني أميَّة قبل الصلح، قد صار حديث المنابر والمنائر التزامًا بالمعاهدة التي قضت بمنع سِباب علي، وهكذا استفاق معاويةُ واسم (عليٍّ) يدور في كل مكان وعلى كل لسان. هنا كان لا بد من أنْ ينقلبَ على عقبيه وأنْ يرجع إلى سابق عهده بالكذب والنفاق والكفر والإجرام، إذ دسَّ

السُّـم للإمام الحسن وتخلص منه وبدأ مرحلة جديدة من الانقلاب الثقافي والديني والعقدي، ليثبت أركان دولته القرشيَّةِ التي لم تنس ثأرها من محمَّد وأهـل بيتـه الذين جعلوا من بنـي أمية وأزلامهم أمة طلقـاءٍ لا قيمة لهم في الإسـلام ولا عند الله ولا عند رسوله، ولاسيَّما أنَّ النبيَّ كان عارفًا بانقلابِهم وارتدادهم وعدم إيمانهم وسعيهم إلى الثأر من دين الله.

وكما كان عليٌّ موقنًا بأنَّ الأمَّةَ سـتغدر به بعد النبي، كان الإمام الحسـن موقنًا أنَّ معاويةَ سيغدر به وأنَّ الأمَّةَ لن تقفَ صفًّا واحدًا ضد معاويةَ وسطوته وجبروتِه وشرائِه الذِّمَمَ، كذلك كان الإمام الحسن موقنًا أنَّ هذا الأمرَ هو فتنةٌ للأمَّة كما كان صلحُ الحديبيةِ فتنة للأمَّة، وكان على دراية تامة أنَّ أمرَ الأمَّة لا يتمُّ ولا يصلح إلا على يدِ مهديٍّ آخر الزمان، وأنَّ لكل إمام مهمة يجب عليه القيام بها مهما كانت صعيبة معقدة؛ لذا قال لسـفيان: "أَبْشِرْ يا سـفيانُ فإنَّ الدنيا تَسَعُ البرَّ والفاجرَ حتَّى يَبْعَثَ اللهُ إمامَ الحقِّ مِنْ آلِ محمَّد ﷺ"[1].

انتظـارُ الفرجِ خيرُ عملٍ يقوم به المؤمن، لكـنَّ الانتظار الذي يروِّجُ له الأئمَّـة هو الانتظارُ المشـفوعُ بالعملِ والتوطئةِ لخروجِ إمـامِ آخرِ الزمان، ولقـد علَّم الأئمَّة الناس من بعدهم كيـف يتعاملون مع المتغيرات بمرونة تمكِّنُهـم مـنْ نـشر الحـق والحفاظ عـلى العقيـدة والمنهج مـن التغيير والتحريف والتبديل الذي سـعت وستسعى سياسات الاستكبار في العالم

١ - ابو الفرج علي بن الحسين بن محمد الأصبهاني: مقاتل الطالبيين، ص٧٦.

إلى تغييبــه عن الناس والقضــاء عليه إلى أن يخرج الإمــامُ المغيَّب مقيمًا ميزان العدالةِ ومزلزلاً كيان الظلم والظلام.

**يُسْــتَفَادُ مِنْ هَذَا التَّأْسِــيسِ أَنَّ الإِمَــامَ الحَسَــنَ أَرَادَ مِنْ خِلَالِ صُلْحِهِ مَعَ مُعَاوِيَةَ:**

١. أن يحقــق العــزة للمؤمنين الذيــن عرفوا منهج النبــي والعترة الطاهــرة، والذين ضلُّوا عن هذا المنهج ليتم تعريفهم بالمنهج فيتمكنوا من الالتزام بالدين الحق.
٢. الحفاظ على أرواح الناس من الهلاك من قبل أن تتحقق الغايات النبيلة والأهداف السامية التي يحملها الإمام بين جنبيه.
٣. عدم خــوض معارك لا تؤتي ثمارهــا ولا تحقق أهدافها في ظل قيادته جيشًا منهكًا يتطلبُ قادةً عقائديين ورجالات ذوي موثوقيَّةٍ عاليةٍ وروحيةٍ متألقة لا يستســلمون أمــام المغريات ولا يبيعون دينهــم بعرض من الدنيا، كــما كان من (عبيد اللــه بن العباس) الذي كان أحد قادة الإمام الحسن وابن عمِّه، إلا أنَّ معاويةَ أغراه بالمــال فهرب إليه، مع العلم بأنَّ عامــلَ معاوية (بسر بن أرطأة) كان قد قتل طفلــين لعبيد الله هذا أمام أمهما التي فقدت عقلها إثر هذه الحادثة الأليمة المفجعة والمجزرة المخيفة[1].

١ - يوسف بن عبد الله القرطبي: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج١، ص١٥٩.

٤. رغـم أنَّ جيش الإمام الحسـن كان عظيـمًا إلَّا أنَّ شراءَ الذمم والوجهاءِ وضعافِ النفوسِ والإيمانِ سيقلب الأمور رأسًا على عقِب، وسيسمح لمعاويةَ بكشف الثغرات المحتملة في جيش الحسـن، وهذا ما سـيمكن معاويـة من القضـاء على خُلَّص أتباعه الذين كانوا على اسـتعدادٍ تامٍّ للموت في سـبيل الحق؛ وبذلك يفقد الإسـلام رجالاته الشرفـاء، ويبقى بعدهم الرعاع الذين يتبعون كل نَاعق، أو الذين يبيعون دينهم بثمن بَخس.

٥. تأمـين الأجـواء الهادئة اجتماعيًّـا وثقافيًّـا واقتصاديًّـا وأمنيًّا والملائمـة لحركته وأهدافه الجديـدة القائمة على نشر الوعي والدعوة إلى الإسلام المحمَّدي الصافي كما أُنزل بلا تحريفٍ ولا تغيير، وهذه الأجواء من شأنها أنْ تساعد على بناء الحضارة الإسلاميَّة وازدهار المعارف الإسلاميَّة.

٦. تنفيذُ العهـودِ المحمَّديَّة التي تلقاها عن أبيه وجَده والتي تفيد بأنَّ الأمَّةَ ستتخلى عن عهده له كما تخلت عن عهد الغدير.

٧. الإيمانُ اليقيني من الأخبار المعجزة التي أخبر بها النبي من أنَّ معاويةَ سيملك وسيكون الأمر إليه.

٨. تعزيـز الإيمـان بالمعجزات التـي أخبر النبي عـن وقوعها لا محالةَ معه والتي ستقع لأخيه الحسين من بعده.

٩. بمـا أنَّ الأمـرَ سـيفضي إلى معاويةَ فـإنَّ الإمامَ كان منشـغلَ

التفكـيرِ بالطريقـةِ الناجعـةِ التي يصل بهـا إلى عقول الناس وأفئدتهم، ليقدم لهم الإسـلامَ المحمَّدي الذي هجروه بتغيير السـلطات المتعاقبة؛ لذا وجد الفرصةَ الذهبيةَ في اسـتغلال ظـروف الصلحِ بنشر المعارفِ والعلـومِ والشريعةِ المحمَّدية القويمةِ.

١٠. إظهـار خيانـة معاويـة وانقلابه عـلى العهـود والمواثيق كما انقلبـت من قبله قريش على رسـول الله بعد صلـح الحديبية -وهـذا ما كان- فبعـد أنْ قطع معاويةُ على نفسـه عهدًا للإمام الحسن "أنَّ الخلافة لك من بعدي" والمقصود بذلك أن تكون الإمامةَ في آل بيتِ محمد ﷺ، ثم ما كان منه بعد أن اسـتتبت له البلاد عندما أراد البيعةَ لابنه يزيد -حيثُ الإمام الحسـن في مدينة جَـده، يُعلم النَّاس وينشر الدعاة في كل الأنحاء- إلَّا أنْ اسـتفاق على النهج الإسلامي المحمدي وقد انتشرت تعاليمه في الأرض، فلم يكن شيءٌ أثقل عليه من أمرِ الحسَـن بن علي الذي دسَّ له السُّم فمات من جَرَّاء ذلك[1].

١١. تثبيـتُ مكانةِ آلِ بيتِ النبوَّةِ ومرجعيَّتِهـم وأحقِّيَّتِهم في الإدارةِ الدينيَّةِ والسياسيَّةِ، والاكتفاء بالإدارة الدينية عند تعذر الأمور.

---

١ - أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد الأصبهاني: مقاتل الطالبيين، ص٨٠.

١٢. الفصل ما بين مرجعية آل البيت ومرجعية السقيفة التي كانت الستار لكل من وقف في وجه المشروع النبوي وخط الأئمة الأوصياء، بل أضحت دينًا به تَقْتُلُ الأُمَّةُ عِترَةَ نَبِيِّها وأهل بيته الذين أَمَرَ الحقُّ تعالى بمودتهم.

١٣. فسح المجال أمامَ النَّاس كي يختاروا ما بين خطَّين اثنين لا ثالث لهما: خط الإسلام الذي يمثله ويدعو إليه آل البيت الأطهار (الكتاب والعترة: "تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي: كتاب الله وعترتي أهل بيتي..."[1])، أو بين خط قريش الذي يريد الثأر من النبي وآل بيته؛ هذا الخط الذي حمله معاوية ومَنْ مَعَهُ مِنْ بني أميَّة فكان القِمَّةَ في العداء للإسلام بتشويه صورته واستخدامه ستارًا لكل الفظائع والجرائم المرتكَبَة.

١٤. تعريف الأُمَّة بثقافة الانتظار التي تكون مَرَّةً بِسَلّ السّيف ومقارعة الأعداء، كما قد تكون بعقد الصلح وبسلّ سيوف الفكر والمعرفة والثقافة والوعي، وأحيانًا أخرى قد تكون بالحرب حتى الشهادة وبذل الدماء التي تكتب فجرًا جديدًا وتخط تاريخًا مجيدًا ولو لم تتحقق الغاياتِ والأهدافَ في الحال.

١٥. صلحُ الحسنِ وعدٌ إلهيٌّ ومعجزةٌ نبويَّةٌ أخبر جده عنها وأعلن

---

١ - أحمد بن محمد الشيباني ابن حنبل: مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج١٦، ص٢١١، ح١١١٣١.

للناس أنَّ الحسنَ سيكون بطلها فقال: "إنَّ ابني هذا سيدٌ ولعل الله أنْ يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين"[1]؛ ولقد عرفت الأمة مَن السيد الذي يجب أنْ يحكم ومن المسُود الذي يجب أنْ يلتزم، فصلحه أضاء على الحقيقة وعلى من اغتصب الحق واعتدى على شريعته.

١٦. هاتان الفئتان اللتان تقتتلان دعواهما واحدة، أي أنَّ كلَّ فئة تدَّعي الإسلام والالتزام بمنهج الله تعالى ورسوله ﷺ، وأنَّ كل فرقة منهما تدعي أنَّ الحق إلى جانبها، ولقد قرن النبي ﷺ بين من يدعي الحق زورًا وبين صاحب الحق، وأخبر عنهما بلفظ المدعي، وذلك من حيث الظاهر الذي قد يُشكِل على بعض النَّاس الذين لا يعرفون وجه الحق ولا يطلبونه، فعند النزاع والاختلاف الكل يدَّعي أنَّ الحقَّ معه إلَّا أنَّ صاحبَ الحق لا يمكن أنْ يكون كِلا المدَّعِيَيْن، وإذا عرفنا أنَّ عليًّا هو صاحب الحق، وأنَّ الحق معه كيفما دار، وأنَّه هو ولي كل مؤمن ومؤمنة، عرفنا أنَّ فريق معاوية هو الفريق المدعي كذبًا وزورًا وبهتانًا بأنَّ الحق معه، ثم هو يتظاهر بذلك ويمثل هذا الدور ليخلط على أتباعه

١ - محمد بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري، ج٣، ص١٨٦، ح٢٧٠٤.

وعـلى النَّاس الحقائق، هو في حقيقة أمره ليس سـوى مدعٍ. ولعـل هذا الجمع منه ﷺ بين الفئتـين بصفة واحدة يحوج الباحـث عن الحـق إلى التأمل والتدبـر والتعمق في الهَدْي النبـوي ليقع على ما فيه مرضاة الرب تبارك وتعالى، ففئة من هاتين الفئتين تقتـل (عمَّارًا)، و(عـمار) يدعوهم إلى الجنَّة ويدعونه إلى النار. وفئة من هاتين الفئتين هي فئة القاسـطين وعـليٌّ هو الذي يقاتل القاسـطين. فمن خـلال الجمع بين الروايات نسـتطيع تلمـس الحقيقة التي حرفهـا المحرفون بدعـوى التمسـك بالهَـدْي النبـويِّ، وهو مما ادعـوه براء؛ وبحُجـة الانتصار لأصحـاب النبي، والأصحـاب الأجلاء من ذلك التزييف بـراءٌ براء. أمَّا إذا كان دفاعهم عمَّن جعلوا من صحبتهم للنبي سـلاحًا يحاربون به الحقَّ وأهلَه، وستارًا يحققـون من ورائه غاياتهم القـذرة وأهدافهم الدنيَّة ليدركوا بذلك ثأرهم من محمَّدٍ وآله فليدافعوا عنهم ما استطاعوا إلى ذلك سـبيلاً فالله تعالى أعلم بصنيع عباده وهو الذي يتولى سرائرَهم ويحاسبهم على ما اقترفته أياديهم.

١٧. عـدم الخروج عـلى المخطـط الإلهي النافـذ والقاضي بـأنَّ هذا الأمر لا يتمُّ إلَّا عـلى يدِ المهديِّ المنتظرِ من آل محمَّدٍ ﷺ.

## نَصُّ رِسَالَةِ الصُّلْحِ بَيْنَ الإِمَامِ الحَسَنِ وَمُعَاوِيَةَ[١]

كتب الإمام الحسن إلى معاوية بن أبي سفيان رسالةً، جاء فيها:

أمّا بعد: فإنّ الله جلَّ جلاله، بعث محمّدًا رحمةً للعالمين، ومنّةً للمؤمنين، وكافّةً للناس أجمعين، ليُنذر من كان حيًا، ويحقّ القول على الكافرين، فبلّغ رسالات الله، وقام بأمرِ الله، حتّى توفّاه الله غير مقصّر ولا وان، وبعد أنْ أظهر الله به الحقّ، ومحق به الشرك، وخصّ به قريشًا خاصّةً.

فقال له: وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ.

فلمَّا تُوفيّ تنازعتْ سلطانَ العرب، فقالت قريش: نحن قبيلتُه وأسرتُه وأولياؤُه، ولا يحلُّ لكمْ أنْ تنازعونا سلطانَ محمّد وحقَّه، فرأتِ العربُ أنّ القولَ ما قالتْ قريش، وأنَّ الحُجّةَ في ذلك لهم، على مَنْ نازعهم أمرَ محمّد، فَأَنْعَمَتْ لَهُمْ، وسَلَّمَتْ إِلَيْهِمْ.

ثمّ حاججْنا نحنُ قريشًا، بمثلِ ما حاجَجَتْ بِه العربَ، فلمْ تُنْصِفْنا قريشٌ إنصافَ العربِ لها، إنّهم أخذوا هذا الأمر دون العرب بالإنصاف والاحتجاج، فلمّا سرنا: أهلُ بيتِ محمّد وأولياؤه إلى مُحاجَجَتِهِمْ، وطلبِ النَّصَفِ منهم، باعَدُونا واسْتَوْلَوْا بالاجْتِمَاعِ على ظُلْمِنا ومراغمتنا والعنت منهم لنا، فالموعد الله، وهو الوليّ النصير.

---

١ - ابو الفرج علي بن الحسين بن محمد الأصبهاني: مقاتل الطالبيين،ص.ص٦٥-٦٧.

ولقد كنّا تعجّبنا لتوثّب المتوثبين علينا في حقّنا وسلطان بيتنا، وإذ كانوا ذوي فضيلة وسابقةٍ في الإسلام، أمسكنا عن منازعتهم، مخافةً على الدين أن يجد المنافقون والأحزاب في ذلك مغمزًا يثلمون به، أو يكون لهم بذلك سبب إلى ما أرادوا من أفساده.

فاليوم فليتعجّب المتعجّب، من توثّبك يا معاوية، على أمرٍ لست من أهله، لا بفضلٍ في الدين معروفٍ، ولا أثرٍ في الإسلام محمودٍ، وأنت ابن حزبٍ من الأحزاب، وابن أعدى قريشٍ لرسول الله ﷺ ولكتابه!!

والله حسيبك فسترد عليه، وتعلم لمن عقبى الدار، وبالله لَتَلْقَينَّ عن قليلٍ ربَّك، ثمّ لَيَجْزِيَنَّك بما قدّمتْ يداك، وما الله تعالى بظلامٍ للعبيد.

إنّ علياً لَمّا مضى لسبيله -رحمة الله عليه يوم قبض، ويوم منّ الله تعالى عليه بالإسلام، ويوم يبعث حيًّا- ولّاني المسلمون الأمر من بعده، فأسأل الله تعالى أن لا يؤتينا في الدنّيا الزائلة شيئًا ينقصنا به في الآخرة، ممّا عنده من كرامةٍ.

وإنّما حملني على الكتابة إليك، الأعذار فيما بيني وبين الله (عزّ وجلّ) في أمرك، ولك في ذلك إنْ فعلتُه الحظُّ الجسيم، والصلاح للمسلمين.

فدع التمادي في الباطل، وادخل فيما دخل فيه الناس من بيعتي، فإنّك تعلم: أنيّ أحقّ بهذا الأمر منك عند الله، وعند كلّ أوابٍ حفيظٍ، ومن له قلب منيب، واتّقِ الله، ودع البغي، واحقن دماء المسلمين، فوالله ما لك خير في أن تلقى الله من دمائهم، بأكثر ممّا أنت لاقيه به.

وادخل في السلم والطاعة، ولا تنازع الأمر أهله، ومن هو أحقّ به منك، ليطفئ الله النائرة (العداوة والبغضاء) بذلك، ويجمع الكلمة ويصلح ذات البين، وإنْ أنت أبيت إلا التمادي في غيّك، سِرْتُ إليك بالمسلمين، فحاكمتك حتّى يحكم الله بيننا، وهو خير الحاكمين".

فكتب إليه معاوية:

"من عبد الله معاوية أمير المؤمنين إلى الحسن بن عليّ: سلام الله عليك، فإني أحمدُ إليك الله الذي لا إله إلا هو.

أما بعد، فقد بلغني كتابك، وفهمتُ ما ذكرتَ به محمَّدًا رسول الله من الفضل، وهو أحق الأولين والآخرين بالفضل كلِّه قديمه وحديثه، وصغيره وكبيره، وقد والله بلَّغ وأدَّى، ونصح وهدى، حتى أنقذ اللهُ به مِنَ الهلكة، وأنار به من العَمَى، وهدى به مِنَ الجهالة والضلالة، فجزاه الله أفضل ما جزى نبيًّا عن أمته، وصلوات الله عليه يوم ولد، ويوم بعث، ويوم قبض، ويوم يبعث حيا!

وذكرت وفاة النبي صلى الله عليه وآله وتنازع المسلمين الأمر بعده، وتغلبهم على أبيك وذكرت وفاة النبي ﷺ، وتنازع المسلمين من بعده، فرأيتك صرحت بتهمة أبي بكر الصديق، وعمر الفاروق، وأبي عبيدة الأمين، وحواري الرسول ﷺ، وصلحاء المهاجرين والأنصار، فكرهت ذلك لك، فإنك امرؤ عندنا وعند الناس غير الظنين، ولا المسيء ولا اللئيم، وأنا أحب لك القول السديد والذكر الجميل.

إنَّ هـذه الأمَّة لما اختلفت بعد نبيها لم تجهل فضلكم، ولا سـابقتكم ولا قرابتكـم من النبي ﷺ، ولا مكانتكم في الإسـلام وأهله، فرأت الأمة أن تخـرج من هذا الأمر لقريـش لمكانها من نبيهـا، ورأى صلحاء الناس من قريش والأنصار وغيرهم من سـائر الناس وعامتهم أن يولوا هذا الأمر مـن قريش أقدمها إسـلامًا وأعلمها بالله وأحبها لـه وأقواها على أمر الله، واختاروا أبا بكر، وكان ذلك رأي ذوي الحِجى والدين والفضيلة والناظرين للأمة، فأوقع ذلك في صدوركم لهم التهمة، ولم يكونوا بمتهمين، ولا فيما أتوا بمخطئين، ولو رأى المسلمون فيكم من يغني غناءه أو يقوم مقامه، أو يذب عن حريم المسـلمين ذبه، ما عدلـوا بذلك الأمر إلى غيره رغبة عنه، ولكنهم عملوا في ذلك بما رأوه صلاحًا للإسلام وأهله، فالله يجزيهم عن الإسلام وأهله خيراً.

وقـد فهمت الـذي دعوتني إليه من الصلح، والحـال فيما بيني وبينك اليوم مثل الحال التي كنتم عليها أنتم وأبو بكر بعد النبي ﷺ، ولو علمت أنك أضبط مني للرعية، وأحوط على هذه الأمة، وأحسـن سياسة، وأقوى على جمـع الأموال وأكيد للعـدو، لأجبتك إلى ما دعوتنـي إليه، ورأيتك لذلك أهلاً، ولكني قد علمت أني أطول منك ولاية، وأقدم منك لهذه الأمة تجربة، وأكثر منك سياسـة، وأكبر منك سـنًّا، فأنت أحـق أن تجيبني إلى هذه المنزلة التي سـألتني، فادخـل في طاعتي ولك الأمر من بعدي، ولك مـا في بيت مال العراق من مال بالغًا ما بلغَ تحملُه إلى حيثُ أحببتَ ولك

خراج أيِّ كور العراق شئت، معونة لك على نفقتك، يجيبها لك أمينك، ويحملها إليك في كل سنة، ولك ألا يُسْتَوْلى عليكَ بالإساءة ولا تُقْضَى دونَك الأمورُ، ولا تُعْصى في أمرٍ أردتَ بهِ طاعةَ اللهِ عزَّ وجلَّ، أعاننا اللهُ وإيّاكَ على طاعَتِه إنَّه سميع مجيبُ الدُّعاء، والسلام».

## أَهَمّ الفَوَائِدِ مِنْ مُرَاسَلَةِ الإِمَامِ الحَسَنِ لِمُعَاوِيَةَ

١. تعمل هذه الرسالة على تثبيت العقيدة الحقة في نفوس المسلمين مبيِّنة كيف أنَّ الله تعالى توفاه غير مقصّر ولا وان في أداء رسالة ربه، فبلّغ رسالات الله تعالى، وقام بأمر اللهً تعالى فأظهر الله تعالى به الحقَّ، ومحق به الشرك، وخصَّ به قريشًا خاصّةً؛ لكن ماذا فعلت قريش تجاه نبيّها وأهل بيته؟!
٢. تؤكد هذه الرسالةُ على أصل الخلاف ومنشئه الذي اختلف حوله المسلمون ألا وهو الخلافة وولاية أمور المسلمين.
٣. تُثبت الرسالةُ أنَّ الخلاف حول ولاية الأمر بعد النبي لم يكن مذهبيًا، وإنَّما كان خلافًا قائمًا بين بني هاشم آل بيت النبي وصفوة الناس وأهل الكساء الذين أمر الله تعالى بمودتهم وبين قريش.
٤. تحدد زمن النزاع وبداية الصراع على الخلافة بين العرب، وكان ذلك ساعة تُوفيّ النبي؛ حيث قالت قريش: نحن قبيلتُه وأسرتُه

وأوليـاؤُه، ولا يحـلُّ لكـمْ أنْ تُنازِعُونا سُـلْطانَ محمّدٍ وحقَّه، فـرأتِ العربُ أنّ القولَ ما قالتْ قريـش، وأنَّ الحجّةَ في ذلك لهم، فسَلَّمَتْ إلَيْهِمْ.

٥. عندمـا استسـلم العرب لقريـش قام بنو هاشـم بمحاججتهم بالمنطق نفسـه الذي حاجـوا به العرب، فلم تستسـلم قريش للحقيقة الناصعة كما استسـلمت لأوهام قريش "ثمّ حاججْنا نحنُ قريشًـا، بمثلِ ما حاجَجَتْ بِهِ العربَ، فلمْ تُنْصِفْنا قريشٌ إنصافَ العربِ لها...».

٦. يظهر من رسـالة الإمام الحسن أن آل بيت النبي وأولى الناس بـه لم يكونـوا متواجدين سـاعة تنازع العرب سـلطان محمد وكأنهم نكرة بين الناس، "فلمّا سرنا: أهلُ بيتِ محمّدٍ وأولياؤه إلى مُحاجَجَتِهِـمْ، وطلبِ النَّصَـفِ منهم، باعَدُونا واسْـتَوْلَوْا بالاجْتِماعِ على ظُلْمِنا».

٧. أجمعت قريش على ظلم آل بيت محمد فأبعدوهم وظلموهم واستولوا على حقوقهم.

٨. لم يترك بنو هاشـم حقهم إلا خوفًا عـلى الدين من المنافقين والأحـزاب الذين يبحثـون عن طريق ينفـذون من خلاله إلى إفسـاد الدين والعقيدة؛ وآل بيت النبـي إن عجبوا من محاولة اعتداء الأوائل؛ الذين شهدوا المشاهد مع النبي؛ على حقوقهم

٩. لئن عجب آل بيت محمد من جرأة الناس عليهم فليتعجّب المتعجّب من توثّب معاوية على خلافة المسلمين التي ليست من اختصاصه ولا هو أهل لها، بل لا فضل له يحمله على التطلع إليها؛ فهو ابن حزبٍ من الأحزاب، وابن أعدى قريشٍ لرسول الله ﷺ ولكتابه!

١٠. الذين باعدوا آل البيت هم الأحزاب، ومعاوية ابن حزب من هذه الأحزاب، والأحزاب هم الأحزاب الذين ما فتئت عداوات الجاهلية وضغائنها تعتمل في نفوسهم رغم ما شهدوا من آيات الله ونصره للمؤمنين عليهم.

## أَهَمّ الفَوَائِد مِنْ مُرَاسَلَةِ مُعَاوِيَة لِلإِمَامِ الحَسَنِ

المراوغة بتأكيد أحقية قريش.

محاولة إحاطة الشخصيات التي انتخبتها قريش بهالة من القداسة.

فَهْمُ معاوية للحقيقة ومعرفتُه بالأشخاص الذين عناهم الإمام الحسن وهم المهاجرون الذين اجتمعوا في السقيفة ومن اتبعوهم بعد ذلك من المهاجرين والأنصار: "صرحت بتهمة أبي بكر الصديق، وعمر الفاروق، وأبي عبيدة الأمين، وحواري الرسول (ص)، وصلحاء المهاجرين والأنصار، فكرهت ذلك لك.

إعطاء الأشخاص الذين خالفوا الأمر ونقضوا العهد صفات توحي

بقداستهم، ونِسْبَةِ كل الأوصاف التي وَصف بها الإمام علي لهم بأسلوب يُوحي بصدقه ويُخيف السامعين من فتح ملفات السقيفة وما نتج عنها.

تأكيد معاويةَ على أنَّ الأمَّةَ اختلفتْ بعد نبيِّها حولَ الخلافة والإمامةِ العُظمى التي كان بنو هاشم وكل المسلمين يعرفون أنَّها لعليٍّ بأمر النبي يوم غدير خُم؛ لكنَّه يدَّعي عدم جهله ومن سبقه بفضل بني آل بيت النبي ومكانتهم.

التناقض الواضح في كلام معاوية الذي يُثبت الشيء وينفيه في آنٍ معًا، ففي حين يدَّعي اعترافَ الأمَّةِ بفضل آل البيت، يدَّعِي أنَّ هذه الأمَّةَ نفسَها قد رأت أن تخرج من هذا الأمر لقريش لمكانها من نبيها!

ويزداد التناقض حين يدَّعي معاوية أنَّ الأمَّةَ اختارت من قريشٍ أقدمها إسلامًا وأعلمها بالله تعالى وأحبها له وأقواها على أمر الله تعالى! فهل كانت هذه الصفات لغير عليٍّ بن أبي طالب؟! كان علي عليه السلام يقول: "أَنَا عَبْدُ الله، وَأَخُو رَسُولِهِ صلى الله عليه وآله وَأَنَا الصِّدِّيقُ الأَكْبَرُ، لاَ يَقُولُهَا بَعْدِي إِلاَّ كَذَّابٌ صَلَّيْتُ قَبْلَ النَّاسِ لِسَبْعِ سِنِينَ»[1]. وجاء عن أبي ذر وسلمان قالا: أخذ النبيُّ صلى الله عليه وآله بيد عليٍّ فقال: «إنَّ هذا أول من آمن وبي، وهذا أول من يصافحني يوم القيامة، وهذا الصديق الأكبر، وهذا فاروق هذه الأمة يفرق

١ - محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه: سنن ابن ماجه، ج١، ص٨٧، ح١٢٠. أحمد بن عبد الله أبو نعيم الأصبهاني: معرفة الصحابة، ج١، ص٨٦، ح٣٣٩.

بين الحق والباطل، وهذا يعسوب المؤمنين والمالُ يعسوب الظالمين»[1].

تقوية المتناقضات بجرعة من الاتهامات الكاذبة لآل البيت تحت عنوان "اتهام الشخصيات المقدسة" ووقوعهم تحت تأثير "نظرية المؤامرة" من خلال لجوئهم إلى عرض طروحاتهم الغريبة التي شككتهم بشخصيات مقدسةٍ، وأوقعت في صدورهم لهم التهمة، ولم يكونوا بمتهمين!

التركيز على عدم خطأ الصحابة ولو نقضوا بيعة الغدير مخالفين أمر الله تعالى ورسوله، بل لو نصَّبوا غير علي خليفة، فهم الذين "لم يكونوا بمتهمين ولا فيما أتوا بمخطئين"؛ وهكذا برز المخالفون الأوائل قادة يخططون ويشرعون ويحلون ويحرمون إذ لم يكونوا بمتهمين ولا فيما أتوا بمخطئين"!

اللجوء إلى الكَذب الصريح الذي يعرفه القاصي والدَّاني، فمن يقرأ سيرة النبيِّ (ص) يعرف أنَّ القومَ لم تكن لهم بطولة في مواجهة قريش واليهود على حد سواء، وأنَّ الذَّابَّ عن رسول الله والبطولات كلها إنَّما كانت من قبل علي الكرار غير الفرار. لكنَّ معاويةَ يشوه ما لم يستطع التاريخ تشويهه لتواتره بين الناس رغم محاربة الحزب الأُموي ومن تبعه من قريش له واعتمادهم عملية التشوية والتزوير الممنهج؛ فهل هناك من هو أكثر كذبا من معاوية إذ قال: "ولو رأى المسلمون فيكم من يغني

---

١ - سليمان بن أحمد الطبراني: المعجم الكبير، ج٦، ص٢٦٩، ح٦١٨٤.

غنـاءه أو يقـوم مقامه، أو يذبُّ عن حريم المسـلمين ذَبَّه، ما عدلوا بذلك الأمر إلى غيره رغبة عنه، ولكنَّهم عملوا في ذلك بما رأوه صلاحًا للإسلام وأهله،...»! إن هذا إلا التبرير الذي يُضحك الثَّكلى.

التبريراتُ الإعلاميَّةُ غير المنطقيَّةِ التي لجأ إليها معاوية وعملية تقديس الصحابـة وإجماع الأمـة على اختيار من لم يختره اللـه تعالى، وإبعاد من اختاره الله تعالى كان عملاً ذكيًّا يهدف إلى سحب البساط من تحت أقدام أهـل بيت النبـي؛ وهكذا تحول اللامنطق إلى دينٍ مُتَّبَع يسـوِّق له الحاكم القوي وعلماء السـلاطين المتبعون منهاجـه، ثم يعتمدون من أجل تقويته وتثبيتـه في كيان الأمـة خلفيات قرآنيـة يفسرونها من خـلال هذا المنطق الفاسد.

اعتراف معاوية مجدَّدًا بأنَّ الحسـنَ إنمَّا دعاه للصلحِ بسـبب الخلافِ القائم بينه وبين الإمام الحسن حول الخلافة وإدارة شؤون الدولة، وأنَّ هذا الخلافَ شـبيهٌ بالخلاف الذي كان بين آل البيت وبين أبي بكر يوم اختارته قريش للخلافة بعد النبي ﷺ!

# الفَصْلُ الرَّابِع:
# ثَورَةُ الإِمَامِ الحُسَينِ.. التَّأْسِيسُ وَرِحلَةُ الشَّهَادَةِ

## المَبْحَثُ الأَوَّلُ:
## الإِمَامُ الحُسَيْنُ شَهِيدُ كَرْبَلَاءِ

التَّأسيس الثالثُ للخلافِ كان ذلك الذي حذَّر منه النبيُّ أمَّتَه أيضًا عندما أخبرهم عن بدايةِ التَّأسيس لقتل الحسين يوم خرج عليهم وأخبرهم بما جاء به الوحي محذِّرًا من عاقبة التمهيد للظَلَمة والمجرمين الذين سيقتلون ولده الحسين، وإذا كانت ممارسة القتلِ بشكلٍ مباشر جريمة عند الله تعالى، فإنَّ الآمر والمشارك والموطِّئ كلَّهم شركاءٌ في العملِ الإجرامي الذي سيهدِّد ولده الحسين ويطرحه صريعًا على أرض كربلاء.

فعن أبي الطفيل قال: «استأذنَ مَلَكُ القَطْر أنْ يُسَلِّمَ على النَّبيِّ ﷺ في بيت أم سلمة، فقال: 'لا يدخلْ علينا أحدٌ'. فجاء الحسين بن علي عليه السلام، فدخل؛ فقالت أمُّ سلمة: هو الحسين.

فقال النبي ﷺ: 'دعيه'. فجعل يعلو رقبة النبي (ص)، ويعبث به، والملك ينظر.

فقال الملك: أتحبه يا محمد.

قال: إي والله إنيِّ لأُحِبُّه.

قال: أما إنَّ أُمَّتَكَ سَتَقْتُلُهُ، وإنْ شِئْتَ أَرَيْتُكَ المكان.

فقال بيده (أي: مد يده)، فتناول كَفًّا مِنْ تُراب، فَأَخَذَتْ أُمُّ سَلَمَةَ التُّرابَ، فَصَرَّتْهُ في خِمارِها، فكانوا يَرَوْنَ أنَّ ذلكَ الترابَ مِنْ كَرْبَلاء»[1].

وتقول أم سلمة: "رأيت رسول الله ﷺ وهو يمسح رأس الحسين ويبكي، فقلت: ما بكاؤك؟

فقال: 'إنَّ جبرَئيلَ أخبرني أنَّ ابْني هذا يُقْتَلُ بأرْضٍ يُقالُ لها كربلاء. قالت: ثمَّ ناوَلَني كَفًّا مِنْ تُرابٍ أَحْمَرَ، وقال: إنَّ هذا مِنْ تُرْبَةِ الأرضِ التي يُقْتَلُ بها، فَمَتَى صارَ دَمًا فاعْلَمِي أَنَّهُ قَدْ قُتِلَ'.

قالتْ أُمُّ سلمة: فَوَضَعْتُ الترابَ في قارورةٍ عندي، وكُنْتُ أقولُ: إنَّ يومًا يَتَحَوَّلُ فيه دمًا لَيَوْمٌ عظيم»[2].

وعن عبد الله بن نجى عن أبيه أنه سافر مع علي بن أبي طالب وكان صاحب مطهرته فلما حاذوا نينوى وهو منطلق إلى صفين نادى عليٌّ: "صبراً أبا عبد الله، صبراً أبا عبد الله بشط الفرات.

قلت من ذا أبا عبد الله؟

قال: دخلت على رسول الله ﷺ وعيناه تفيضان، فقلت يا نبي الله أغضبك أحد؟

---

١ - - نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج٩، ص١٩٠، ح١٥١٢١.

٢ - أحمد بن عبد الله الطبري: ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، ج١، ص١٤٧.

قـال: ‘بل قام من عندي جبريل قبلُ فحدَّثني أن الحسـين يقتل بشـط الفرات، وقال: هل لك أن أشـمك من تربته؟’ قلت نعم. فمدَّ يده، فقبض قبضة من تراب فأعطانيها فلم أملك عيني أن فاضتا»[1].

وفي رواية أخرى عن عائشـة قالت: "دخل الحسـين بن علي عليه السلام على رسـول الله ﷺ وهو يوحى إليه، فنزل على رسـول الله ﷺ وهو منكبٌّ، وهو على ظهره.

فقال جبريل لرسـول الله ﷺ: أتحبـه يا محمد؟ قال: يا جبريل ومالي لا أحب ابني؟

قـال: فإنَّ أمتك سـتقتله من بعـدك. فمد جبريل عليه السلام يـده، فأتاه بتربة بيضاء، فقال: في هذه الأرض يقتل ابنك هذا، واسمها الطف.

فلما ذهب جبريل عليه السلام من عند رسـول الله ﷺ، خرج رسول الله ﷺ والتزمه في يده يبكي.

فقال: يا عائشـة، إنَّ جبريـل أخبرني أنَّ ابني حسـين مقتول في أرضِ الطفِّ، وأنَّ أمتي سَتُفْتَنُ بعدي.

ثم خرج إلى أصحابه، فيهـم عليٌّ وأبو بكر وعمر وحذيفة وعمار وأبو ذر، وهو يبكي. فقالوا: ما يبكيك يا رسول الله؟

---

١ - نـور الديـن علي بـن أبي بكر الهيثمـي: مجمع الزوائـد ومنبع الفوائـد، ج٩، ١٩١، ح١٥١٢.

فقال: أخبرني جبريل عليه السلام أن ابني الحسين يقتل بعدي بأرضِ الطَّفِّ، وجاءني بهذه التربة، وأخبرني أنَّ فيها مضجعه»[١].

تُعَدُّ واقعةُ كربلاء أعظمُ واقعة في تاريخِ الأعمدةِ التأسيسيَّة لخروج الإمام المهديِّ المغيَّب الذي سيكون من نسل الحسين، فالطَّف أخطر منعطف حدَّث عنه النبي، فكثرت حوله الروايات والأخبار رغم الحروب الإعلاميَّةِ والسياسيَّةِ والاقتصاديَّةِ والإجراميَّة الشرسة التي مورست على آل بيت محمد صلى الله عليه وآله، والتي بلغت أوجها يوم قُتل الإمام الحسن وقام مقامه أخوه الحسين ليباشرَ أعمالَ الدعوةِ المحمَّديَّةِ من حيث استلمها من أخيه الحسن ليعيد تثبيت منهاج جده القويم.

لقد كانت الفترة التي تقلَّدَ فيها الإمام الحسين مهام القيادة الدينية من أخطر الفترات التي تتطلب جرأةً وإقدامًا وشجاعة مع ما تتطلبه من تلك المعارف المحمدية التي تمتع بها الحسين السِبط بأعلى درجاتها ومستوياتها.

لقد نقض معاويةُ عهده يوم دسَّ السُّم للإمامِ الحسنِ، وهو الذي كان عاهده على الصلح واعدًا بإرجاعِ الحقِّ إلى أهله الذين اجترأ الناس عليه. لذا كتب معاويةُ في إحدى رسائله إلى الإمامِ الحسن قائلا: "فادخلْ في طاعتي ولكَ الأمرُ مِنْ بَعْدي»[٢].

---

١ - نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج٩، ص١٨٨، ح١٥١٤.

٢ - ابو الفرج علي بن الحسين بن محمد الأصبهاني: مقاتل الطالبيين، ص.ص٦٥- ٦٧.

لكنَّ الحسنَ قَضَى شهيدًا مسمومًا بأمر معاويةَ، وكما نقض معاويةُ عهدَه بقتل الحسنِ، فإنَّه لم يفِ بإرجاع الحكم إلى أهله، وإنَّما جعل الأمرَ من بعده إلى ابنه يزيد الفاجر الماجن المجرم المرتكب كل الحرمات علانية والمنتهك كل الفظائع جهارًا.

حينما طُلب من الحسين مبايعةُ يزيد بن معاوية أعلن رفضه في وجه قوى السُّلطة مخاطبًا الوليد

-أمير بني أمية على المدينة المنورة-: "أيُّها الأميرُ! إنَّا أهلُ بيت النُّبُوَّة، ومَعْدنُ الرِّسالَة، ومُخْتَلَفُ الملائكَة، وبنا فَتَحَ اللهُ، وبنا خَتَمَ اللهُ، ويزيدُ رجلٌ فاسقٌ شاربُ الخمْر، قاتلُ النفسِ المحرَّمة، مُعْلنٌ بالفسْق، ومِثْلي لا يُبايعُ مِثْلَهُ، ولكنْ نُصْبحُ وتُصْبحونَ، ونَنْظُرُ وتَنْظُرونَ، أَيُّنا أحقُّ بالبَيْعَة والخِلافَة، ثُمَّ خَرَجَ»[1].

ولم يترك الإمامُ الحسينُ موطنًا مِنَ المواطِنِ إلَّا وأظهرَ فيه الأسبابَ العامَّةَ الموجبةَ لخروج الأمَّة كلِّها على يزيد، حتى إنه خَطَبَ أَصْحَابَهُ وَأَصْحَابَ الْحُرِّ بِالْبَيْضَةِ[2]، فَحَمِدَ اللَّهَ تعالى وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا

١ - السيد ابن طاووس علي بن موسى: اللهوف في قتلى الطفوف، ص.ص١٧- ١٨.

٢ - البيضة، من المنازل القديمة الواقعة في طريق مكة والكوفة، وهي أرض واسعة بين واقصة وعذيب الهجانات كانت لبني يربوع بن حنظلة، وأهمية هذا المكان لدى الشيعة تعود إلى تواجد الإمام الحسين (ع) فيه ووقوفه هناك. ياقوت بن عبد الله الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٥٣٢.

النـاس، إنَّ رسـولَ الله ﷺ قَـالَ: مَنْ رَأَى سُـلْطَانًا جَائِرًا مُسْـتَحلا لحَرَمِ اللَّه، نَاكِثًا لعَهْد اللَّه، مُخَالفًا لسُـنَّة رَسُـول الله، يَعْمَلُ فِي عبَاد اللَّه بالإِثْم وَالْعُـدْوَان، فَلَمْ يُغَـيِّرْ عَلَيْه بفعْلٍ وَلا قَـوْل، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّـه أَنْ يُدْخلَهُ مُدْخَلَـهُ. أَلا وَإِنَّ هَؤُلاء قَدْ لَزِمُوا طَاعَةَ الشَّـيْطَان، وَتَرَكُـوا طَاعَةَ الرَّحْمَن، وَأَظْهَرُوا الْفَسَـادَ، وَعَطَّلُوا الْحُدُودَ، وَاسْـتَأْثَرُوا بِالْفَيْءِ، وَأَحَلُّوا حَرَامَ اللَّه، وَحَرَّمُوا حَلالَهُ، وَأَنَا أَحَقُّ من غَيَّرَ»[1].

وإذا انضمَّ إلى الأسباب العامَّة الموجبة للمواجهة وعدم الركون إلى قُوى الظلم ومؤسَّسـات الجَوْر التي تفرِضُ القوانينَ الظالمة، فإنَّ أسـبابًا أخرى تتعلَّـقُ بالمصلحين والعلماء والقادة وأهـل الفكر والرأي والعقل. -هؤلاء الذين يُعَدُّ الحسين أوَّلَهم وقائدهم وسيِّدَهم- إذ إنَّ الحكم الأموي لا يقيم وزنًـا لكل هؤلاء فضلاً عن اسـتهانته بالدين والشرائع والأحكام والآداب، وإذا كان الأمر كذلك فإنَّ على المصلحين والمفكرين ألَّا يستسلموا لقوى الشر التي تسـتهين بالبشر وتسـتخف عقولهم بشـعارات كاذبـة، من هنا سـطر الحسين كلماته التي أعلن فيها الواجبَ الشرعيَّ والديني والإنساني المتوجـب عليه عندما هدده الحاكم المجرم وخيره بين الإذلال والرضوخ للقوانين المنحرفـة وبين القتل، وكونه إمامَ الفكـر والإصلاح قالها بأعلى

١ - محمد بن جرير الطبري: تاريخ الطبري، ج٥، ص٤٠٣. المُوَفَّق بن أحمد الخوارزمي: مقتل الحسين، ج١، ص٢٩٥.

صوتـه: «ألا وإنَّ الدَّعـيَّ ابنَ الدَّعيِّ قَدْ رَكَزَ بَيْنَ اثْنَتَيْنِ: بَيْنَ السَـلَّة وَالذِّلَّة وَهَيْهـاتَ منّا الذِّلَّةُ، يـأبَى اللهُ ذلكَ ورَسُـولُهُ والمؤمنـونَ وحُجُورٌ طابَتْ وَأنُـوفٌ حَمِيَّةٌ ونُفُوسٌ أبيَّـةٌ، أنْ نُؤْثِرَ طاعَةَ اللِّئامِ عَـلى مَصارِعِ الكِرامِ، ألا وإنيِّ زاحف بهذه الأسرة على قِلّة العدد وخذلة الناصر»[1].

بنـو أمية -إذًا- جاروا واعتدوا بما فيـه الكفاية، فلم يجدوا من يردعهم، واستحلوا حرمات الله تعالى ونكثوا عهوده ومواثيقه التي أبرموها وأشهدوا عليها العباد، وقد عملوا في عباد الله تعالى بالإثم والعدوان، فكيف لا يغار الحسـين لدين الله تعالى؟! وكيف لا يسـعى إلى تغيير الباطل المستشري في البلاد باسم جده محمد رسول الله ﷺ؟! وكيف لا يثور للحق؟

## المَبْحَثُ الثَّاني:
## وَظِيفَةُ الأَوْصِياءِ وَالمُصْلِحِينَ وَالعُلَماءِ مِنْ بَعْدِهِم

الأوصيـاء نوابٌ ينوبون عن الأنبيـاء، وما يقوم به النبـي، يقوم به الوصي تمامًا، لأنَّ الوصيَّ يكون عاقلاً حكيمًا قدوةً كاملاً مسدَّدًا من الله تعالى، إضافةً إلى مـا يتمتع به من كمالاتٍ وصفـاءٍ وأنوار نابعة من التزامـه الكامل بشريعة اللـه تعالى وأوامره؛ فماذا يجب أن يفعلـه الأوصياء قادة العلماء والمصلحين

١ - محمد بن الحسن ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، ج٥، ص٢١٢.

والعارفين إذا رأوا الحاكمين بدين الله تعالى وبشريعة الإسلام وقد:

١. لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن!
٢. أظهروا الفساد وعطَّلوا حدود الشريعة وقانونها!
٣. استأثروا بفَيء الله تعالى، فلم يُعطوا أصحاب الحقوقِ حقوقهم، بل جعلوا مالَ الله تعالى دولاً فيما بينهم يتقاسمونه، ويوزعونه على تابعي حزبهم الحاكم غيرَ آبهين لفقيرٍ ولا لمسكينٍ ولا ليتيمٍ ولا لذوي قربى رسول الله ﷺ الذين جعل الله تعالى لهم نصيبًا وحقوقًا!
٤. الناس تجوع وتعرى وتُساق أموالُها أمام أعينها إلى خزائن بني أمية -والستار هو الدين وفتاوى السلطة المنصبة دوما على طاعة أولي الأمر- ولا أحدَ قادرٌ على الاعتراض والوقوف ضد التسلط والتجبر المشرَّع!
٥. الذي يموت على عتبات قصور المتكبرين قد خلص عمره وجاء أجله بالنسبة للطغمة الحاكمة وزمرتها وأزلامها. إنه الإيمان البارد الذي طالما أتقنه حكام بني أمية، بل الجبريَّة التي بثوا عقيدتها في النفوس الضعيفة!
٦. أحلوا الحرماتِ التي حرمها الله تعالى لا غيره؛ فالحرمات التي لا مجال للاجتهاد فيها ولا للنظر في شأنها، والحرمات التي أجمعت الأُمَّةُ على تحريمها، فلم يختلف اثنان على حرمتها

باتت مستباحةً علنًا من أجل تغييب القيم والمبادئ وتغيير الثقافة والمفاهيم وقوانين العدالة الضامنة أمن الناس وأمانهم.

٧. حرَّموا على الخلق ما أحلَّه الله تعالى! فإذا كانت المباحات غير منسجمة مع أهوائهم وميولاتهم حرَّموها على عباد الله تعالى، ومنعوا من تداولها بما أحل سبحانه!

٨. إذا كان معاويةُ قد أحلَّ لنفسه الكثير من المحرمات، فكيف بولده يزيد الذي جاهر بكل ألوان المحرماتِ والانحرافاتِ، بل روَّج إعلامُه الدينيّ لها وشجع عليها؟

٩. إنَّ بني أمية حكامُ سوء وجب في شريعة الله تعالى الخروجُ عليهم بأمرٍ من رسول الله ﷺ القائل: «من رأى سلطانًا جائرًا مستحِلاً لحرم الله، ناكثًا لعهد الله، مخالفًا لسنَّة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعُدوان، فلم يغير عليه بفعل ولا قول، كان حقًا على الله أنْ يُدخله مدخله»[1].

١٠. وجوب ثورة الناس على قوى الجَورِ والظُّلمِ ولاسيَّما العلماء والمفكرين.

١١. عدم الخوف من تهديد الظَلَمة والمجرمين الذين لا يعرفون غير لغة القتل باسم القانون، أو الحريةِ أو العدالةِ أو الحقوقِ.

---

١ - محمد بن جرير الطبري: تاريخ الطبري، ج٥، ص٤٠٣.

١٢. أحق من يتولى التغييرَ الحقيقيَّ وِفقًا للمنهج المحمَّدي هو الحسين، كونه الوصي المحمَّدي والمنتسب للشجرة المباركة والأعلم بدين جَده رسول الله وخير أهل الأرض وسيد الجنان كما أنَّ النصوص التي حدَّدت مكانته كانت تحدد في الوقت نفسه مهمته الموكَّلة إليه، ألَا وهي الخروج والإصلاح في أمَّة جده رسول الله.

إنَّ الحسين لم يَثرُ هوىً، ولم يخرج أشِرًا ولا متكبرًا، حاشاه، فهو ابن بنت رسول الله ﷺ، وإذا نسينا كلَّ الأحاديث التي حدَّثت عن مآثرِه وعظمتِه ومكانته ووضعنا قرابته من رسول الله جانبًا، ثم رجعنا إلى الأسبابِ التي قدَّمها كبرهان يوجب عليه القيام في وجه العتاة. هذه الأسبابُ وحدها كافية لأن تحمل الأمَّةَ كل الأمَّة على السيرِ خلف الحسين ومنهاجه والقتال معه والموت دونه؛ هذا اللهمَّ إذا كنا نعتقد أنَّ كلامَ الحسين في الحد الأدنى موثوق به!

## المَبْحَثُ الثَّالِثُ:
## عَوَاقِبُ الإِهْمَالِ وَوَاجِبَاتُ التَّصحِيْحِ

### أَوَّلًا: المَصَائِبُ المُترَتِّبَةُ عَلَى إِهمَالِ كَلَامِ الحُسَينِ

إذا لم نأخذ بكلام الحسين فالمصيبة عندنا ستتحول إلى مصائب عظيمةٍ نذكر منها:

## المُصِيبَةُ الأُوْلى

هي عدم ثقتنا بالحسين السِّبط، وبالتالي عدم ثقتنا برسول الله ﷺ القائل: «حسينٌ منِّي وأنا من حسين»[1]، ولا يَخفى على عاقلٍ أنَّ هذا النصَّ الصحيح يدل في أبسط معانيه الظاهرة الواضحة على أنَّ مكانةَ الحسين وتوجُّهَه وكفاحَه وجهادَه وخياراتِه يُمَثِّلُ التوجُّهَ النَّبَوِيَّ المتَّبَعَ المعصومَ في كلِّ أبعاده.

وبعَدَمِ ثِقَتِنا نكونُ قد خالفْنا المنظومةَ الإيمانيَّةَ ووقعنا في شَرَكِ الوهم وفراغ التخبط وأزمات الانحراف؛ وهذا يؤدي لا محالةَ إلى تعطيلنا آيات من كتاب الله تعالى أُمرنا عبرها بمودَّة ذوي القربي: ﴿**قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾ [سورة الشورى؛ الآية ٢٣].

والمودة لا تعني أبدًا مجرد المحبة كما يتبادر إلى أذهان السطحيين الذين يتعمدون تعطيل القرآن من خلال توجيه المعاني إلى غير ما تدلُّ عليه صراحةً، ولو أنَّ المعطِّلين لحقائق المعنى -ممن يدَّعون أنَّ المودَّةَ هي مجرَّدُ المحبة- رَجَعوا إلى حقيقة المحبَّة التي نَطَقَ بها وحيُ السماء، لما تَجَرَّأوا على هذا الانحراف المخيف؛ كيفَ وقد جاء أمرُ الله تعالى واضحًا جَليًّا لا يَحْتَمِلُ الانتقاصَ ولا التغييرَ ولا التبديلَ لحقيقة المحبَّة القُرآنيَّة التي تؤكِّدُ على أنَّ الحُبَّ في كتابِ اللهِ تعالى في مِثْلِ هذا المقامِ

---

١ - عبد الله بن محمد ابن أبي شيبة: مصنف ابن أبي شيبة، ج٢، ص٣٠٧، ح٨٠٧.

الباهـر يعني الاتباعَ والطاعةَ المطلَقَةَ، ﴿**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ**﴾ [آل عمران: ٣١-٣٢].

هـي معادلةٌ قرآنيـةٌ واضحةٌ رائعةٌ تُقرِّرُ أنَّ السـائرَ في طريـق حبِّ الله تعالى مأمورٌ باتباعِ رسوله، وهذا الاتباعُ القرآنيُّ لا يَنْفَكُّ عن العبادات التي يؤدِّيهـا المؤمنون، إذْ هو الدالُّ عليها والْمُبَيِّنُ لها، بل هو السـبَبُ الأعظمُ الـذي يُورثُ العبدَ محبَّةَ الله تعالى؛ ومحبَّـةُ الله تعالى تُكَلِّلُ العَبْدَ بغُفْران الذُّنـوب؛ ومِنْ أَجْلِ ذَلكَ أكَّدَ على أنَّ الطاعةَ المطلَقَةَ لله تعالى ولرسـوله هي ملاكُ المعنى المقصودِ منَ الْمَحَبَّةِ وهيَ الدالُّ الحقيقيُّ عليها، كما أنَّ التولِّيَ عن هذه الطاعة والانحرافَ عنها يؤدي إلى الكفر الذي يُورثُ مَقْتَ الله تعالى وسَـخَطَهُ وغَضَبَهُ؛ وأَتْباعُ هذا الخطِّ يَسيرونَ في الطريق النَّقيضِ الذي يُدْخِلُهُمْ في سِـلْك العبيد الذينَ يُبْغِضُهُمْ اللهُ تعالى ولا يَرْضى عنهم بسَـبَب إنكارهـمُ الأمـرَ وكفرِهِمْ بـه واتِّباعِهِمْ غير سـبيلِ المؤمنين: ﴿**قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ}**﴾ [آل عمران: ٣١-٣٢].

ولأنَّ اتِّباعَ ذَوي القُربى مِنْ أهلِ الكساء والخلفاء الْمُعَيَّنينَ الذينَ نَصَّت الرِّوايـاتُ الصَّحيحةُ -عندنا معاشرَ أهلِ السُّـنَّة والجماعـة- على عَدَدِهِمْ وصفاتِهِـمْ التي لا يمكنُ أنْ تكونَ لغَيْرِهِمْ، جـاءَ الأمرُ منَ الله تعالى لنَبيِّه أنْ يُخْـبِرَ النـاسَ والأتباعَ بأنَّ الأجرَ الوحيدَ الذي يَجِـبُ عليهِمْ أنْ يَدْفَعُوهُ

-مُقابِلَ الشريعةِ والدينِ والعقيدةِ والقرآنِ والوَحْيِ- هُوَ مَوَدَّةُ ذَوِي القُرْبى التي لا يُمْكِنُ أنْ تَنْصَرِفَ إلى غَيْرِ الاتِّباعِ لهم والاسْتِنانِ بِسُنَّتِهِمْ والاقتداءِ بِهَدْيِهِمْ والنُّصْرَةِ لهم والذَّبِّ عنهم والاستماتَةِ في سبيلِ إعلاءِ شريعتِهم المحمديَّةِ التي يُمَثِّلونَها خيرَ تمثيلٍ نِيابَةً عنِ النبيِّ المعصومِ في غِيابِهِ وبَعْدَ انْتِقالِهِ إلى الرفيقِ الأعلى.

وإذا كذَّبنا مَن جعلهم الله تعالى شهودًا، وقدْ أَمَرَ حَبِيبَهُ الأعظمَ ﷺ بالإتيانِ بهم لمباهَلَةِ أهلِ الكتاب من دون سائر خيارِ الأمة، وشهد بصدقهم وجعلَ شهادتهم مقدَّمة على كل الخلق؛ قال تعالى: ﴿**فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ**﴾. [سورة آل عمران؛ الآية ٦١]، حيثُ جاء عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: «لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿**نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ**﴾[سورة آل عمران؛ الآية ٦١] دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا، فَقَالَ: 'اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلِي'»[1].

إذا رفضنا قول الحسين الذي كان أحد هؤلاء الراشدين المهديِّين، فإنَّما نكون قد كذَّبنا مَنْ صَدَّقَهُ اللهُ تعالى، ثمَّ تَرَكْنا كتابَ الله تعالى وراءَ أظهُرِنا ورَمَيْنا بِكلامِهِ خَلْفَ ظُهورنا غيرَ آبهين لما سَيَحُلُّ بنا مِنْ

١ - الحاكم محمد بن عبد الله: المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص١٦٣، ح٤٧١٩.

غَضَب وسَـخَط وعقاب، فَحَقَّ علينا قولُ اللـه تعالى: ﴿**أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَـدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾[سورة البقرة؛ الآية ٨٥].

## المُصِيبَةُ الثَّانِيَةُ

هـي رضاؤنا بتعطيل أحكام الله تعالى وحدوده، ولاسَّـيما من قِبَلِ من يرفع الإسـلام شـعارًا، أي: قبولنا بالمتاجرة بالدين وتشـويه صورته، وهي جريمةٌ لا يسـتهان بها إذ إنها تفوق كلَّ جريمة، وتغطي على كلِّ مكرمة أو فضيلة تصدر عن الراضي بها فضلاً عن الحاكم المبدِّل والمحرِّف.

## المُصِيبَةُ الثَّالِثَةُ

هي المصيبة التي تضم مصائبَ ومصائبَ، لاسـيَّما عندما يكون منطقُ المتحاورين من أهل المعرفة والعلم منطقَ من يجعل القضية التي حملت الحسـين على الخروج قضية صراعٍ على السُّلطة والكراسي والدنيا. بحيثُ نكونُ قدْ سَـاوينا -مِنْ حيثُ عَلِمنا أم لم نعلـم- بني أمية وأعوانَهمُ الفجرةَ بالحسـين ابنِ بنتِ رسولِ الله بِضعَةِ النبيِّ الطاهرِ التقيِّ النقيِّ ﷺ، وعليه فإنَّ الحسـين -في نظرِ هؤلاءِ المنحرفين أو الجَهَلَةِ الْمُغَرَّرِ بهِمْ- قَدْ أَعْمَتْهُ مناصِـبُ الدنيـا عنْ مَصْرَعِهِ المحتومِ الذي سـارِ إليه بِرِجْلَيْـهِ بعدَ أنْ وَقَعَ

في غَيْبوبــةٍ مِنَ الأحلامِ التي كانَ يرى فيها نَفْسَــهُ السـيِّدَ الْمُطاعَ والخليفةَ الْمُنْتَخَــبَ. وكلماتٌ مِنْ هذا القَبيلِ لا تَصُبُّ إلَّا في هذهِ الخانَةِ الوضيعَةِ. نعوذُ باللهِ تعالى مِنَ الضَّلالِ بعدَ الهُدى!

إنَّ الــذي يرمي هذه الكلمات يُمنة ويــسرة من دون أن يفهم لها معنى، ومن دون أن يَعِيَ عواقِبَها الوخيمةَ في الدارين، لَهُوَ إنسانٌ إمَّا مُتَنَكِّرٌ للنبيِّ ولهَديــه وللوحي المنزل عليــه، وإما ناكرٌ للنُّبُــوَّةِ وللنَّبِيِّ ولِهَدْيــهِ ولِوَحْيِ الســماءِ، وهُوَ على كِلا الحالَيْنِ بَعيدٌ كلَّ البُعْدِ عنِ اللهِ تعالى ودينِهِ وهَدْيِ نَبِيِّهِ وشريعته.

فالنبيُّ يُحَدِّدُ مُهِمَّةَ الحســين ســيد شــباب أهلِ الجنَّةِ في الجنَّة، ويُبَيِّنُ فَضيلَــةَ العملِ الذي يُورِثُــهُ تلكَ المكانةَ، أمَّا الْمُدَّعونَ للإســلامِ الذينَ لم يُؤمنــوا بغَيْرِ شريعةِ القُوَّةِ الحاكِمَةِ فإنَّهم يُصرُّون على أنَّ خروجَ الحســين كانَ مِنْ أَجْلِ الحُكْمِ، وأنَّ صِراعَهُ مَعَ بَنِي أُمَيَّةَ كانَ دُنْيَوِيًّا مِنْ أجلِ السُّلْطَةِ والنُّفوذِ!

وهل يجعل الله تعالى ســيادةَ الجنان لمن كانت الدنيا مطلبه؟! إنْ هذا إلا الباطل الذي يرفض الفكر الصافي والحق الأبلج الواضح؛ لأنَّ الحسين لو كان من طلَّاب الدنيا لكان مَثله كمثل قاتليه لا يختلف عنهم في شيء، ولَمَا أخبر المشرِّع عن سيادته للجنان، ولا عمَّا أوجبَ له تلك المكانة.

هــذه الحُجَجُ المختَصَرَةُ التي أتى الحســينُ عليه السلام في خطابِهِ على ذِكْرِها لِشُــهْرَتِها ومعرفةِ الناسِ بها واتفاقِهِم على انتشــارِها مِنْ دُونِ تفصيلٍ ومِنْ

غيرِ تقديمِ أَمْثِلَةٍ ونماذِجَ عليها، لهي الأدلَّةُ القاطعَةُ على فَسادِ نظامِ الحُكمِ القائـمِ على الباطلِ، كما أنَّها بَيَـانٌ قاطِعٌ يَفْرِضُ على أهلِ المعرفةِ "الثورةَ" ضِدَّ الحكمِ الجائرِ الذي عَرَفوهُ وخَبِرُوه.

وإذا كانَ الخـروجُ على يزيد غيرَ جائـز في شريعة اللهِ تعالى التي كان الحسينُ الأعلمَ بها، فعلى مَنْ يَجبُ الخروج؟

لقد خرجَ الحسينُ ليحقِّقَ العدالةَ وليُظهِرَ الإمامةَ وليعرفَ الخلقُ بالحقِّ وليتجلَّى فيه قولُ جَدِّه "حسين مني وأنا من حسين» حقيقة؛ فإذا علم الناس أنَّ الحسين من محمَّد فلم يعظموه ولم يوقروه ولم يتبعوه وإنما أعملوا فيه السـيفَ والقتلَ والذبحَ، فعليهم أنْ يعلموا أنَّ محمدًا من الحسين، وأنَّ في قتلِ الحسـين ولادةٌ لمحمَّد، وأنَّ في ذبح الحسـين حياة جديدة لمحمَّد، وأنَّ استشهادَ الحسين سَيُعيدُ شريعةَ مُحَمَّدٍ على سِكَّتِها الأولى.

إنَّ لقَتْلِ الحسـين حرارةٌ في الصدور وفي القلوب المؤمنة لا يمكنُ أنْ تَبْرُدَ حتَّى يَخْرُجَ الْمَهْدِيُّ.

هنـا على أرضِ كربلاء تتجلى بيعةُ الغديـرِ في أبهى حُلَلِها مُتَلَفِّعَةً الأنوارَ الحسـينيَّةَ والفداءَ الحسينيَّ لتُعْلِنَ للناسِ منْ جديد أنَّ وَلِيَّهُمْ بعدَ رسول الله هو علي بن أبي طالب وليسَ غيرُه، وأنَّ كلَّ دَمٍ سَقَطَ على الأرضِ كانَ بِسَبَبِ الانقلابِ الذي أَحْدَثَتْهُ قريشٌ إذْ خانت البَيْعَةَ ثمَّ أَسْلَمَت القِيَادَ للطلقاءِ الذين كانَ هَدَفُهُمُ الأَسْمى أنْ يَنْتَقموا منْ محمَّد رسول الله. ولقد أدركَ الناسُ هذه الحقيقةَ يومَ خرجَ عليهم نبيُّهُمْ وحذَّرَهُمْ عاقبةَ الاشتغالِ بِقَتْلِ أهلِ بَيْتِه ودعمِ

قاتليهم، ولكَمْ بكى رسولُ الله ﷺ قبلَ انتقاله عندما كان يرى أبناءَه فَيَكْشف لهُ الوَحْيُ عنْ مَصارعِهِم، فعن عبد الله قال: "كان النبيُّ ﷺ تمُرُّ به الفِتْيَةُ مِنْ قريشٍ، فلا يتغيرُّ لونُه، وتمُرُّ الفتْيَةُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِه فَيَتَغَيَّرُ لونُه.

فقلنا: يا رسول الله، لا نزالُ نرى مِنْكَ ما يَشقُّ علينا، تمُرُّ بكَ الفِتْيَةُ مِنْ قُرَيْشٍ، فلا يَتَغَيَّرُ لونُك، وتمُرُّ بكَ الفِتْيَةُ مِنْ أهلِ بَيْتِكَ فَيَتَغَيَّرُ لونُك!

قال: 'إنَّ أهلي هؤلاءِ اختارَهُمُ اللهُ للآخِرَةِ، ولم يَخْتَرْهُمْ للدُّنْيا، وسَيَلْقَوْنَ بَعْدِي تَطْرِيدًا وتشريدًا وبلاءً شديدًا'"[1].

وإذا كان النبيُّ قد بكى على أهلِ بيتِه الذينَ أمرَ اللهُ بمَوَدَّتِهِمْ فإنَّهُ حَدَّدَ للأُمَّةِ العَدُوَّ الأكبر المتربِّصَ بهِمْ، والذي يَنْتَظِرُ الوقتَ المناسب للانقضاض عليهم فقال ﷺ: "إنَّ أهل بيتي سَيَلْقَوْنَ مِنْ بَعْدي مِنْ أُمَّتي قتلاً وتَشْريدًا، وإنَّ أَشَدَّ قومنا لنا بُغْضًا: بنو أُمَيَّةَ وبَنُو المغيرةِ وبَنُو مَخْزُوم"[2].

هنا نسأل الواقع والوقائع والتاريخ الذي لم يختلف فيه الناس: ماذا فعلت الأمة إزاء هذا البيان الواضح؟

الواقع أنَّ الأُمَّةُ منذُ انتقالِه إلى الرفيقِ الأعلى عقدت صفقاتها مع كلِّ حاقدٍ بينَّ النبيُّ خطورته على الإسلامِ وعلى أهلِ بيته؛ والعجيب أنَّ قريشًا

---

١ - أحمد بن علي الخطيب البغدادي: الرحلة في طلب الحديث، ج١، ص١٤٥، ح٥٥.

٢ - محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، ج٤، ص٥٣٤، ح٨٥٠٠.

بحكَّامها ومسؤوليها وأمرائها وخلفائها أَبَت إلَّا أنْ تُسْنِدَ المهامَّ السياسيَّةَ والعسكريَّةَ لأكثرِ القبائل عدوانيَّةً وحِقْدًا على الإسلام.

أكان خَيار قريشٍ بريئا، أم أنَّه كان مدروسًا عن سابق مخالفة وإصرار وتقدير؟!

جاء وفي رواية قال: "بَيْنَما نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ أَقْبَلَ فِتْيَةٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، فَلَمَّا رَآهُمُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ اغْرَوْرَقَتْ عَيْنَاهُ وَتَغَيَّرَ لَوْنُهُ، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: مَا نَزَالُ نَرَى فِي وَجْهِكَ شَيْئًا نَكْرَهُهُ.

فَقَالَ: 'إِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ اخْتَارَ اللَّهُ لَنَا الْآخِرَةَ عَلَى الدُّنْيَا، إِنَّ أَهْلَ بَيْتِي سَيَلْقَوْنَ بَعْدِي بَلَاءً وَتَشْرِيدًا وَتَطْرِيدًا حَتَّى يَأْتِيَ قَوْمٌ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَعَهُمْ رَايَاتٌ سُودٌ، يَسْأَلُونَ الْحَقَّ فَلَا يُعْطَوْنَهُ، فَيُقَاتِلُونَ فَيُنْتَصَرُونَ، فَيُعْطَوْنَ مَا سَأَلُوا، وَلَا يَقْبَلُونَهَا حَتَّى يَدْفَعُوهَا إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي فَيَمْلَؤُهَا قِسْطًا، كَمَا مَلَؤُوهَا جَوْرًا، مَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَلْيَأْتِهِمْ وَلَوْ حَبْوًا عَلَى الثَّلْجِ'"[1].

الحسين سيقتل ورايـة العدالة لـن ترتفع عاليـة خفاقـة إلا على يد المهـديِّ، لكـنَّ الإمامَ عَلَّم الأمـة أنَّ العدالةَ لها أهلوهـا، وأنَّ الانتظارَ لا يكون بالصَّمت والسـكوت عن الظلم، لذا قـام بالمهام التي توجبها عليه الظروف التي عاشها والتي كانت أقسى من كل الظروف الممكنة.

---

١ - محمـد بن يزيد القزويني ابن ماجه: سـنن ابن ماجه، ج٢، ص١٣٦٦، ح٤٠٨٢. أبو بكر محمد بن إبراهيم ابن أبي شيبة: مسند ابن أبي شيبة، ج١، ص٢٠٩، ح٣٠٨.

هي الحقائق الدامغة التي لم يستطع أحدٌ نُكرانها مهما برَّر لنفسه عدم الخروج مع الحسين وعدم نصرته، فعن عبد الله بن عمر قال: «عَجِلَ حسين قدَرَه، عَجِل حسينٌ قدَرَه، والله لو أدركتُه ما تركتُه يخرجُ إلَّا أن يغلبَني، ببَني هاشم فُتِحَ هذا الأمرُ، وببَني هاشم يُختَمُ، فإذا رأيتَ الهاشميَّ قدْ مَلَكَ فَقَدْ ذَهَبَ الزَّمان»[1].

لقد كانت مقتلة الحسين مرحلةً فاصلةً لولادة إسلام محمَّديٍّ جديد من رحم أقسى معاناة يتعرض لها دينُ الله، حيثُ عاش الحسينُ وأصحابُه وأهلُ بيته في كربلاء واقعةَ "بدر" جديدة، إلَّا أنَّ إرادةَ السماء قَضَتْ أن يُقتلَ الحسينُ كما قُتِلَ يحيى نبيُّ الله، وفي ذلك يقول ﷺ: «أَوحى الله إليَّ أنيِّ قتلتُ بيحيى بنِ زكريا سبعينَ ألفًا، وأنيِّ قاتلٌ بابنِ بِنْتِكَ سبعين ألفًا وسبعين ألفًا»[2].

لقد آذن موت الحسين بتَعَرُّضِ الدين المحمَّديِّ لمُنْعَطَف خطير تَنْكَشِفُ عندَهُ الأحقادُ السوداءُ، والانحرافاتُ الخطيرةُ، والعداواتُ البالغةُ لدينِ الله وهَدْيِه ولكُلِّ وارث محمَّديٍّ يحملُ منهاجَ الله مجاهدًا باذلًا كلَّ ما أَمْكَنَ في سبيلِ إعْلاءِ رايَةِ الله. وبذل الحسينُ روحَه على طريق الله؛ فماتَ ليحيا دينُ الله، واسْتُشْهِدَ ذبيحًا على أرضِ كربلاءَ لترتَفِعَ أعلامُ الله

---

١ - علي بن الحسن ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج١٤، ص٢٠٣. إسماعيل بن عمر ابن كثير: البداية والنهاية، ج٨، ص١٧٣.

٢ - محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، ج٢، ص٣١٩، ح٣١٤٧. علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ج١٢، ص١٢٧.

ورایاتُه؛ وقُطِّع جسده الطاهر كما قُطِّع جسد نبي الله يحيى الحصور[١]؛ وعن ابن عباس قال: «أوحى الله تعالى إلى محمد ﷺ: إني قتلت بيحيى بنِ زكريا سبعين ألفًا، وإني قاتل بابن ابنتك سبعينَ ألفًا وسبعينَ ألفًا»[٢].

## ثَانيًا: إِحيَاءُ مَقْتلَة الحُسَين وَمُفترَق طَرِيق الأَوْصيَاء

إحياءُ واقعة كربلاءَ -هذه المقتلة العظيمة- هي إحياء لحُزن رسول الله ﷺ يوم حذَّر أمَّته من هذه الجريمة الكُبرى التي تقترفها، فكان أول من أحيا الحسينَ وبكاه، وهي إحياء لِمَقاتل أهل البيت جميعِهم، وهي إحياء للغدير الذي خانته الأمة، وإحياء لاستشهاد أمير المؤمنين، وإحياء لاستشهاد الإمام الحسن الذي مات مسمومًا، لا بل إنَّها إحياء لكلِّ الأئمة الذين قضوا بعده شهداء على طريقه وطريقته ومنهاجه الذي أحيا منهاج جده ﷺ حيث تجلت الصورةُ المحمَّديَّةُ بأنوارها وعزتها وتألقها وجهادها وهجرتها وحربها وإقدامها واستشهادها في شخصية الحسين الذي جعله الله تعالى الإمام الرمز الذي يهيئ الأئمة بعده ويوطئون لخروج مهدي آخر الزمان الذي يملأ الأرض قسطًا وعدلًا بعد أن ملئت ظُلما وزورًا.

---

١ - الحصور؛ أي: المنقطع للعبادة، والزاهد في الدنيا، المنقطع عن الملذات والملهيات، بحيث لا ينشغل عن الطاعة والعبادة.

٢ - محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص١٩٥، ح٤٨٢٢.

والعجيب أنَّ مقتلةَ الحسين ستؤسِّسُ لتشريد آل البيت وطردهم والبلاءات التي ستنزلُ بساحتهم والتي كانت سببًا في بكاء رسول الله عليهم وتحذير الأمة من الخوض في مثل هذه الجرائم المنكرة بحقِّ أولاد أعظم الأنبياء «إِنَّا أَهْلُ بَيْت اخْتَارَ اللَّهُ لَنَا الْآخِرَةَ عَلَى الدُّنْيَا، إِنَّ أَهْلَ بَيْتِي سَيَلْقَوْنَ بَعْدِي بَلَاءً وَتَشْرِيدًا وَتَطْرِيدًا».

مِنَ الواضح أنَّ النبيَّ الكريمَ ﷺ لم يكنْ مسرورًا بصنيع أمَّته بأبنائه، ولم يكن راضيًا عن أعظم جريمة في تاريخ البشرية، ولم يبرر للأمَّة المجرمة قتلَ أبناء نبيِّها، ولو كان الأمرُ كذلك لما تحققت النُبوءات التي أخبر عنها بحقِّ سَيدي شباب أهل الجنة، إذ كيف يكون الحسنان سيدي شباب أهل الجنة ثم يكون قاتلهما قد قتلَهُما بشريعة جدهما رسول الله؟!

أم كيف يكون قاتلهما مؤمنًا وهو الذي استباح عترةَ خير الأنبياء، وقد لُعن من استباح عترته ﷺ على لسان كل نبي مُرسَل إذ قال: «سِتَّةٌ لَعَنْتُهُمْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَكُلُّ نَبِيٍّ مُجَابٍ: الْمُكَذِّبُ بِقَدْرِ اللَّهِ، وَالزَّائِدُ فِي كِتَابِ اللَّهِ، وَالْمُتَسَلِّطُ بِالْجَبَرُوتِ يُذِلُّ مَنْ أَعَزَّ اللَّهُ وَيُعِزُّ مَنْ أَذَلَّ اللَّهُ، وَالْمُسْتَحِلُّ لِحُرَمِ اللَّهِ، وَالْمُسْتَحِلُّ مِنْ عِتْرَتِي مَا حَرَّمَ اللَّهُ، وَالتَّارِكُ لِسُنَّتِي»[1].

لقد تَأَسَّسَ بمَقْتَلَةِ الحسينِ على أرضِ كربلاءَ مَحَطَّةٌ جديدةٌ منَ التشريدِ

---

١ - الحاكم محمد بن عبد الله: المستدرك على الصحيحين، ج١، ص٩١، ح١٠٢.

والتطريد في أرضِ اللهِ الواسعةِ إلى أنْ يظهرَ وعدُ اللهِ مقيمًا ميزانَ العدالةِ ومسترجِعًا الحقوقَ التي سُلِبَتْ مِنْ أصحابِها.

## يُستَفَادُ مِنْ هَذَا التَّأسِيسِ أَنَّ

١. النبيَّ حذَّر الناسَ من عدم التزامِ عهودِه ومواثيقِه لأنَّ الذين سيخرجون على عهد الغدير سيؤسسون للحاكم الذي سيقتلُ الحسينَ ويعتدي على حُرمةِ رسولِ الله.
٢. النبيَّ أعطى القضيةَ الحسينيَّةَ زخمًا ودفعًا بارزًا، ذاك لأنَّ استشهادَ الحسين سيَنتُج عنه ولادة الإسلام المحمدي على المنهاج الأول، وبفضل دماءِ الحسينِ سيستمر هذا الإسلام وسيبقى ما بقي الليل والنهار.
٣. "حسين مني وأنا من حسين" حديث شريف شدد على التزام الموقف الحسيني، إذ إنَّ من التزمَ الموقفَ الحسينيَّ وخطَّه الحقَّاني وكان معه وإلى جانبه فإنَّه يكون قد اختار معيَّةَ رسولِ الله ونهجه القويم. ومن خلال هذا الحديث يعرف المسلمُ نبيَّه وربَّه والجهة التي يجب أن يكون معها، مناصرًا لها، إذ لا يمكن أن يكون العبد مؤمنًا وهو يقف مع غير محمد، وعليه فلا يكون مؤمنًا متى وقف مع غير الحسين الذي هو من محمدٍ ومحمد منه؛ وهذا المعنى المثير للعقول يجب الوقوف

عنـده طويلاً ليعرف المؤمنون مـاذا يعني قول النبي: «وأنا من حسين».

٤. "وأنا من حسين": أن يكون النبي من الحسين ففي هذا الكلام البليغ المعجز إشـارة إلى أنَّ منهاج محمَّدٍ سـيُعاد إحياؤه من جديـد: من الحسـين ودمه وأشـلائه وباستشـهاده؛ وفي هذه العبـارة التي يتوقف القلم عن التعبـير عنها بكل لغات العالم ندرك أنَّ مقدارَ الحسـين أكبرُ مـنْ أنْ يعرفَه البشرُ، فماذا يقول العلماء وأهـل اللغة والبيان والفصاحـة في كون محمد النبي المرسـل المعصوم خاتم الأنبياء هو نفسه من سبطه الحسين؟ إنَّه الامتداد الرسـالي والولادة المحمَّديَّة الجديدة التي تتجلَّى في شخصِ الحسينِ ودعوته وجهادِه وثباتِه وشُموخِه وخروجه على الحاكم الظالم الفاسد المفسد المستبد.

٥. المشاركةَ في قتل الحسين سـيتحمّلها المخاطَبون الذين تمَّ تحذيرُهم فلم يُطيعوا ولم يرعووا رغم أنَّ النبي كان قد أظهرَ لهم وسمَّى لهم أكثرَ القبائل عداوةً له ولأهلِ بيتِه، كما شرحَ لهـم شرحًا وافيًـا مُبَيِّنًا أنَّ بني أمية هم من الذين سـيكونون سـببًا في قتلِ آل البيـت وتشريدهم وتطريدهـم؛ ومع ذلك أسـند الحكامُ لهم المهام السياسية والعسـكرية التي كانت مقدمة لاستلامهم قيادة العالم الإسلامي باسم شريعة محمَّدٍ

زورًا وبهتانًا.

٦. الحسينَ سيحمل لواءَ جَده رسول الله، ورايةَ أبيه وصيِّ رسول الله، ثم رايةَ أخيه الحسن الذي وطَّأَ له وجهَّز الأرضية ليكون للدعوة المحمدية الحسينية ناعٍ وأنصار، بحيث يتم تبليغ الناس بواقع وحقيقة الحزب الأموي الحاكم الحاقد على النبي وآل بيته والذي يريد الانتقام والأخذ بالثأر ليوم بدر الذي انتصر فيه نبي الإسلام على أمَّة الشرك، حيث لقي قادةُ الحزب الأموي مصرعَهم على يدِ الإمام عليٍّ الذي كان الحاميَ الأولَ للرسالة.

٧. الحسينَ سيهاجر كهجرةِ جَدِّه رسول الله إلى أرضِ كربلاء التي أخبر عنها وحي السماء.

٨. الحسين سيتم قتله كما قُتِل أنبياءُ الله، فكما قُتِلَ نبيُّ الله يحيى على يد الحاكمِ الظالمِ المنحرفِ الخارج عن شريعة الله تعالى، وكما انتقم الله تعالى من قَتَلة نبيِّه يحيى فإنَّه سينتقم لابن نبيِّه الحسين؛ وهذا دليلٌ آخر على مدى إجرامِ بني أمية الذين ساروا سيرة بني إسرائيل في قتلهم أنبياءهم من دون أن يرفَّ لهم جفن.

٩. الحسينَ سيُستشهَد على أرض كربلاء شهادةً تكون محطةً مفصليةً في تاريخ الأمَّة، هذه المحطة ستحدِّد الفارقَ بين: الأمَّة

التي دُعِيَتْ إلى الإيمان فرفَضَتْ وأَبَتْ ثمَّ وطَّأَتْ للمجرمين فأَعدّت لهم الأرضية السياسيَّة والعسكريَّة ومنحتهم المناصبَ والمراكزَ الأولى في البلاد، ثم تهيَّأَتْ ودعمتْ وأسرجتْ وألجمتْ وشاركتْ وقَتَلَتْ.

١٠. وبين الأمَّة التي دُعِيَتْ إلى الإيمان فآمنتْ ونَصَرَتْ وجاهدت ثم ثبتَتْ مع الحسين «وأنا من حسين»؛ ولم تتخلَّ عنه أو تَقِفَ معَ عَدُوِّه طَرْفَةَ عينٍ إلى أنْ سَقَطَ أتباعُها شهداءَ على طريقِ محمَّد رسول الله.

١١. الحسينَ وأخاه الحسن قبلَه سيُستَشْهَدَان في سبيلِ الله تعالى وسَيَقْتُلُهُما أعداءُ الله تعالى وسيكونان سَيِّدَيْ شبابِ أهلِ الجنَّة، يُهَيِّئان ويُوَطِّئان لأنصارهما المقاماتِ العُلى، فَبِهِمَا يَدخلُ المؤمنونَ الجنانَ وبطاعَتِهما يَرْتَفعونَ ويُكرمون. فكونُهُما سَيِّدين لجَنَّات الله تعالى يعني أنَّ أحدًا لا يدخلُها بغير إذنهما كما أَنَّ سيِّدَ الدارِ هو الذي يأذَنُ للزائرينَ بالدخولِ فَيَسْتَقْبِلُ الضيوفَ ويكرمُهُمْ.

١٢. إذا كان الحسن قد هَيَّأَ لأخيه الحسين الأجواء الملائمة ليحمل رسالةَ جَدِّه رسول الله على النحو الذي وُكِّلا به، وشقَّ له الطريق مُذَلِّلًا العقبات، فإنَّ الحسينَ باستشهاده قد شقَّ الطريقَ لكلِّ الأئمَّةِ الذين اختارهم اللهُ تعالى مِنْ نَسْلِهِ إلى

أنْ يخـرجَ ثَأْرُ الله تعـالى في الأرض منتـصِرًا لمظلوميَّةِ جَدِّه الحسـين ولكلِّ المظلومين في الأرض، بل شـقَّ الطريقَ لأُمَّةِ جَدِّه ولاسيَّما أنَّ الإسلامَ المحمَّديَّ الأصيلَ سيكونُ استمرارَهُ حسـينيَّ التضحيَات والثبـات والجهادِ والثقافـةِ والوَعْيِ؛ لذا طالما شـدَّدَ الأئمَّةُ والعُرَفاءُ على أهميَّةِ إيلاءِ القضيَّةِ الحسينيَّةِ اهتمامًا كبيراً كما أولاهـا النبيُّ الأعظمُ ذلكَ الاهتمامَ مِنْ قَبْلِ وُقُوعِها بأكثرَ مِنْ نِصْفِ قَرْن.

١٣. معرفةَ الحسـين بأنَّ استسلام الأرض للإسلامِ المحمَّديِّ الذي يملأُ الأرضَ قسـطًا وعـدلاً لن يكونَ على يديـه لم يمنعْه منَ التضحيـاتِ بـكلِّ ما يمتلـكُ، لأنَّـهُ يؤمِنُ بأنَّ هـذا المشروعَ الربـانيَّ لا يَتَحَقَّـقُ إلَّا مَتى شـاءَتْ إرادةُ اللهِ تعالى على يدي ولـده المهدي؛ لكنه علم المؤمنين مـا يفرضه الواجب عليهم من التَّجَهُّزِ الكاملِ وإعدادِ العُدَّةِ والقوَّةِ والقيام بالأعمال التي توطئ لخروج المهدي.

١٤. جهادَ الحسـين واستشـهاده على خط الحـقِّ وإحقاق العدالة يؤكِّدُ على أنَّ المشارك والموطئ لخروج المهديِّ هو جزءٌ من هذا المشروعِ الإلهي، كما أنَّ المحاربَ والمجرمَ ليس سـوى جزء من المشروع الشيطاني.

# الفَصْلُ الخَامِسُ:
# المَهْدِيُّ المُنْتَظَرُ

## المَبْحَثُ الأَوَّلُ:
## لِمَاذَا كَانَ المَهْدِيُّ مَهْدِيًّا قَائِمًا وَمُنْتَظَرًا؟

ذِكْـرُ المهديِّ والإيمانُ به حالةٌ طبيعيـة منذ أنْ برأ الله تعالى الخلق وبعث فيهـم الرسـل، فما مِنْ قومٍ ولا أمَّـةٍ إلا بعث الله تعالى فيهـم منذرًا ﴿**وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ**﴾ [سـورة فاطر؛ الآية ٢٤] أي: ما مِنْ أمَّةٍ إلا بعث الله تعـالى فيها منذرًا يُنذر الناسَ، ويُبشّرهم ويُرشـدهم إلى طريق الحقِّ، ويَعِدُهم بما للمؤمنين من البشـارات التي تكون خلاصهم من كلِّ ظلمٍ وسـوءٍ وتَجَبُّرٍ. ومِـنْ بين أعظمِ هذه البشـاراتِ الإمـامُ المهديُّ الذي يكونُ ختـامَ الأوصياء المحمَّديِّين، ويكونُ جُنْدُهُ مِنْ خِيرَةِ أهلِ الأرض، لا من أدناهم ممن يستهينون المعصيةَ، ويجاهرون الله تعالى بالكفر والموبقات والفُسوق والعصيان. وعلى المقلـب الآخر نلتقي بفئة مـن المؤمنين بالإمامِ المهديِّ إيمانًـا عميقًا مطلقًا ممن يعتقدون أنَّه الإمامِ الثَّاني عشر الذي هو (محمد بن الحسـن العسـكري بـن علي الهادي بن محمـد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصـادق بن محمـد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسـين بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت محمد رسـول اللـه) ﷺ، وإيمانهم هذا هو محل

اتفاق بين علماء الإمامية والمتصوفة من علماءِ أهلِ السُّنة والجَماعة.

هـذا والربَّانيون منهـم أكَّدوا هذه الحقيقـةَ نصًّا ودليـلاً وبرهانًا ويقينًا وروحًـا. لكـنَّ بعضَ الأوهام والأسـاطير التـي أدخلها النـاسُ على هذا المعتقـد نفَّرت الفئـات المناهضةَ وغيرَ المؤمنة بهـذا الاعتقاد من أصله، حيـث أنكرته جملـةً وتفصيلاً، ولاسـيَّما أنَّ الأخـلاقَ المحمَّديَّة المثالية للإمـام المنتظَر مختلفةً اختلافًا واضحًا عن سـلوك الغالبيةِ العُظمى ممن يؤمنـون بالعقيدةِ المهدويةِ ويدعون تبعيَّته، كما أنَّهم وجدوا هذه الأخلاق بعيدة في ممارساتها وعلاقاتها بالآخرين عن حقيقةِ الإمامِ المهدي المنْتَظر وحقيقـة أتباعـه؛ إذ كيف يمكـنُ أن يكـونَ المنحرفُ عن طريـقِ المثَاليَّة تابعًا للإمامِ المثَالي الكاملِ العادلِ الذي يحيي القسـط والخير والإنسانية والإسلام الحقيقي في الأرض؟!

وهكـذا وجدَ هؤلاء المنكرون ذريعةً يتذرَّعون بها ليُبطلوا عقيدةَ المهديِّ من أساسـها، ثـم أخذوا يكذِّبـون الروايـات النبوية، ويعتبرونهـا من وضع المنتسبين إلى التشيُّع لآل البيت، سواء أكان المؤمنون بهذا الفكر من مقلِّدي مذهب الإمامية أو المذاهب السُّنية؛ وسواء أكانوا من المتصوفة أو من غيرهم مـن مقلدي المذاهب الإسـلامية. وهـذه الذرائع لا يمكـن أنْ يعتمدَ عليها العقلاء الذين يدرسون طبيعةَ الشعوبِ ونفسيةَ البشرِ الذين يُلصقون أنفسهم بشعاراتٍ وعقائدَ وشـخصياتٍ وأنبياءَ ومرسلين وصالحين. وهم في حقيقة أمرهـم وواقعهم بعيـدون كلَّ البعد عن العناوين التـي يرفعونها، فهل يمكن

إنكار الشخصية التي يسيء أتباعها إليها لمجرد انحرافهم عنها وعن هديها؟!

هذا ما لا يقر به عاقلٌ من عقلاءِ أهلِ الأرض.

ثمَّ نَمُرُّ على أصحاب عقيدةٍ أخرى في المهدي، وهم قومٌ يؤمنون بالمهديِّ إيمانًا عميقًا، لكنَّهم لا يعرفون عنه إلاَّ أنه من السلالة المحمَّديَّة الطاهرة، لكن لا علاقة عندهم للإمام محمد بن الحسن العسكري بهذه القضية من قريبٍ أو من بعيدٍ، ثم تراهم بعد ذلك يدَّعون -عصبيّةً- أنَّ مهديَّ الشيعةِ ليس مهديَّ السنة! وأنَّ الأباطيلَ والخرافاتِ كثُرت حول المهدي المغيب، منكرين وجود الإمام، بل مدَّعين أنَّ الغيبة ضرب من الخرافة التي صنعها المنحرفون في تاريخ الإسلام، مؤمنين بأنَّ المهديَّ يُولد في آخر الزمان ولا يخرج بعد غيبة وما شابه ذلك. لا بل ينكرون على من يعتقد الغيبة إنكارًا كبيرًا، نافين صحَّة ذلك بحجة عدم موافقته للعقل والمنطق، مُعتمِدينَ في إنكارهِمْ على أنَّ العادةَ تقضي بأنْ يحيا الإنسانُ فترةً من الزمان ثم يموت، أمَّا الغَيْبَةُ فتكرِّسُ حياةَ الإمام ووجودَه ما يزيد على ألف عام إلى أيامنا هذه وما بعدها إلى أن يكون موعد الظهور الذي لا يعلمه إلا الله تعالى!

لكنَّ هؤلاء المنكرين لِشخص الإمام المحدَّد ولغيبته هم أنفسَهم يعتقدون في الوقت نفسه وجود المسيخ الدجال في عِلم الله تعالى، كما يعتقدون خروجَ الدَّابة التي تكلم الناس -بعد أن يبتعدوا عن الله تعالى ويفروا من كل من يذكرهم بالله تعالى ورسالاته من أمثالهم من البشر-؛ والأكثر من ذلك أنَّهم لا ينكرون أبدًا خروج قوم يأجوج ومأجوج الذين

أخبر عنهم القرآن العظيم والأحاديث المتواترة. والأعظم من ذلك كله أنَّهم يقرأون كتاب الله تعالى ويردِّدون آياته التي تُحدِث عن نبي الله تعالى نوح عليه السلام الذي ظلَّ يدعو قومه فقط ألف سنة إلا خمسين عامًا؛ فلا أعرف كيف استطاعوا الإيمان بهذه الآية وإنكار حياة المهدي الذي يُعَدُّ خروجُه آيةً من آيات الله تعالى الدالَّة على قدرته وعَظَمَته وحِكْمَته.

هكذا نرى أنَّ الأمرَ الوحيدَ الذي صَعُبَ عليهم الإيمانُ به مُغَيَّبًا -في جملة المغيَّبات المتعلِّقة بعلامات الساعة والقيامة- هو الإمامُ المهدي عليه السلام، ولا أدري ما السبب الذي يحملهم على الإصرار على ذلك الإنكار!

فهل العادة تحكم العقل، وتجعل الأمر الذي يجوِّز العقل وجوده غير صحيح ولا منطقي لأنه في حق سيدي المهدي؟! أمَّا في حق غيره فإنَّ العقل لا يمنعه!

مع التأكيد على أنَّ العقل لا يُمانع من بقاء المهدي أكثر من ألف عام وألفي عام، أُسوة بكل ما يعتقد به المسلمون من مغيَّبات كالدجال والدابة وغير ذلك كثير.

لكننا عندما ندقِّقُ النظر في تحليل هذه القضية، نجد أنَّ الدولةَ الأُموية التي كان لها علماء يحرِّفون للحاكم ما يريد من معاني الكتاب وأحاديث النبوة، بحيثُ يُبعِدون الناس عن أصول الدين وبيته الذي خرج منه، ونبعه الذي منه تدفق. لم يدَّخروا جُهدا إلا بذلوه إرضاء للحاكم، وإبعادًا للخلق عن منهج الخالق وسُنَّةِ النبي المرسل وآله الأطهار الذين سيخرجُ

من سُلالتهم مَنْ يحكم بشريعته، ويقضي على الظلم المنتشر بكل أسمائه وصفاته وأنواعه.

ثم جاء من بعدهم بنو العباس الذين عرفوا الحقيقة وجَهدوا في تسلُّق كرسيِّ الحكم، فوضعوا على آل البيت رواياتٍ ما أنزل الله تعالى بها من سلطان، بل روايات غيَّرت اسمَ المهدي إلى محمَّدٍ بن عبد الله ليجعلوا بمقتضاها (السيد محمد بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب) هو الإمام المهدي المنتظر من نسل الإمام الحسن، مبطلين بذلك كل الروايات التي تخبر عن تَعْدادِ الأئمة الذين يكون خاتمتهم الإمام محمد بن الحسن العسكري من وُلدِ فاطمة[1] من نسل الإمام الحسين عليه السلام، حيث أساؤوا إلى النبي بتكذيبهم وبوضعهم الروايات الباطلة، كما أساؤوا إلى أبناء الإمام الحسن واستخدموهم ستارًا يختفون خلفه ويُضحُّون بهم إذا نجحوا أو هزموا. وبذلك أسس العباسيون لفكرٍ جديد، ناقضين بنيان الرواياتِ التي جاء فيها ذكر المهدي واسمه واسمِ آبائه جميعهم. فشوهوا عقيدةَ المهديِّ وشكَّكوا بها، لأنَّ الذين اعتقدوا أنَّ (السيد محمد بن عبد الله المحض) هو المهدي المنتظر قد باء إيمانهم بالفشل والخيبة، وخصوصًا بعد أن انقلب العبَّاسيون على إمامِهم وقتلوه، ما يعني أنَّ المؤمنين بعقيدةِ الإمامِ المهديِّ من العامة والبسطاء

١ أبو داود سليمان بن الأشعث: سنن أبي داود، ج٦، ص٣٤١، ح٤٢٨٤.

سيكفرون بهذه القضيَّة، أو أنهم سينتظرون مهديًا آخر اسمه محمد بن عبد الله.

والناظر في الرواية التي رواها بعض المحدِّثين، يعرف خطورة هذه الطريقة العباسيَّة في التضييع جريًا على طريقة أسلافهم الأمويين، فقد أخرج بعض المحدِّثين عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنْ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ لَطَوَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى يَبْعَثَ فِيهِ رَجُلًا مِنِّي -أَوْ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي- يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمُ أَبِي يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا»[١].

مع الإشارة إلى أنَّ معظمَ الروايات الصحيحة لم تذكر التطابق بين اسم والد المهدي واسم والد النبي الأعظم ﷺ، وإذا بدأنا بأمِّ سلمة أم المؤمنين التي يحدث عنها سَعيد بْن الْمُسَيِّب قَالَ: "كُنَّا عِنْدَ أُمِّ سَلَمَةَ فَتَذَاكَرْنَا الْمَهْدِيَّ، فَقَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: 'الْمَهْدِيُّ مِنْ وَلَدِ فَاطِمَةَ'»[٢]، فلم يرد عنها أنَّ اسم أبيه كاسم أبي النبي.

كما أخرج جمع من المحدثين قوله ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَلِيَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي»[٣].

---

١ - أبو داود سليمان بن الأشعث: سنن أبي داود، ج٦، ص٣٣٧، ح٤٢٨٢.

٢ - محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه: سنن ابن ماجه، ج٢، ص١٣٦٨، ح٤٠٨٦.

٣ - أحمد بن محمد الشيباني ابن حنبل: مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج٦، ص٤٢، ح٣٥٧١.

وقوله: "لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا -أَو لَا تَنْقَضِي الدُّنْيَا- حَتَّى يَمْلِكَ الْعَرَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي"[١].

وفي رواية: "لو لم يبقَ من الدَّهر إلا يومٌ، لبعث الله عَزَّ وَجَلَّ رجُلاً من أهل بيتي يملؤها عدلاً كما مُلِئَت جَوْرًا"[٢].

وفي روايـة أخرى: «يَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْـمُهُ اسْـمِي وَخُلُقُهُ خُلُقِي، فَيَمْلَؤُهَا قِسْطاً وَعَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ ظُلْماً وَجَوْراً»[٣].

هـذا بالإضافة إلى وجود رواياتٍ أخرى طابقت ما بين الاسـم والكُنية وليس بين اسـم أبي المهدي واسـمِ أبي النبي، فعن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرجُ في آخرِ الزمان رجلٌ مِنْ ولدي، اسمُه كاسمي، وكُنيتُه ككنيتي، يملأُ الأرضَ عدلاً، كما مُلِئَتْ جَوْرًا «[٤].

ومـن المعـروف أنَّ دعوةَ العباسـيين قامت في البـدء للمهديِّ من آل محمدٍ وهو (محمد بن عبد الله بن الحسـن المثنى بن الحسـن السبط بن عـلي بن أبي طالب)، وهذا كان في مطلع القـرن الثاني الهجري ١٢٦ هـ،

---

١ - أحمـد بـن محمد الشـيباني ابـن حنبل: مسـند الإمام أحمد بـن حنبل، ج٦، ص٤٥، ح٣٥٧٣.

٢ - ابو داود سليمان بن الأشعث: سنن أبي داود، ج٦، ص٣٤١، ح٤٢٨٣.

٣ - نـور الدين علي الهيثمي: موارد الظـمآن إلى زوائد ابن حبان، ج٦، ص١٣١، ح١٨٧٩. محمد بن إسماعيل البخاري: التاريخ الكبير، ج٧، ص٢٨٢، ح٨٢٢٠.

٤ - يوسف بن يحيى السلمي: عقد الدرر في أخبار المنتظر، ص٩٥.

والمهـدي ربما لم يكن المقصود منه بدايةً المهدي المنتظر، وإنَّما أريد به التمويه لئلا يعرف النظام الأمويُّ صاحبَ البيعةِ الجديد، أو لربما استغل العباسيون هذا اللقب ليجذبوا إليهم أكبرَ عددٍ ممكن من الأتباع، لكنَّ العباسيين الذين بايعوا (محمد بن عبد الله المحض) سرعان ما انقلبوا عليه، فثار عليهم سنة ١٤٥هـ وقتلوه في المدينة المنورة بعدما رضخت البلادُ لسلطانهم ورأوا أنَّهم أحق بالحكم منه؛ وربما أُعْجِبَ العباسيون بادِّعاء المهديَّة لتوطيد سلطانهم، حيثُ لُقِّبَ (محمد بن عبد الله المنصور) العباسي بالمهديِّ.

وهكذا أبعدَ الفكرُ العباسي الناس عن الإيمان الصحيح بعقيدة الإيمان بالإمام المهدي المنتظر الذي هو الإمام (محمد بن الحسن العسكري) عليه السلام، حيث تتبَّعوا آباءه الواحد تلو الآخر، وقتلوهم جميعًا بدماء باردة؛ أمَّا الشيء الذي دفعهم إلى تشويه القضية المهدوية وتشنيعهم صورتها فهو حُبُّ الملك والدنيا، حتى ظنُّوا أنَّهم بذلك يقدرون على البقاءِ والخُلودِ في دارِ الفَناءِ متى تخلّصوا من المهديين بقتلهم.

وعندما حانَتْ ساعةُ اغتيالِ الإمامِ الثاني عشر، وأعدُّوا للمؤامرةِ عُدَّتها واستعدُّوا لها، غيَّبه الله تعالى في علمه، لئلا تمتدَّ إليه يدُ المكر، ولينفِّذ الله تعالى وعدَه، ولتَعْلَمَ قُوى الغَدْرِ والجريمةِ أنَّ وَعْدَ الله تعالى نافذٌ، وأنَّ قُدْرَتَهُ غالبَةٌ، وأنَّ أعداءَ أنبيائه والأوصياءَ لا يستطيعون صرفًا ولا عدلاً.

وحقَّتْ عليهم لَعَناتُ اللهِ تعالى ولعنات النبي الأعظم ولعنات كل

الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، حيثُ أخبر النبي عنهم وعن أمثالهم عندما قال: عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده عليهم السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ستَّةٌ لعنتُهمْ ولعنَهمُ الله وكلُّ نبيّ مجاب: الزائد في كتاب الله، والمكذب بقدَر الله، والمتسلِّط بالجبروت ليُذِلَّ مَنْ أعزَّ الله ويعزَّ مَنْ أذلَّ الله، والتارك لسنتي، والمستحل من عترتي ما حرم الله، والمستحلُّ لحرم الله»، وَفِي رِوَايَة زِيَادَة سَابِع وَهُوَ المستأثر بالفيء»[1].

## المَبْحَثُ الثَّانِي:
## مَنْ هُوَ المَهْدِي عِنْدَ المُسْلِمِينَ؟

ليس من بابِ الفضول أنْ يبحثَ الإنسانُ عن حقيقة الإمام المهديِّ وشخصه وصفاته وعلامات ظهوره، لأنَّ «مَنْ ماتَ ولم يَعْرِفْ إمامَ زمانِه ماتَ ميتَةً جاهليّةً»[2]؛ ولأنَّ المهديَّ هو الإمام الواجب الاتباع، ولا تخلو الأرضُ من إمام كما أخبر النبي المصطفى صلى الله عليه وآله بقوله: «في كل خلَف من

١ - محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، ج٢، ص٢٥٧١، ح٣٩٤٠ وج٢، ص٥٧١. نور الدين علي الهيثمي: موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، ج١٣، ص٦٠، ح٥٧٤٩.

٢ - محمد بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري، ج٩، ص٧٢٩.

أمّتـي عدولٌ من أهل بيتي ينفون عن هذا الدين تحريفَ الضالّين وانتحالَ المبطلـين وتأويلَ الجاهلـين، ألا وإنَّ أئمَّتَكمْ وفدُكـمْ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ، فانظروا مَنْ تُوفِدون»[1].

هـذا الحديث يبيِّنُه الإمام علي عليه السلام أبعاده فيما يُحدِّث به عنه كميل بن زيـاد أنه قال: «لن تخلو الأرض مِـنْ قائم لله بحجة كيلا تبطل حجج الله وبيّناتـه، أولئك هم الأقلّون عدداً، والأعظَمون عنـد الله خطرًا، بهم يَدْفَعُ الله عن حُجَجِه حتّى يؤدّوها إلى نظائرهم ويزرعوها في قلوب أشـباههم، هجـم بهم العلم على حقيقة الأمر، فاسـتلانوا ما اسـتوعر منه الجاهلون، وصحِبـوا الدنيا بأبدانٍ أرواحُها معلَّقـة بالمحلِّ الأعلى، أولئك خلفاء الله في بلاده، والدعاة إلى دينه، آه شوقًا إلى رؤيتهم ...»[2].

من هنا نعلم أنَّ العقيدة المهدوية التي آمن بها عموم المسـلمين ثابتة، لكنَّ المشـهور عندنا معاشر أهل السـنة والجماعة أنَّ الإمام المهدي يولد في آخـر الزمان والسـنة يشـتركون مع الشـيعة الإماميـة في الإيمان بهذه العقيدة؛ أما جمهورُ العلماءِ فيختلفون في التفاصيل.

---

١ - أحمد بن عبد الله الطبري: ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، ج١، ص١٧.

٢ - الموفـق بـن أحمـد الخوارزمـي: المناقـب، ج١، ص٣٧٢. محمـد بن يوسـف الصالحي: سـبل الهدى والرشـاد في سـيرة خير العباد، ج١١، ص٣٠٠. أحمد بن محمد السـلفي: الطيوريات، ج٢، ص٦١٠. أحمد بن عبد الله أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج١، ص٧٩.

وفي هذا البحث سـأعمد إلى تبيان حقيقة الإيمـان بالعقيدة المهدوية عنـد جمع كبير مهمَّش من علماء السـنة، ليتأكَّـد للباحث عن الحقيقةِ أنَّ العقيدة المهدوية التي يؤمن بها الشيعة الإمامية هي نفسها التي كتب عنها علماء وعارفون كبار ينتمون إلى المذهب السني.

ولـو أنَّنا تتبَّعْنا القضايا الخلافيَّـة بروحٍ علميَّة لَتَبَدَّى لنـا أنَّ الكثيرَ منَ الأمورِ العالقةِ بين السـنة والشـيعة هي في الأصل محلُّ خلافٍ بين السنة والسـنة أنفسِـهم. وهذا إن دلَّ عـلى شيء فإنَّما يدلُّ عـلى أهمية الانفتاح عـلى التراث الإمامي الذي لا يزال الكثيرون من طلاب العلم الشرعي في المدارس الشرعية السُّـنِّيَّة وحواضرها العلمية يهجرونه ويخافونه ظنًّا منهم أنَّه تراث مكذوبٌ أو موضوعٌ أو مخالفٌ لكتاب الله تعالى ولسـنَّة رسوله، مع أنَّ أرباب هذا التراث هم خِيرة أهلِ الأرض عِلْمًا وتَقْوَى وَوَرَعًا وفَضْلاً وكَرَمًا وإحسـانًا إذْ إنَّهم ينتمون للشجرة المحمدية المباركة والنَّبْعَة النبوية المطهَّـرة التي أمرنا الله تعالى بمودة أهلها وبتعظيمِهم وبالأخذِ عنهم ومن مَعِينِهِمْ كما أَمَرَنا بعَدَمِ التَّقَدُّمِ عليهم.

لقد اتفقَ علماءُ المسـلمينَ الإماميَّة، وبعضُ علماء السـنَّة والمتصوِّفة منهم على سـبيل الخصوص عـلى أنَّ الإمامَ المهديَّ المنتظَـر هو الإمامُ محمد بنُ الحسـن العسـكريِّ المغيَّبُ، وهو الإمام الثـاني عشرَ من أئمَّةِ آلِ البيـتِ المعصومـين بِحَسَـبِ الاسـتدلالاتِ القرآنيَّـة والحديثيَّةِ التي يعتمدونها.

أمـا النصوصُ الواردةُ عنـدَ الإمامية فكثيرة جدا وهو أمـر متواتر مُتَّفَقٌ عليه عندهم لا خلاف حوله، إلا أنَّ الخلاف وقع بين أهل السنة والجماعة الذين يَعتقد فريقٌ منهم أنَّ الإمام المهدي لم يولد بعدُ، وأنَّ اسـمَه واسـمَ أبيه يوافقان اسم النبي واسم أبيه، وقد شَذَّ أفرادٌ قِلَّةٌ أنكروا الإيمان بالعقيدة المهدويَّـة؛ ولعلَّ من المهمِّ أنْ نبيِّنَ نقاطَ الاتفاق بين السـنة والإمامية في هـذا الصدد ونذكر اعتقـادَ بعضِ أعلام الصوفية الذيـن أوردوا ذكر الإمام المهدي محددين شخصيته؛ ومن هؤلاء الأعلام:

١. الشيخ محيي الدين بن عربي: الذي قال في فتوحاته في الباب السَّـادسِ والسـتين وثلاثمئة: «واعلمـوا أنَّه لابـد من خروج المهديّ عليه السلام، لكن لا يخرج حتى تمتلئ الأرض جَورًا وظُلـمًا فيملؤها قِسـطًا وعدلاً، ولو لم يكن مـن الدنيا إلا يوم واحد طوَّل الله تعالى ذلك اليوم حتى يَلِيَ ذلكَ الخليفةُ، وهو من عترة رسول الله ﷺ، من ولد فاطمة رضي الله عنها، جده الحسـين بن علي بن أبي طالب، ووالده حسـن العسكري ابن الإمـام علي النقي بالنون، ابن محمد التقـي بالتاء، ابن الإمام علي الرضا ابن الإمام موسى الكاظم ابن الإمام جعفر الصادق ابـن الإمام محمـد الباقر ابن الإمـام زين العابديـن عليّ ابن الإمام الحسـين ابن الإمام علي بـن أبي طالب رضي الله عنه، يواطئ اسـمه اسم رسول الله ﷺ يبايعه المسلمون بين الركن

والمقام...»[١].

٢. الشَّـيخ عبد الوهاب الشعراني: الذي سطر في كتابه «اليواقيت والجواهـر» في المبحث الخامس والسـتين: أنَّ «المهدي من ولد الإمام الحسـن العسكري، ومولده ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين، وهو باقٍ إلى أن يجتمع بعيسى ابـن مريم عليه السـلام فيكون عمره إلى وقتنا هذا؛ وهو سـنة ثمان وخمسـين وتسعمئة؛ سبعمئة سـنة وست وستين، هكذا أخبرني الشيخ حسن العراقي المدفون فوق كوم الريش المطل على بركة الرطل بمصر المحروسـة عن الإمـام المهدي حين اجتمـع به، ووافقه على ذلك شـيخنا سـيدي عـلي الخواص رحمهما الله تعالى»[٢].

٣. الشَّـيخ الشـبلنجي في كتابه «نور الأبصار في مناقب آل النبي المختار» إذ أورد كلام الشعراني مؤيدًا معتقِدا به[٣].

٤. القُندوزي الحنفي الذي أورد اسـم ستة من العارفين أيضا: لم يكتـف القُندوزي الحنفـي بإيراد عقيدتـه في المهدي، وإنما نسـبها إلى كبـار أهـل الطريق؛ حيث جـاء في كتـاب ينابيع

١ - عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني: اليواقيت والجواهر، ص٥٦٢.
٢ - عبد الوهاب الشعراني: اليواقيت والجواهر، ص٥٦٢.
٣ - مؤمن بن حسن الشبلنجي: نور الأبصار في مناقب آل النبي المختار، ص١٨٧.

المودة: «أمَّا شيخ المشايخ العظام أعني حضرة شيخ الإسلام أحمد الجامي النامقي، والشيخ عطار النيسابوري، وشمس الدين التبريزي، وجلال الدين مولانا الرومي، والسيد نعمة الله الولي، والسيد النسيمي، وغيرهم (قدس الله أسرارهم ووهب لنا عرفانهم وبركاتهم) ذكروا في أشعارهم في مدائح من أهل البيت الطيبين عليهم السلام مدح المهديِّ في آخرهم متصلاً بهم، فهذه أدلة على أنَّ المهديَّ وُلِدَ أوَّلاً عليه السلام ومن تتبّع آثار هؤلاء الكاملين العارفين يجد الأمر واضحًا عيانًا[1].

٥. سِبط ابن الجَوزي إذ قال في فصل «في ذكر الإمام الحجة المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف»[2]: «هو محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى الرضا بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام؛ وكنيته أبو عبد الله وأبو القاسم؛ وهو الخلف الحجة صاحب الزمان، القائم والمنتظر والتالي وهو آخر الأئمة».

٦. الشَّيخ المحدّث الفقيه محمد بن إبراهيم الجويني الحموينى الشافعي: حيث روى في كتابه "فرائد السمطين»: عن دعبل

---

١ - سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي: ينابيع المودة لذوي القربى، ج١، ص٣٠٩.

٢ - يوسف بن قزعلي البغدادي سبط ابن الجوزي: تذكرة الخواص من الأمة بذكر خصائص الأئمة، ج٢، ص.ص٥٠٦- ٥٠٧.

الخزاعي، عن علي الرضا بن موسى الكاظم قال: «إنَّ الإمام من بعدي ابني الجواد التقي، ثمّ الإمام من بعده ابنه علي الهادي النقي، ثمّ الإمام من بعده ابنه الحسن العسكريّ، ثمّ الإمام من بعده ابنه محمد الحجة المهدي المنتظر في غيبته، المطاع في ظهوره»[١].

٧. الشَّيخ صلاح الدين الصفدي إذ قال في «شرح الدائرة»: «إنّ المهدي الموعود هو الإمام الثاني عشر من الأئمة، أوَّلُهم سيدُنا عليٌّ وآخرهم المهدي عليه السلام ونفعنا الله بهم»[٢].

٨. المحدِّث الفقيه أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد الكنجي الشافعي الذي قال في كتابه «البيان في أخبار صاحب الزمان» في آخر الباب الخامس والعشرين: «إنَّ المهدي ولد الحسن العسكري، فهو حيٌّ موجود باقٍ منذ غيبته إلى الآن، ولا امتناع في بقائه بدليل بقاء عيسى والخضر وإلياس عليهم السلام»[٣].

٩. الشَّيخ المحدِّث الفقيه ابن الصَّباغ نور الدين عليّ بن محمد المالكي في كتابه «الفصول المهمة» حيث قال: «ولد أبو

---

١ - إبراهيم بن محمد الجويني: فرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين، ج٢، ص٣٣٧، ح٥٩١.

٢ - سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي؛ ينابيع المودة لذوي القربى، ص١٣٩.

٣ - محمد ين يوسف الكنجي الشافعي: البيان في اخبار صاحب الزمان، ص٥٢١.

القاسم محمد الحجة بن الحسن الخالص بـ «سُرَّ مَنْ رأى» ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين للهجرة. وأما نسبه أبًا وأُمًّا: فهو أبو القاسم محمد الحجة بن الحسن الخالص بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم أجمعين. وأمَّا لقبه فالحُجة والمهدي والخلف الصالح والقائم المنتظر وصاحب الزمان، وأشهرها المهدي». ثم أردف قائلاً: «وهذا طرف يسير مما جاء من النصوص الدالة على الإمام الثاني عشر عن الأئمة الثقات»[1]. وهذا يعني أنَّه يعتقد هذا الاعتقاد الذي يدين الله تعالى به ويؤمن به.

هؤلاء العلماء هم غيَض من فَيض، إذ لو تتبعنا علماء السُّنة المتبحِّرين الذين يعتقدون بأنَّ الإمام المهديَّ هو الإمام محمد بن الحسن العسكري المغيَّب لَتَطَلَّبَ الأمر كتابًا خاصًّا.

والعجب من طلبة العلم الذين خُيِّلَ إليهم أنَّ الاختلاف حول شخصية الإمام المهدي هو اختلاف بين السنة والشيعة. لكنْ، متى بحث العلماء

---

١ - علي بن محمد المكي المالكي ابن الصباغ: الفصول المهمة في معرفة الأئمة، ص٤٥٣.

المنفتحـون الواعون المتيقِّظـون بتجرُّد فإنهم سـيصلون لا محالة إلى أنَّ الخـلاف ليس من الواقعِ في شيء وإنَّما هو محض صناعة يقوم بها أعداءُ الحقيقـةِ وكل من تشـبث بالمحفوظ فلم يكلف نفسـه البحث الجاد بغية الوصول إلى الحق الذي لا غبار عليه.

لقـد حلَّتْ لعنات الله تعالى -كما جـاء في الحديث النبوي الشريف- على كل من قاتل آلَ بيتِ النبوة واستحل دماءهم؛ ولعنات الله تعالى لاشكَّ حالَّةٌ عـلى مَنْ يُحاربونَ فكْرَ آلِ البيتِ الأطهـار، وإنَّه لمن الحرب عليهم أنْ يُنكـر المنكـرون مهديَّهم الذي بشَّر به الأنبيـاءُ وختامُهم النبيُّ الأكرم. كما أنَّه من الحرب عليهم أن يغيِّروا نَسَـبَه واسمَه ليُحَوِّلوا أنظارَ الخلقِ إلى الْمَفْقـودِ والمعدومِ، فلا تكون لهم أُسـوة ولا قدوة ولا عهد ولا انتظار، و «الانتظار خير العبادة» كما جاء في النصوص عن النبي المعصوم.

ولعـلَّ من الحـرب الضارية عـلى آلِ البيت أنْ نؤمـنَ بحقيقة المهدي وندَّعـي انتظاره، ثُمَّ نحن قائمون على غير طريقه وطريقته؛ نشـاهد القتل الجماعـيَّ والمجازرَ المخيفةَ التي يمارسـها أَلَدُّ أعـداءِ البشرية ومُنْتَهكو حُرْمَةِ الإنسان والإنسانيَّة كلَّ يوم، وخصوصًا في فلسطين، ثم نسكتُ عما نراه ونمرُّ عليه مرور الكرام وكأنَّ الأمر لا يعنينا!

أليـس عجيبًا أنْ نُوالي الظالمين والمجرمـين الذين يدعمون العنصريَّة والإجرامَ ونبحث لهم عن فتاوى تحمل عامَّة الشعب على السمعِ والطاعةِ للمنحـرف العـاتي الظـالمِ الغاشـمِ، المتآمر عـلى الأمَّة، الخائـنِ للدين

وللوطن. كلُّ ذلك نصنعه باسم الله تعالى وسنة رسوله وكتابه المبين؟!

أليس مُهينًا أنْ نركعَ مادحين على أعتاب الدول -سواء أكانت دولاً عربية أو غربية- الداعمة لتغيير جغرافيا الأوطان وتهجير أهلها أو قتلهم، والمشعلة نيران الفتن المذهبية، والمموِّلة لكلِّ عمليات القتلِ والإبادةِ الجماعيَّةِ بصمتها أو بمالها أو بعَتادها أو بإعلامها وإعلاميِّيها، ثم نستجدي جمعَ الأموال وكنزها متخذين من أجداث الشعوب المسفوكة المسفوحة ودمائها سُلَّما يوصلنا إلى طموحاتنا بالوصول إلى السلطة أو النفوذ أو الزعامة أو الغنى.

نَعصي اللهَ تعالى في السرِّ والعلنِ، ويحاربُ المسلمُ أخاه المسلم ويقتله بدماءٍ باردةٍ، وكأنَّنا لا نعرف من الدين غير ما يتناسب وأهواءنا وشهواتنا.

نظلم ونجرم باسم الله تعالى، ونحرِّف معانيَ النصوص ثم نمارس الدين صورةً لا روحًا، نفاقًا لا إيمانًا؛ مَظْهَرًا لا جوهرًا.

نرى إخواننا يُقتلون في القدس الشريف وفلسطين وغزة على أيدي "الصهاينة" فلا نحرك ساكنًا، بل نمارس سياسةَ النِّفاق بإدانة الصهاينة وتخدير شعوبنا بقوانين الأمَمِ المتحدة المصنوعة على أيدي صهاينة العالَم الممتلئينَ إجرامًا وحقدًا وحَسَدًا على بني الإنسان.

نمنع كلمة الحق على منبر رسول الله طاعةً للحاكم المتصهين، مبررين للصهيونية جرائمها ومجازرها، معترفين بقوانينها وحدود البلاد المصطنعة

التي وضعتها، ثم نبيح للخلق ما حرم الله تعالى قاصدين صالات القمار، نبيع الفتاوى لمؤسسات الحكم بِعَرَضٍ من الدنيا قليل.

نجاري المتآمرين الهادفين إلى مسخِ مجتمعاتنا من خلال قبول قوانين جديدة للأسرةِ والأحداث والأحوال الشخصية من شأنها أنْ تُغير معتقدات الأجيال ومبادئَهم وقيمَهم وترابطَهم الأُسَري والاجتماعي لتصنع منهم دُمى تحركهم كما تريد قوى الشرِّ التي تعمل على تشريع الشُذوذ ليؤول الانحراف الفكري والثقافي والعقائدي والديني والجنسي عنوانا للحرية والكرامة والحقوق الإنسانية.

إنَّ الإيمان بالإمام المهدي هو عينُ الإيمان بمحمَّدٍ النبي ﷺ، وإنَّ الطامعَ بملازمةِ الإمامِ والدفاع عنه والموت في سبيل الحق الذي يمثّله والمنهج الذي سينشره، لابد أنْ يتحلَّى بحقيقة الإيمان، لابد أن يكونِ قرآناً يسير على الأرض، لابد أن تجري الأخلاق المحمَّديةُ في عروقِه ودمائه، وبذلك يكون جنديًّا من جنودِ الإمامِ وهو لا يزال بين الناسِ، إذ كيف يجرؤ المناهضُ للإمام على الادعاء أنَّه على نهج الإمام وأنَّه من خيرة أهلِ الأرضِ الذين يناصرونه؟!

أم كيف يدَّعي العلماءُ؛ الذين يناصرون أميراً ظالماً أو ملكًا خائنًا للأمَّةِ وللإنسانيَّة إذ يدعم مشاريعَ الاستكبارِ العالمي ويصمت على جرائمَ يرتكبها العدو بحقِّ أمَّته وإبادة جماعية يومية؛ أنَّهم على نهج الإمام، وهو الذي سيكون سيفًا مصلتًا على رقاب علماءِ السوء الذين يأكلون أموال

النَّاسِ بالباطل، ويصدُّون عن سبيل الله تعالى بانحرافهم ونفاقهم؟!

وإذا كان الإيمان بالمهدي عاملَ اجتماعٍ ووحدة، فإنَّ على علماءِ الأمَّة أنْ يحيوا في ليلة النصف من شعبان ذكرى ولادة الإمام المهدي المنتظر المغيب -التي نشأنا على إحيائها وتعظيمها والاحتفاء بها في بيئتنا السنية- ليكون إيماننا بالإمام المهديّ هو الإيمان بالقضية الجامعة التي هي المنطلق والملاذ الآمن لوحدة الأمَّة الإسلاميَّة الضائعة والمضيَّعة على اختلاف مذاهبها ومشاربها وفي معظم شؤونها البنيوية والاقتصادية والاجتماعيَّة والتنمويَّة والثقافيَّة والأمنيَّة.

بل يجب أنْ تكونَ العقيدةُ المهدويَّةُ مفتاحًا لصناعةِ أجيال قادرة على مواكبة ربيعٍ إسلاميٍّ مثمرٍ لم تبدُ بعد بشائره بسبب التقصير الكبير الذي تعيشه أمَّة الإسلام.

فالإمام المهدي يجب أنْ يكون السبيل الأمثل لاجتماع المسلمين على الله تعالى ورسوله وآل البيت الأطهار بعيدًا عن المذاهبِ وتفصيلاتها وتفريعاتها، بحيثُ تلتقي القلوب وتأتلف النفوس وتنصهر الأفئدة. وهذا الكلام يجب ألَّا يكون شعارات فارغة لأنَّه لا يُثمِرُ متى استغللناه للاستهلاك الإعلامي والدعاية، فهو مشروعُ اللهِ تعالى ورسوله ﷺ ولا يدرك هذه الحقيقة إلا المؤمنون، وإنَّ في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

ثم إنَّ قراءةَ النصِّ الدينيِّ والنتائج التي يتوصل إليها الدارسُ والعالِمُ

عبر العصور ليست نهائية، وهذا ما تُرشد إليه الآيات القرآنية، قال تعالى: ﴿**قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا**﴾ [سورة الكهف؛ الآية ١٠٩] وقال أيضا: ﴿**وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ [سورة لقمان؛ الآية ٢٧].

بل هذا ما لا يتعارض مع روح القرآن والعقيدة والشرائع السماويَّة التي أعطت للعقل قيمةً كبيرةً به يعرفُ ربَّه وخالقَه والكائنات من حوله؛ وعندما نقدِّمُ فَهْمَنا للنصِّ وقراءته على أنَّها القراءةُ النهائيَّةُ فإننا سنُحْدِثُ تَبايُنًا كبيراً بينَ النصِّ والحقيقة التي تجعلُ النَّصَّ في وادٍ والواقعَ في وادٍ.

لقد كان عند العارفين والعلماء علاماتٌ تشير إلى اقتراب اللقاء والوعد المحتوم، فكانت العلامات التي شهد بها من كانوا أشد الخلق عداوة للنبي الخاتَم، ثم سرعان ما أنكروا كل معارفهم، وزيَّفوا معتقداتهم لئلا يستسلموا للحقيقة التي تحجِّمهم وتبيِّن للناس مقدار إصرارهم على الخطأ والخطيئة حقدًا وحسدًا.

وعلى الرَّغم من وجود جماعات كانت تُنكر هذه البعثة وترى معتقديها مجانين، إلَّا أنَّ البعثةَ المحمَّديةَ كانت واقعًا لا ينكره عاقلٌ، لا بل تحققت نبوءات الأنبياء، السابقين وظهرت للمنكر كما ظهرت للمؤمن. فهل يَضر ضوءُ الشمس أنْ ينكره مُنكِر في رابعة النهار؟! ونَفَذَ وَعْدُ الله تعالى وتَحَقَّق وظَهَرَ صِدْقُ مُرْسَليه.

وبعد أن بعث الله تعالى نبيَّه وكفرت الأقوام التي كانت تنتظر خروجه، فحاربته وفشلت في طمْس دينه وشريعته بعد أن جهدت في تكذيب كل الحقائق التي خبرَّ عنها وأتى بها، فأنكروا الغديرَ وأَقصوا الإمامَ ثم خُضبت لحيتُه من رأسه كما أخبر النبي؛ وحدَّث ما به خبرَّ النبي؛ ثم حاربوا الحسنَ إلى أن عقد معهم اتفاقية صلح كما خبرَّ النبي الكريم، ثم قُتل الحسن المجتبى مسمومًا كما أخبر جَده الرسول؛ ثم خرج الحسين وقُتل على الأرض التي أخبر عنها النبي وتحولت تربته إلى دم. كل ذلك حدث بتفاصيله كما أخبر النبي ﷺ، وها نحن ننتظر تتمة القصة التي صدَق بها النبي في الإخبار عن ربه حول خروج المهدي. الذي يُنكر الإيمان به وبوجوده أقوامٌ يعملون لصالح المؤسسات الشيطانية والانحراف وتزوير الحقائق والعقائد.

ثم إنَّ إيمان الأمم والشعوب على امتداد الأرض وعرضها بعقيدة المهدي أو المخلِّص، وورود هذه القضية عند كل أمة، لهو أكبر دليلٍ على أنَّ الأنبياءَ جميعَهم قد بشَّروا بالوصيِّ الخاتَم للأوصياء، أي: المهدي، كما بشروا بالنبي الخاتم للأنبياء، وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ**﴾ [سورة فاطر؛ الآية ٢٤].

المَبْحَثُ الثَّالِثُ: هَلْ المَهْدي فيْ أُمَّة مُحَمَّد لَكنَّهُ مُغيَّبٌ في علم الله

جاء عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: "خَشِينَا أَنْ يَكُونَ بَعْدَ نَبِيِّنَا حَدَثٌ

فَسَأَلْنَا نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: ‹إِنَّ فِي أُمَّتِي الْمَهْدِيَّ يَخْرُجُ يَعِيشُ خَمْسًا أَوْ سَبْعًا أَوْ تِسْعًا› -زَيْدٌ الشَّاكُّ، أحد الرواة- قَالَ قُلْنَا وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ سِنِينَ...»[1].

في خاتمة مسألة المهدي والإيمان به يرى النَّاظر والمحققُ والمتثبتُ أنَّ العلماءَ على اختلاف طوائفهم ومذاهبهم ومشاربهم قد أجمعوا على الإيمان بالمهديِّ، ما خلا أُناسًا شذَّت أقوالُهم وخرجوا عن النُّصوص أو أوَّلوها تأويلاً غريبًا لا يتفق مع مرمى الوحي وما قصد إليه، ولم يلقَ رأي هؤلاء قبولاً عبر العصور، ولم يكن لرأيهم من تقديرٍ في تاريخ المسلمين، بل لم يلتفتْ إلى ما سطَّروه سوى مَنْ خُدِعَ من الباحثينَ بالفكرة من دون تحقيق، أو ممن لم يكن من أهل الاختصاص، أو مَنْ لم يَقِفْ في بحث هذه القضية على كثافة النصوص التي فسَّرَتْ مجملَ الآياتِ واستفاضَتْ حتَّى بَلَغَتْ مَبْلَغَ التَّواتُر.

لكنَّ الغريبَ أنْ يَتَّخِذَ الناسُ مِنْ قضيَّة الإيمان بالمهديِّ متاريسَ للتنابذ والصراعات والفُرْقَة، حيثُ صنعت الأُمَّةُ مِنْ قضيَّة الإيمان بالمهديّ -مُغَيَّبًا أو مولودًا يولد في آخر الزمان- طريقًا إلى ضَرْبِ وَحْدَةِ الأُمَّة وتَفْتيتِها بنزاعات لا يَلْتَقي عليها الناسُ أبدًا، ولو بحثوا في جوهرِ قضيَّة المهديِّ وما يتعلَّقُ بخروجِه من مهامَّ خطيرةٍ لاتَّفقوا على إقامةِ الموازينِ التي يأتي بها وقد آمنوا جميعًا بها واعترفوا بها، بل طالما كانت مدارَ حديثِ العلماءِ والمفكِّرين والمنظِّرين.

---

١ - محمد بن عيسى الترمذي: سنن الترمذي، ج٤، ص٧٤، ح ٢٢٣٢

والأمـرُ الذي يَجـبُ لَفْتُ الانْتبـاه إليه أنَّ هذه الخلافات لم تَنْشَـأْ مِنْ فَـراغٍ ولم تَصْدُرْ عنْ مُجَرَّد اختلاف في روايَة وقَبُولها أو رَدِّها، إذ إنَّ أنظمة الحكم التي كانت تَتَّخذُ مِنَ الشريعة الإسلاميَّة ستارًا لم يكنْ مِنْ مَصْلَحَتها أنْ يتفقَ الناسُ على كلِّ المبادئ السـامية والقضايا الكبيرة التي أخبر عنها النبـيُّ (ص) وشرحَها وبيَّنها للناس، وإنَّما كان من مصلحة أهل السياسـة دومًا أن يبحثوا عن عوامـلَ الفُرْقَة والخلاف وتأجيج نيران الصِّراعات بينَ النـاسِ مِنْ خِلال مذاهبهم واجتهاداتهم وعقائدهـم لِيَصْفُوَ الجَوُّ للحاكم من خلال إغراق المجتمع في مسـائلَ سـطحيَّة تصنعُ العداوات وتستبيحُ المحرمات وتُغَيِّرُ المنهجَ وتُضِلُّ العبادَ وتُبْعِدُهم عن سواء السبيل.

هـذه العواملُ وغيرُهـا الكثيرُ تُوجِبُ عـلى الباحث أنْ يبـدأَ بحثَه عن المهـديِّ، من خلال التعريف بالأسـباب التي حملت الحاكمينَ على قَتْلِ آباء المهديِّ، ثمَّ محاولة اغتياله عِنْدَ مَنْ يؤمنُ بالمهديِّ مُغَيَّبًا، ومِنْ خلال قـراءة المناهج المتعلِّقَة بالمهـديِّ قراءةً مُتَأَنِّيَـةً مُنْفَتِحَةً على مَـنْ آمَنَ أنَّ المهـديَّ يُولَـدُ في آخر الزمان؛ لأنَّ طبيعةَ هذا المبحـث تقودُ إلى الالتقاء على المهديِّ صاحب مَنْهَج وخليفَة نَبِيٍّ وقائم بالعدل وناشر للحقِّ وجامع للشـمل ونابذ للفرقة ومحارب للشرِّ وللرذيلة ورافع لِقَدْرِ الإنسـانِ ومُقَدِّرٍ لِفِكْرِه ومُحْتَرِمٍ لِوُجوده.

هـذه المعاني السـاميةُ لا يختلـفُ عليهـا الباحثون في معـالم الفكر الإنسـانيِّ والإسـلاميِّ، كما أنَّها ليسـتْ محلَّ نزاع الدارسـين للنصوصِ

الشرعيةِ على ضوءِ الأبعادِ التي رمتْ إليها.

ولعلَّ أتباع المذاهب الإسلامية قاطبةً رغم اختلافهم في المهدي وحياته وخروجه، متى درسوا المهدي فكرًا ومنهاجًا فإنَّهم لن يخرجوا عن نصوصهم، ولن يخالفوا واقعًا، ولن يتصارعوا حوله، ولن يكفِّرَ بعضُهم بعضًا، وإنَّما سيلتقون حول مائدة رحمته وعدالته وتضحياتِه ممهِّدين الطرقَ التي سيسيرُ عليها قائمًا بالحقِّ والعدلِ والنور.

فما أحوجنا في مجال البحث لأن نقرأَ بأَعيننا وبعقولنا وبفكرنا بجديةٍ تامة وبحياديةٍ كبيرةٍ لنجعل من نقاط الاختلاف التي صنعتها الأنظمة السياسية قديمًا نقاط التقاء، ولنسمح للفكر بأن يسبح في رحاب النصوص التي تناقلتها الأمة وازدحمت بها المكتبة الإسلامية بمذاهبها المتعددة والمتناحرة بسبب السياسات القديمة الجائرة والتي لوثت فكر العالم الإسلامي بالنزاعات المذهبية المقيتة المدمِّرة.

إنَّ المشكلةَ التي واجهها الباحثون قديمًا تكمُنُ في التزامِهِمْ بمذهبٍ لا يستطيعونَ الخروجَ عنْ كلِّ ما سطَّره مُنَظِّروه وعُلماؤه وواضعو قواعده وضوابط الفكر فيه، ولئن كان الوصول إلى أبواب المعرفة قديمًا متعذِّرًا ما حمل الناس على التعصب، فإنَّ انفتاح الإنسان اليوم على المعارف بسرعة كبيرة تعينه على التحليل والدراسة والمقارنة تجعله مسؤولاً مسؤوليةً كبرى على قدر هذا الانفتاح المعرفي الذي توصل إليه. فأن ينكمش الباحث على معرفة ضحلة وأقوال بسيطة وأفكار محفوظة من دون تمحيص وتدقيق

ومراجعــة، وأن يكتفي بمنهــج تَعلَّمَه وكتاب حَفظَه؛ كل ذلك لا يصنع منه عالمًــا قادرًا على تفهم الآخرين الذين يختلفون معه ضمن المذهب الذي ينتمي إليه؛ وإذا كان أمرُه كذلك، فكيف سيتفهم المخالفين له ممن ينتمون إلى مذاهب أخرى، وإلى ديانات وعقائد أخرى، والله تعالى هو الذي أمر نبيه بأنْ يدعو مخالفيه إلى كلمة سواء، معتمدًا الحجاج العقلي والتبصر؟

لقد آمن المســلمون قاطبةً بالمهدي إمامًا يكــون في آخر الزمان، لكنَّ المذهبيات المسيسة لم تسمح لهم بأن يجتمعوا حول هويته، وهذا لا يضر بداية متــى اجتمعوا على منهاجه وطريقته وعدالته، وإذا كانت المذهبيات قــد وضعت العوائق أمام الناس فــإنَّ أصحابها الأوائل لم يكونوا على هذا المنهــاج، بل كانوا يطالعون ويطَّلعــون ويضطلعون بآراء المخالفين عسى أنْ يكونَ المخالفَ قد توصل إلى ما لم يتوصلوا إليه.

# الفَصْلُ السَّادِسُ:
# المَهْدِيُّ وَالأَسَاطِيرُ.. إشكالاتٌ وحلولٌ

# المَبْحَثُ الأَوَّلُ:
# لِمَاذَا الاِختِلَافُ حَوْلَ المَهْدِيِّ؟

## الاِختِلَافُ حَوْلَ شَخْصِيَةِ المهْدِيّ

اختلـفَ العلماءُ والمحقِّقون حولَ شـخصِ المهـديِّ وتحديدِ هويَّته، وقد اعتمد كلُّ فريق على الروايات التي يعتقدُ صوابَها، فمِنْ أهل العلم مَنْ نصَّ على أنَّ اسـمَه هو محمَّدُ بنُ عبـدِ الله يولد في آخرِ الزمان، ومن هذه الروايات التي اعتمدوا عليها قول النبي ﷺ: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمْلِكَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي، وَاسْمُ أبيه اسْمَ أبِي، فَيَمْلَؤُهَا قِسْطاً وَعَدْلا»[1].

لكنَّ الجامعَ بين الروايات يجد أنَّ معظمَ الروايات جاءت بلفظ «يُوافِقُ اسـمُه اسمي» فقط من دون زيادة «واسـم أبيه اسم أبي» كما هو الأمر في مسند أحمد وغيره[2].

ولعـلَّ الخطأَ الـواردَ في الرواية التي حددت اسـم الأب مردُّهُ إلى نقل

---

١ - نور الدين علي الهيثمي: موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، ج٦، ص١٣٠، ح١٨٧٨.

٢ - أحمد بن محمد الشيباني ابن حنبل: مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج٣، ص٤٩١، ح٣٥٧١.

المعنى الوارد في روايات أخرى والتي جاء فيها:

"يَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي وَخُلُقُهُ خُلُقِي، فَيَمْلَؤُهَا قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا"[١]، «لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدنيا إِلا لَيْلَةٌ، لَمَلَكَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي»[٢].

هذا بالإضافة إلى ما تمسَّك به أتباعُ كلِّ مذهبٍ إذ اعتمدَ العلماءُ على كتبِ الحديث التي تؤيدها وتعترف بها مذاهبهم دون سواها، ما حدا بهم إلى ترجيحِ الرواية التي تُقوِّي المذهب وتكون برهانًا على صِحَّة ما سطَّره أصحابه وما خَطَّوه من أفكارٍ تتعارضُ مع أصحابِ المذاهبِ الأخرى وتناقضُهم، وكثيرًا ما تصل الأمور إلى السخريةِ مما يعتقده الآخرون الذين لم ينطلقوا أصلاً من الفراغ وإنَّما كانت انطلاقتهم من نصوصٍ نبوية صحَّتْ عندهم كما صحَّتْ نصوصٌ أخرى عند غيرهم. وبقي أن يجدَ الباحثون المعتدلون فكرًا ورؤيةً قائمةً على الحياديَّة والعلميَّة الجادة للتفريق بين الرؤى والاجتهادات وتصحيح الروايات منطلقين من القرآن المنزل بلسانٍ عربي فصيح يعرفُ العرب لغتَه ويفقهونها ويستطيعون تدبُّرَ الأبعادِ التي نصَّتْ عليها الرواياتُ متى توافقتْ وروحَ القرآن، ولو كانت من خوارق العادات التي لم يعهدها الناس إذ هي عَطِيَّةٌ من الله تعالى وعِبْرَةٌ لِيُؤمِنَ

---

١ - سليمان بن أحمد الطبراني: المعجم الكبير، ج١٠، ص١٣٦، ح١٠٢٢٩.

٢ - علي بن أبي بكر الهيثمي: موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، ج٦، ص١٢٩، ح١٨٧٩.

النـاسُ وليعتبروا وليتَّبعوا الحقَّ، ولَقَدْ أظهرَ اللهُ تعالى الخوارق على أيدي أنبيائه ليَتَّبعَ الناس هدايَتَهُمْ.

وشَـأْنُ المهديِّ يجـبُ أن نَنْظُرَ إليه ونتعاملَ معه مِنَ المنطَلَق نفسـه لأنَّـه يَخْرُجُ هاديًا مَهْدِيًّا ناشرًا الأمْنَ ناصرًا الأنبياءَ الذين خَذَلَتْهُمْ أُمَمُهُمْ بتغيـير تعاليمهم وتحريف مناهجهم. وهـذا يتطلَّب خوارقَ يُظهرُها الله تعالى على يديه ويؤيِّدُه بها كما أيَّد أنبياءَه من قبل، كما يتطلَّبُ أن يكونَ خروجُـه وطبيعةُ ظهوره بحَـدِّ ذاته ضربًا مِنَ الإعجـاز والخوارق الدالَّة على هدايته ومكانته وافتتاحه علامات السـاعة التي غيَّبَها اللهُ تعالى عن عباده؛ وبمـا أنَّ المهديَّ هو فاتحُ هذه العلامات فإنَّ خروجَه منْ مَرحلة التغييب إلى الظهورِ يتطابَقُ تطابقًا تامًّا معَ طبيعة علاماتِ الساعة المغيَّبة عنِ البشر.

ومـنَ العلماء من نصَّ عـلى أنَّ الإمامَ أبا القاسـم محمدَ بنَ الحسـنِ العسكريِّ هو المهديُّ خاتمةُ الخلفاء الراشدين، فعن أبي الطفيل عن علي قال: سمعت عليًّا يقول: «إذا قامَ قائمُ آل محمَّد جمعَ اللهُ له أهلَ المشرق وأهلَ المغرب، فيجتمعونَ كما يجتمعُ قَزَعُ الخريف، فَأَمَّا الرُّفَقَاءُ فَمِنْ أَهْلِ الكوفَةِ وأمَّا الأَبْدالُ فَمِنْ أهلِ الشَّام»[1].

---

١ - عـلي بن الحسـن ابن عسـاكر: تاريخ دمشـق، ج١، ص٢٩٧. محمد بن الحسـن الطوسي: الغيبة؛ ص٤٧٧، ح٢٠٢.

## هَل وُلِدَ المَهْدِيُّ؟

الذي كان عليه ابن الصَّباغ المالكي سبقه إليه الكثيرُ من أئمَّة السُّنة، فالصفدي في كتابه "الوافي بالوفيات" يقول ما نصه: "الْحُجَّة المنتظر مُحَمَّد بن الْحسن العسكري بن على الْهَادِي بن مُحَمَّد الْجواد بن عَليّ الرِّضَا ابن مُوسَى الكاظم بن مُحَمَّد الباقر بن زين العابدين عَليّ بن الْحُسَيْن بن عَليّ بن أبي طَالب رَضِي الله عَنْهُم الْحجَّة المنتظر ثَاني عشر الأئمة الاثني عشر، هُوَ الَّذِي تزْعُم الشِّيعَة أَنَّه المنتظر القائم الْمهْدي وَهُوَ صَاحب السردابِ عِنْدهم وأقاويلهم فِيهِ كَثِيرَة ينتظرون ظُهُوره آخر الزَّمَان"[1].

والذي يجعلُ الباحثَ ميَّالاً إلى أنَّ الإمامَ أبا القاسم محمد بن الحسن العسكري هو المهدي ما جاء عن جده ﷺ في شأن الأئمة وعددهم وأنهم اثنا عشر، إذْ كانَ الإمامُ محمدُ بنُ الحسنِ العسكريّ هو الإمامَ الثاني عشر، حيث وَرِثَ علومَ آبائه كابرًا عَنْ كابر ـ مع جلالة آل البيت جميعًا ـ مع صِغَر سِنِّه؛ إذ إنَّ عُمُرَهُ يومَ تُوُفِّيَ والدُه كانَ خمسَ سنين؛ انتقلتْ إليه الخلافةُ والإرثُ المحمَّديُّ ولم تكن لغيره، لأنَّ الخلافةَ اختيارٌ من لَدُن الخالق ولَيْسَت اختيارًا مِنْ قِبَلِ الخلق، ولو كانَ الأمرُ كذلك -أي اختيارًا مِنْ قِبَلِ الناس- لادَّعى كلُّ أحدٍ حَسَدًا وغَيْرَةً أنَّه المهدي. ولقد جاء عن الإمام

---

١ - صلاح الدين خليل الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٢، ص٢٤٩.

الباقر في قوله تعالى: ﴿**أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا**﴾[سورة النساء؛ الآية ٥٤] قال: «نحن الناس المحسودون والله»[١]؛ أراد بذلك أن يُبيِّنَ أنَّ هذه الآية التي يفهمُ الناسُ مِنْ معناها العمومَ هي خاصَّةٌ قد نزلت في حق آل البيت.

وكذلك ما جاء عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: "خَشِينَا أَنْ يَكُونَ بَعْدَ نَبِيِّنَا حَدَثٌ فَسَأَلْنَا نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: 'إِنَّ فِي أُمَّتِي الْمَهْدِيَّ يَخْرُجُ يَعِيشُ خَمْسًا أَوْ سَبْعًا أَوْ تِسْعًا' -زَيْدٌ الشَّاكُّ، أحد الرواة- قَالَ قُلْنَا وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ سِنِينَ...»[٢].

والحديث عند ابن ماجه بلفظ:" يَكُونُ فِي أُمَّتِي الْمَهْدِيُّ إِنْ قُصِرَ فَسَبْعٌ وَإِلَّا فَتِسْعٌ..."[٣].

إذا ما تفحَّصنا هذه الروايات لنعرف الخللَ والتضاربَ والسقطَ الذي فيها، أو الذي أحدثه الرواة فيها عن قصد نصرة للمذهب أو إرضاء للحكام أو خوفًا منهم، أو بسبب نسيانهم، أو بسبب رواية الحديث بالمعنى حيث قدَّموا لفظًا وأخَّروا آخر؛ أدركنا أنَّ المهدي يكون في أمَّة النبي ﷺ، يعيش

---

١ - سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي: ينابيع المودة لذوي القربى، ج٢، ص٣٥٥.

٢ - محمد بن عيسى الترمذي: سنن الترمذي، ج٤، ص٧٤، ح ٢٢٣٢

٣ - نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج٣، ص٣٣٥.

خمسًـا؛ ولقد عاش المهديُّ خمسًا ثم قدر الله تعالى له أن يكون في حال لا يعلمه إلا هو سـبحانه؛ ثم عندما يكون الوقـت المؤقَّتُ يُؤمرُ بالخروج ليـؤدِّيَ المهمَّة التي أُنيطَتْ به مِـنْ قِبَلِ الله تعالى، وهكـذا يَنْجَلي الغُبارُ عن الرواياتِ التي حدثَ فيها الخَلْطُ ما بين خمس سـنين أو سـبع سـنين أو تسـع سـنين، والتي تُحَدِّثُ عن مُكْث المهديِّ بعد الولادة قبل الغيبة، وليـس عن فترةِ الحكم التي يحكم بها لأَنَّه سـوف يواجـه كما هو معلوم كلَّ القـوى المتجبرة والظالمة في الأرض، وهذا قد يحتاج إلى وقت ليس بالقصير، فَمُهِمَّتُهُ ليسـت السـيطرةَ على البلدانِ والأموالِ وإنَّما مُهِمَّتُهُ نَشْرُ القِسْـطِ بينَ الناسِ، والعدالـةِ في ربوعِ الأرضِ ، وهذا الأَمـرُ يَتَطَلَّبُ وَقْتًا كافِيًـا مِنَ الجُهْدِ، إضافَةً إلى الوقت الـذي يحارب فيه قُوى الشرِّ، هذا إذا أردنـا تطبيقَ النَّص على الواقع مـن دون الخوض في المعاجز والكرامات التي يؤيده الله تعالى بها.

فقوله ﷺ «إنَّ في أمَّتي المهدي»؛ وأبو سـعيد يسأله عن الأيام المقبلة التي تعجُّ فيها الفتن وتعظم الحوادث، لأَكْبرُ دليل على أنَّ المهديَّ سيكون موجودًا في هذه الأمَّةِ المحمَّديَّة بعد النبي ﷺ وخلفائه الأحد عشر، ليكون ختامَهم المنتظر، وفي فترة سـتكون صعيبة جـدًا، حيثُ المحاولة الأخيرة للقضاء على آخر الخلفاء بعد أن تمَّ القضاء على آبائه من قبله، فهذه منتهى الفـتن وأعظمها، حيث الأمر بقتل أبناء الأنبياء وخاتم الأوصياء، ولقد أكد النبي على أنَّ المهديَّ سـيكون في هـذه الأمة مرافقًا أحداثها «إن في أمتي

المهـدي»، وكأنَّ الخطابَ المؤكَّدَ هـذا يتوجه به ﷺ إلى المؤمنين الذين سيعيشون فتنًا داميَةً شديدةً تَبْتَعِدُ فيها المجتمعاتُ الإسلاميَّةُ عنْ منهجِ اللهِ تعالى ورسـوله وفَهْمِ قرآنه، كما يتوجَّه إلى من سَيَشُكُّون في شأن المهدي وفي خَـبرِه، مُتَعَلِّلينَ مَرَّةً بِصِغَرِ سِـنِّه، ومَرَّةً أُخْرى بِكَوْنِه مِنْ أبناءِ الحسـنِ وليسَ مِنْ أولادِ الحسينِ عليهما السلام، ومَرَّةً ثالثةً بِإِنْكارهم وجودَه، وهم لا يعرفونَ شيئًا عنْ وجودِه.

وإذا كان المخـبرُ بوحيٍ منَ الله تعالى أنَّ المهـديَّ فينا. فكونُه فينا لا يعنـي أن نتعرَّف إليه وأنْ نـراه قبلَ أن يأتيَه الأمرُ بالخروج، فلقد أُخبرنا عن الدجـال، وما من نبي إلا وأنـذر قومه الدجال، ومع أن المسـلمين قاطبةً يؤمنـون بوجـوده، ويتفقون عـلى أنَّ الأخبـارَ المتعلقة بخـروج الدجال متواترة، إلا أنَّنا لا نراه ولا نعرف شـيئًا عن وجوده، كما أخبرنا القرآن أيضًا عن خروج يأجـوج ومأجوج ﴿**حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِـلُونَ**﴾ [سـورة الأنبياء؛ الآية ٩٧] ونحن لا نعرف شيئًا عن أمرهـم ومكانهم إلا بقدر مـا أخبرنا القرآن، وكما أُخبرنـا أيضًا عن خروج الدابـة التي تكلـم الناس ﴿**وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِـمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ...**﴾ [سورة النمل؛ الآية ٨٢] وما من مؤمن إلا وهو يؤمن بهذه المغيبات لا شك عنده في ذلك أبدًا.

ولعلَّ السـببَ في مسـألة التشـكيك بولادة الإمام المهـديِّ وغيبته هو العلماءُ الذيـنَ كانوا يحمونَ الأنظمةَ الحاكمةَ كيفما اسـتطاعوا إلى ذلك

سبيلاً ولو على حساب تعمية الحقائق لأنهم يخافون أن يصير الحكم إلى أبناء محمد رسول الله ﷺ، فإذا رجعَ الأمرُ إلى أهلِه ضاعَ الملك، وذهبَ النُّفوذُ، وسقطَ القناعُ عن العلماءِ المنحرفين، وبطلَ خداعُهم وانكشفتْ ألاعيبُهم للناس ليعرفوا أُسُسَ المتاجرةِ بالمذهبيَّات التي استعملَها الكثيرون في تكريسِ الخلافاتِ وتغذيةِ الصراعات.

وإنَّنا إذ لم نر المهدي فإنَّه لا يمنع مانع من أن يكون فينا، ثم يصلحه الله تعالى في ليلة واحدة، كما جاء في الأحاديث الشريفة: «الْمَهْدِيُّ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ يُصْلِحُهُ اللَّهُ فِي لَيْلَةٍ»[1]؛ وقضية إصلاح المهدي في ليلةٍ لعل مردَّها إلى ما هو عليه من التخفي والتغييب لعدم توفر العدد المناسب من المناصرين المنتظِرين المتَهَيِّئينَ على مستوى المرحلة الصعيبة التي تتطلب فئة متميزة وعلى قدر كبير من الإيمان والوعي والامتثال.

وهنا يكمُنُ سرُّ المهديِّ حيثُ يتمُّ إصلاحُه من قبل الله تعالى في ليلةٍ بعد أن يكون في حال لا يعلمه إلا الله تعالى، وعندما يحين موعد الخروج، بل في ليلة الخروج يصلحه الله تعالى ليخرج من حال التغييب إلى حال الظهور إلى الناس بعد أن كان خروجه متعذِّرًا بسبب عدم وجود الفئة المنتظرة المستعدة للقيام بالمهام اللازمة، لأنَّ الحالَ الذي هو عليه

---

١ - أحمد بن محمد الشيباني ابن حنبل: مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج١، ص٤٤٤، ح٦١٠.

مــن التخفي والغيب خاصٌّ، ليس للبشر أن يطلعــوا عليه إلى حين، ولأنَّ الأمــرَ الإلهي لم يأتِ بذلك إذ إنَّه من جملة الأمــور الغيبية المتعلقة بعلم الســاعة؛ وبذلك يخرج الإمــام لإتمام المهمة بصــورة مفاجئة تزلزل كيان الظلــم والفســاد والتجبر وتوقــع أتباع الظلمــة بالحيرة والخــوف والقلق والاضطراب.

لكن السؤالَ الذي يطرح نفسه في هذا المضمار هو أنَّ يأجوج ومأجوج ذُكروا صراحةً في القرآن، والدابة التي تخرج في آخر الزمان ذُكِرت صراحةً أيضًــا، لكنَّ المهديَّ لم يُذكر في الكتاب صراحة وإنما ذكر تلميحًا عملت الروايات على تفصيله وشرحه وتبيينه، فلم حدث ذلك؟

وأكتفــي بالإجابة عن ذلك من جهتين اثنتــين لتتضح الحقيقة وضوحًا لا يُبقي للشَّــك مجالاً ولا للشطَط سبيلاً؛ فالجهة الأولى متعلقة بالدَّجال الــذي لم يذكر القرآن خروجه صراحةً؛ وخروجه محل اتفاق عند المؤمنين قاطبةً والمتمذهبين جميعًا.

والوجــه الثاني يتعلق بطبيعة القرآن الذي وعد الله بحفظه من التلاعب مهما تباعدت الأزمنة وتغــيرت العوامل الضاغطة التي تهدف إلى تحريفه وتغيير تعاليمه بكل المســمَّيات الممكنــة عبر العصور والدهور، فمحاولة التغيير قد تكون باسم المدَنِيَّة ومحاربة الرَّجْعِيَّة، أو باسم التقدُّم والإصلاح، أو باسم محاربة الأصوليَّة والتطرُّف والإرهاب، أو باسم المذهبية وضرورة التغيير انتصارًا للمذهــب أو الأنظمة الحاكمة، وما إلى هنالك من ظروف

وأوضاع تشهدها ساحة الكون. هذا الوعد جاء مسطورًا واضحًا في القرآن إذ قال الله تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ [سورة الحجر؛ الآية ٩].

وتطبيقًا على النص القرآني نجد أنَّ اسمَ المهديِّ لو ذُكِر في القرآن بما لا يدع مجالاً للشك فيه وفي اسمه لكان هذا الوضوح داعية لخصومِه إلى تحريف الآيات وتغيير مدلولاتها وإدراج اسم آخر يتغير بتغير الدول الحاكمة أو المذاهب الرائجة في كل مكان وزمان، ولكان وضوحه قاضيًا بمخالفة المؤمنين بالقرآن لآيةٍ من آياته، وهذه المخالفة إذا كانت إنكارًا بعد وضوح فإنَّ المخالف للنص القرآني سيكون مثلُه كمثل من قال القرآن فيهم: ﴿**أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾ [سورة البقرة؛ الآية ٨٥]

إنَّها الرحمةُ الإلهيَّة بهذه الأمة التي ستعيش حالة صراعات فكرية ومذهبية وعقائدية وسياسية و ... يبيحُ فيها الناس لأنفسهم التغييرَ والتحريفَ بكلِّ الوسائلِ الممكنةِ، وتأكيدًا على ذلك نجد أنَّ الأيادي طالما عملت على التلاعب بالأحاديث النبويَّة الشريفة التي تصب في هذا المنحى، لكنَّ الباحثين لم يتعرَّضوا لذلك، لأن التعرُّض هذا يخدِش -في نظرهم- بما تناقله أتباع مذهبهم من روايات. وهكذا ظلت الضبابية تكتنف

مثـل هذه الأمور البحثية الخلافية، وظل الغموض سـيد الموقف، وظلت المذهبية الحكم الأوحد على كل ما كتب أو نقل.

من هنا أشـار القـرآن إلى قضية خروج المهدي فذَكَـر ملامح عن هذا الظهور الذي لا يَعرِفُ أبعادَه كلُّ أحدٍ باسـتثناء العلماء والباحثين الذين لا يسـتوون في المعرفة وغيرَهم، والذين لا تُشْكِلُ عليهم الفهوم وإن تمادت المذهبيات في تغيير الحقائق وتغييبها.

إنَّ لقـبَ المهديِّ يجب أن نسـتنتج منـه صفاته الموافقـة للأحاديث الثابتة عنه ﷺ، فما سُـمِّيَ المهدي مهديًا إلا لأنَّه خاتمُ الخلفاء الراشدين المهديين الذين أمرنا النبي ﷺ بأن نَعَضَّ على سُنَنِهم بالنواجذ.

وقد يسـأل السائل مسـتغربًا: كيف يكون المهديُّ موجودًا ومخفيًّا عن الخلـق في آن؟ أم كيـف يمكـن أن يبقى حيًّا إلى هذا الوقـت، بل إلى أن يخرج ليُنَفِّذَ مهامه؟

والإجابـةُ عن ذلك أبسـطُ مـمَّا يتخيَّلُـه العقلاء، إذْ لا عجـبَ في أمرِ المهـديِّ أن يكونَ كذلـك، فها هو الخضر عليه السلام صاحـب الأسرار الخفية والعلـوم اللدنيَّـة محجوبٌ عن الخلق باتفاق العلـماء، فما الذي يمنع أن يكونَ المهديُّ محجوبًا عن الناس؟

ثـم ما المعنى لأن يقول النبـي ﷺ: "يصلحه الله في ليلة" إذا لم يكن المهدي بين أظهُرِنا لكنَّه محجوبٌ عنا؟

ثـم إذا كان المسـيخ الدجال الـذي يفتتن بـه العباد موجـود، لكنَّه

محجـوب عن الخلق كما نصَّـتْ على ذلك الروايـات الصحيحة، فما الذي يمنع أن يكونَ الإمامُ المهديُّ هو الإمام الثاني عشر الذي ورّثه الله تعالى علومَ جَدِّه وخلفائه الراشـدين، ثم حجبه ليكون حجته على خلقه أجمعين؟

إنَّ المتأمل في النصوص الثابتة وفي طبيعة علامات يوم القيامة لن يحيد طرفة عـين عن العقيدة القائلة بـولادة المهدي وتَخَفِّيـه، وإلَّا فأين عظمةُ هذه العلامة وكبيرُ شأنها مع العلم بأنها فاتحة العلامات الكبرى جميعها؟ فالذي يتناسـب وطبيعة علامات يوم القيامـة أن يكون في ظهور المهدي شأن معجز يحاكي من حيثُ الخروجُ والوجودُ، خروجَ الدجال ونزولَ نبي اللـه عيسى عليه السلام وخروجَ يأجـوج ومأجوج وخروجَ الدابـة ...، فأنْ يكون المهـدي موجوداً ينتظر الأمر بالخـروج كما ينتظر غيره الأمر بالخروج هو ما يتناسب وطبيعة علامات يوم القيامة التي تُرْهِبُ الخلق وتكشِفُ الستار عما كانوا يجهلونه أو يُكذِّبونه.

وأبسـطُ من ذلك الإيمانُ بوجـوده حيًّا منذ ولادته، فهذا أمـرٌ لا يُنْكِرُهُ العقلُ، بل جاءت القرائنُ الدَّالَّةُ على أنَّ مِنَ البَشَرِ مَنْ عَمَّرَ الكثيرَ؛ والقرآنُ قبـلَ غيرِه هو الذي يُؤَيِّدُ ذلك إذْ أَخْبَرَ عنْ مُكوثِ النبي نوح عليه السلام بينَ قومه يدعوهُمْ إلى عبادة الله زمنًا طويلاً: ﴿**فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَـنَةٍ إِلَّا خَمْسِـينَ عَامًا**﴾ [سـورة العنكبوت؛ الآيـة ١٤]، ثمَّ إنَّ العِلْمَ لا يقـولُ بِعَدَمِ إمكانيَّةِ تعميرِ الإنسانِ وطولِ عُمُرِه.

## المَبْحَثُ الثَّانِي:
## بَعْضُ الخِلَافَاتِ المُتَعَلِّقَةِ بِالْمَهْدِيِّ

مـن أهمّ المسـائلَ الخلافيـةِ وأعقدها بـين العلـماء والمفسرين على اختلاف مذاهبهم وعلى مر الأزمنة والعصور مسـألة الإمام المهدي الذي يظهـر في آخر الزمان، وبقدر اتفاق العلماء على هذا الأمر العظيم اختلفوا حولَـه اختلافًـا كبيراً مـردَّه إلى الاعتماد عـلى الروايات التـي تباينت في تفاصيل الظهور وطبيعتـه، وتعصبًا للمذهب الذي يتبعه كلُّ فريق، ونُصرةً لروايـاتٍ هي محل ثقة عنـد فريق دون آخر، والعكـس صحيح، ما جعل من مسألة المهدي وخروجه وشخصيته -بسبب الخلافات- مدخلاً لإنكار المنكرين وتشكيك الشاكين وتعصب المتعصبين.

ولعـلَّ من أهم القضايـا الخلافية المتعلقة بالمهـدي تتلخص أولاً في حقيقته؛ أهي واقع أم هي من قبل وضع الواضعين وكذب المكذبين؟

والمسـألة الثانية تتعلـق بوجوده أو عدمـه؛ وإذا كان موجودًا فقد وقع التعصب في تحديد شخصه أو نكران ولادته من أصلها.

أمَّا المسـألة الثالثة فتتعلـق بغيبته، وإذا كان مولـودًا ومغيَّبًا فهل ينتظر المؤمنـون بـه خروجه وظهوره وقيامـه بالعدل، أم أنَّ لـه نوابًا في الأرض ينوبون عنه ويتصلون به ويكونون صلة الوصل بينه وبين الناس؟

عنـد البحـث في القضايا الإنسـانية والدينيـة والعلمية يجـب الركون إلى المصـادر التي تعتبر المنطلق الصحيح والمعتمد الذي منه تسـتخرج الحقائق وعليها يتكئ الباحث، وبما أنَّ العلماءَ والمفسرين قد خاضوا في مسـألة المهديِّ من خلالِ الآيات القرآنية فلابدَّ من البدء بالآياتِ التي هي محل الخلاف والنزاع.

## الْمَهدِيُّ فِيْ القُرْآنِ

ذَكـر علماءُ التفسـير آيـاتٍ من القـرآن تبشر بالمهـدي الذي يخرج بسـيف الحق والعدالـة فيُقوِّم الاعوجاج الـذي درج عليه الناس ويزيل الظلم الذي استشرى في رحاب الكون، فها هو القرطبي يعلق على قوله تعـالى: ﴿**وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَـذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾ [سورة الجدة؛ الآية ٢١] يقول: «ولا خلاف أنَّ العذاب الأكبر عذاب جهنم، إلا مـا روي عن جعفر بن محمد عليه السلام أنَّه خروج المهدي بالسيف»[١].

ومـا يرد عن جعفـر بن محمد عليه السلام لا يمكن أن يكون من عند نفسـه، وإنَّمـا هو ناقل أمين عن أهل بيته وآبائـه عن جده النبي صلى الله عليه وآله، فالأخذ عنه وعـن آبائه أولى من الأخذ عن غيرهـم عندما تكون الرواية صحيحة، ولا

١ - محمد بن أحمد القرطبي: تفسير القرطبي، ج١٤، ص١٠٧.

عـبرة عندها بمخالفـة المفسرين له ولآبائه، ولا اعتبـار بالتالي لخلافات مذهبيـة تحجُـرُ على الباحث التسـليم لما توصـل إلى صوابيته بعد بذل الجهد المطلوب.

ولعـلَّ القرطبـي في نقله هذه الرواية وإرشـاده إلى المعنـى الوارد عن الإمام جعفر عليه السلام يشـير إلى مقدار أهميَّة الرواية التي خالفت نُقول معظم المفسريـن، وإذا عُـرف المخالف وقدره هنا لم يأخـذ العاقل إلا عنه ولو اسـتأنس بالروايات الأخـرى التي تحتمل في ظاهرهـا معنى آخر لاتَّضح اللبـس الموقِـع في الخلاف؛ مـع العلم بأنَّ التفسـيرَ الأول الـذي أورده القرطبـي عام والتفسـير الثـاني خاص، ومثـل القرطبي عندمـا يورد هذا التفسـير فإنَّه من باب الإرشـاد إلى صحة ما نقل وإلى خصوصية المنقول عنده، لكنه لا يسـتطيع الجهرَ مباشرةً بما أورده على سبيل العلم والمعرفة والتنبيه والفائدة، لأنَّ النَّص الذي نقله ليس عند أتباع المذهب الذي ينتمي إليـه -أي: القرطبي- ولا في كتب الحديث المعتمدة عندهم، وهذا ما يقود المتعصبـين عبر العصور إلى رمـي العالم بتغيير مذهبه متـى اعتمد روايةً لم ترِدْ في كتب مذهبه ولاسـيَّما عندما تكون الرواية مخالفةً لما صح عند أناس دون آخرين من المتمذهبين تمذهبًا أعمى.

بالإضافـة إلى الروايـة السـابقة التي أخبرت عن المهـدي في روايات أئمـة آل البيـت ورد عـن مقاتل بن سـليمان ومن تبعه مـن المفسرين في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّـاعَةِ﴾ [سـورة الزخـرف: الآية ٦١]، أنها في

المهدي[١]؛ مع الإشارة إلى أن طائفة كبيرة من المفسرين قد صرَّحوا بأن الآية نزلت بخصوص نزول عيسى بن مريم عليه السلام في آخر الزمان[٢].

## الْمَهْدِيُّ فِي السُّنَّةِ النَبَوِيَّة

نصَّ الكثير من أهل العلم على تواتر أحاديث المهدي، فمن يتتبع الطرقَ التي وردت بها أحاديث المهدي عن الصحابةِ يذعن بتواتر هذه الأحاديث لو كان لكل حديث ورد عن كل صحابي راوٍ واحد، فكيف إذا كان لكل رواية عن صحابي واحد أكثر من ثلاثين راويًا؟! ولقد جمع الكتَّاني معظم طرق الحديث المتعلقة بالمهدي وبَيَّنَ تواترَها والعلماءَ القائلين بذلك[٣].

وفي هذا المقام يؤكد السيد (أحمد الغماري) أنَّ الروايات الواردة في المهدي قد بلغت حدَّ التواتر الذي يستحيل معه تكذيب هذه الحقيقة التي لم يختلف عليها العلماء مستدلاً على ذلك بأنه: "لا يخفى أنَّ العادة قاضية باستحالة تواطؤ جماعة يبلغ عددهم ثلاثين نفسًا فَأَزْيَدَ في جميع

---

١ - أحمد بن محمد بن علي ابن حجر الهيتمي: الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، ج٢، ص٤٦٩.

٢ - أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي: معالم التنزيل، ج٤، ص٤٤٤. محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري: تفسير الزمخشري، ج٤، ص٢٦. فخر الدين الرازي: تفسير الرازي، ج٢٧، ص٢٢٢.

٣ - محمد بن جعفر الكتاني: نظم المتناثر من الحديث المتواتر، ص٢٣٦.

الطبقـات، وذلك فيما بلغنا وأمكننا الوقـوفُ عليه في الحال ... وهذا في المرفوعـات دون الموقوفات والمقاطيع التي هـي في مثل هذا الباب من قبيل المرفوع"[١].

وقد نصَّ (المتقي الهندي) على أنَّ علماء أهل مكة وفقهاء المسـلمين على المذاهب الأربعة، ومن راجـع فتاواهم عَلِمَ علم اليقين أنهم متفقون على تواتر أحاديـث المهدي، وأنَّ منكرَها يجبُ أن ينالَ جزاءَه، وصرّحوا: بوجوب ضربـه وتأديبه وإهانته حتى يرجعَ إلى الحـقِّ على رغم أنفه وإلا فَيُهْدَرُ دمُه[٢]، ما يعني أنَّ العلماء كانوا يُدرجون هذه المسألةَ ضِمْنَ القضايا الاعتقاديَّةِ التي يُجَرَّمُ مُنْكِرُها ومَنْ يُفْتي بِعَكْسِ ما ذَيَّلوه.

## إِنْكَارُ الْمَهْدَوِيَّة

يؤكِّدُ العلماءُ المنتمون إلى المذاهب الإسـلامية كلِّها على أنَّ المهديَّةَ مسـألةٌ إسـلامية يلتقي عليها علـماء الأمّة وإن حاولَ بعـض الباحثين في السـنين المتأخِّرة بفعل أوضاع مذهبية وسياسـية معيَّنة ومصالحَ ضيِّقة أن يسـتعلِنوا بإنكارِ هذه الحقيقةِ القرآنيـة، وهي «مما تواترَ الحديثُ فيها عندَ

١ - أحمد بن محمد بن الصديق الشـافعي المغربي: إبراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون، ص٤٣٧.

٢ - علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي: البرهان علي علامات مهدي آخر الزمان، ص.ص١٧٨-١٨٣.

المسلمينَ جميعًا وإن اختَلَفوا في بعضِ التفاصيلِ ... فالأخبارُ بخروجِهِ متواترةٌ، والإجماعُ مِنْ كافَّةِ المسلمين حاصل»[١].

أما ما ادَّعاه الشيخ المحدث )محمد الحوت البيروتي( من أنَّ «في المهديِّ أحاديثَ أُفْرِدَتْ في التأليفِ، وكلُّها فيها مقال»[٢]، فهو كلامٌ لا يستند إلى دليلٍ عند أهل العلم والحديث والتفسير، كما تشهد بذلك نُقولُ العلماءِ وكتاباتُهم، ولعلَّ الشيخَ الحوت قد تأثَّرَ برَأْيِ ابنِ خلدون في هذا الصدد، حيثُ ادَّعى في مُقَدِّمَتِه بأنَّ «أحاديث مسلم لم يقع فيها ذِكْرُ المهديِّ، ولا دليلَ يقومُ على أنَّه المرادُ منها»[٣].

وللجواب عن هذه المهاتَرَةِ نكتفي بالرَّدِّ عليهِ مِنْ جهتينِ اثنتينِ غيرِ جهةِ الإجماعِ الحاصلِ بينَ المسلمين جميعِهم على اختلافِ مذاهبِهم حولَ العقيدة المهدويَّة:

الجهَةُ الأُولَىٰ: لها علاقة بالاقتصار على الأحاديث الواردة في الصحيحين والأخذ بما ورد فيها، فهذا مما يَعجب له طالبُ العلوم والدارسُ المبتدئ لها، فَضْلاً عن الباحث المنصف الذي يدَّعي المعرفةَ التامَّةَ بالعلوم والمعارف جميعِها فَيُنَصِّبُ نفسَه عَلَمًا يُسْقِطُ مِنَ المعارف ما لا يَتَوافَقُ مَعَ هَواهُ، ويُثْبِتُ ما يهوى بلا دليلٍ ولا حُجَّةٍ، ثمَّ يزعُمُ أنَّ ما وردَ

١ - السيد محمد حسين فضل الله: في رحاب أهل البيت، ص٤٩١.
٢ - محمد بن درويش الحوت: أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب، ص٥٠٠.
٣ - عبد الرحمن ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج١، ص٣٩٤.

في الصحيحين يُقْبَلُ، وما وردَ في غيرِهما يكونُ مرفوضًا! فلا يعرف العاقلُ ماذا يعني هذا الاقتصار على ما ورد في الصحيحين: أهو من بابِ العصمة للبخاري ومسلم، أم هو من باب الاعتقاد بأنَّ الشيخين قد أُوحي إليهما ما في كتابيهما، فكان ما فيهما وحيًا بعد رسول الله، أم أنَّهما صحبا النبي ولازماه ملازمة كاملة منذ بعثته إلى انتقاله دون غيرهما من المحدثين، أم أنَّهما كانا أقرب زمانًا من غيرهما من المحدثين؟!

كلُّ ذلكَ يَعْرفُ عدمَ صِحَّته أقلُّ الناسِ معرفَةً وعِلْمًا ودراسَةً ودرايةً، فكيفَ لعاقلٍ أنْ يُنْكرَ قَضيَّةً عقديَّةً بتَهافُت لا مَنْطِقَ فيه ولا عقلانيَّةَ تَحْكُمُهُ. إنْ هذا إلَّا العَجَبُ العُجابُ، وتَسْخيفٌ للعلومِ والمعارفِ والقواعدِ التي تَسالَمَ عليها العُقلاءُ، بل هو مَسْخٌ لها بطريقةٍ هي الغاية في الانحراف، فيا لَلعجب عندما يقبلُ مُدَّعو العلمِ روايةَ التلميذِ ويرفضون روايةَ الأستاذ!

ويا لَلعجب عندما يُلغي مُدَّعو العلمِ كلَّ الروايات التي لم تستطعْ حتى السلطاتُ الحاكمةُ الجائرةُ المجرمةُ في الأزمنةِ الغابرةِ إلغاءَها، لكنها استطاعت توجيه أنظار الأمة بعلمائها بالقوة ومن خلال الدعاية المدفوعة الثمن إلى كتابين اثنين تسلِّطُ الأضواءَ عليهما وتوليهُما عنايةً خاصَّةً واهتمامًا كبيراً دون سِواهُما.

ويا لأَعْجَبِ العَجَبِ عندما يُخالفُ مُدَّعو العلْمِ الأُسسَّ التي وَضَعَها النبيُّ لِقَبولِ الأحاديث التي يتناقَلُها الناسُ حيثُ أمرهم بعَرْضِ الحديثِ على كتابِ الله، فما وافقَ الكتابَ قُبِلَ وما لم يُوَافِق الكتابَ رُدَّ.

فعَنْ أَبِي حُمَيْدٍ وَعَنْ أَبِي أُسَيْد يرفعانه إلى النبي ﷺ: «إذا سمعتُمُ

الحديـثَ عنّـي تعرفُه قلوبُكم، وتَلينُ لهُ أشـعارُكم وأبْشـارُكم، وترَوْنَ أنّهُ منكـمْ قريبٌ، فأنا أَوْلاكُمْ به، وإذا سَـمِعْتُمُ الحديثَ عنّـي تُنْكِرُهُ قلوبُكم، وتَنْفِرُ منْهُ أشعارُكُمْ وأبشارُكُمْ، وترَوْنَ أَنَّهُ بعيدٌ منْكُمْ فأنا أَبْعَدُكُمْ منْهُ»[1].

وعَنْ ثَوْبَانَ أَنّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: "أَلا إِنَّ رَحَى الإِسْلامِ دَائِرَةٌ.

قَالَ: فَكَيْفَ نَصْنَعُ يَا رَسُولَ اللَّه؟

قَالَ: اعْرِضُوا حَدِيثِي عَلَى الْكِتَابِ، فَمَا وَافَقَهُ فَهُوَ مِنِّي، وَأَنَا قُلْتُهُ»[2].

أمَّـا الجهة الثانيـة: فإنَّ هذه الروايـة التي يدّعي ابنُ خلدون أنَّ اسـمَ المهـديِّ فيها غيرُ صريحٍ، قَـدْ شَرَحَتْها رواياتٌ كثـيرةٌ صَرَّحَتْ بأنَّ الأميرَ أو الخليفةَ الذي سـيحثو المـالَ هو المهدي، ففي قصَّـة خروجه وَجودِه وعَدْلِه -مثلاً- يقول النبي ﷺ: «فَيَجِيءُ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَيَقُولُ: يَا مَهْدِيُّ أَعْطِنِي أَعْطِنِي، فَيَحْثِي لَهُ فِي ثَوْبِهِ مَا اسْتَطَاعَ أَنْ يَحْمِلَهُ»[3]؛ وهذه رواية من روايات كثيرة استفاضت شهرةً وتواترًا بين العلماء وأهل الاختصاص.

وإذا صرَّحـت روايةٌ بالاسـم المفقود، فقد بَطَلَـتِ الجهالةُ، كما أنَّه لا يجـوزُ تَجاهُـلُ الحقيقةِ. والملاحـظ أنَّ أحمد بن حنبل في مسـنده أورد

---

١ - أحمد بن محمد الشيباني ابن حنبل: مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج٢٥، ص٤٥٦، ح ١٦٠٥٨.

٢ - سليمان بن أحمد الطبراني: المعجم الكبير، ج٢، ص٩٧، ح١٤٢٩.

٣ - أحمد بن محمد الشيباني ابن حنبل: مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج١٧، ص٢٥٤، ح١١١٦٣-١١٩٤٠.

الروايتين، وكأنَّه بذلك أراد أنْ يُدَلِّلَ على أنَّ الروايةَ التي ذكرتْ اسمَ الخليفةِ "المهدي" تُوَضِّحُ الروايةَ التي لم تذكرِ اسمَ الخليفة، ومثلُ هذه الإشاراتِ نعثرُ عليها عندَ أحمد الذي طالما أورد في القضيَّةَ الواحدة أكثرَ من رواية، كلُّ روايةٍ كاشفةٌ عن حقيقة معيَّنَة لم يَكْشِفْ عنها المحدِّثونَ كما هو الحال في هذه المسألة؛ ولو أنَّ (ابنَ خلدون) سلكَ طريقَ البحث الحياديِّ في الكشفِ عن الحقائقِ لَمَا أَنْكَرَ الرواياتِ الواردةَ في المهديِّ صراحَةً أو الدالَّةَ عليه إشارَةً.

والعجيب من صاحب المنار قوله «وَأَمَّا التَّعَارُضُ فِي أَحَادِيثِ الْمَهْدِيِّ فَهُوَ أَقْوَى وَأَظْهَرُ، وَالْجَمْعُ بَيْنَ الرِّوَايَاتِ فِيهِ أَعْسَرُ، وَالْمُنْكِرُونَ لَهَا أَكْثَرُ، وَالشُّبْهَةُ فِيهَا أَظْهَرُ، وَلِذَلِكَ لَمْ يَعْتَدَّ الشَّيْخَانِ بِشَيْءٍ مِنْ رِوَايَاتِهَا فِي صَحِيحَيْهِمَا؛ وَقَدْ كَانَتْ أَكْبَرَ مَثَارَاتِ الْفَسَادِ وَالْفِتَنِ فِي الشُّعُوبِ الْإِسْلَامِيَّةِ»[1].

وقد نحا (أحمد أمين) هذا المنحى نفسه مستهينًا بمسألة المهديِّ وخروجه مائلاً إلى إنكارِ هذه العلامة لعدم صحَّتِها عنده بناءً على خُلُوِّ الصحيحين: البخاري ومسلم من أحاديثَ تذكرُ اسمَ المهديِّ فقال مُتَّبِعًا في ذلك نهجَ صاحبِ المنار: «ولمْ يَرْوِ البخاريُّ ومسلم شيئًا من أحاديثِ المهديِّ، ممَّا يَدُلُّ على عَدَمِ صِحَّتِها عِنْدَهُما»[2].

---

١ - محمد رشيد رضا: تفسير المنار، ج٩، ص٤١٦.

٢ - أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج٣، ص٢٣٧.

أما التعارض فكما مر يجب عرضه على القواعد العلمية التي يستطيع عبرها الباحث تفحص الروايات وتتبع نقاط الخلل في الروايات المتعارضة، وما يَصعب على عالم قد يكون سهلاً على آخر، وعليه فالصعوبة التي يواجهها عالمٌ من العلماءِ في عدم القدرة على توجيه الخلاف القائم بين الروايات لا يحملنا على تركِ البحث أو نُكران الحقيقة أو التسليم لمن أبدى عدم قدرته على الوصول إلى حقيقة قاطعة.

وأمَّا الفتن الواقعةُ بين المسلمين فلا تكونَ بحالٍ من الأحوال لِتُحَدِّدَ للباحث طريقَهُ أو تَدُلَّهُ على سبيلِه أو تُرشِدَه إلى الاعتقادِ الصحيحِ في أيِّ مسألة من المسائلِ، لذا فإنَّ دراسةَ الخلافات وتقريبَ وجهاتِ النظر والتعمُّقَ والتتبُّعَ لِكُلِّ ما دُوِّن بهذا الصَّدَد. كُلُّ ذلك يُعينُ على تغييرِ الواقعِ الأليم، ونشرِ المحبَّةِ بينَ المختلفينَ، وقَبول الأفكارِ المختلفة والتعاملِ معها بانفتاحٍ وحِيَدَة، وتَفَحُّصها تفحُّصًا علميًّا دقيقًا لا تُقَيِّدُهُ المذهبيَّةُ ولا العصبيَّةُ ولا العنصريَّةُ أو الطائفيَّة. ثمَّ إنَّ الإنكارَ العَبَثِيَّ لا يزيدُ الخلافات إلا عُمْقًا ولا الأمورَ العالقَةَ إلَّا تعقيدًا، فبينما كان الخلافُ مُنْصَبًّا حولَ شخصيَّةِ المهديِّ صارَ مُنْصَبًّا حولَ الحقيقةِ المهدَوِيَّةِ الثابتةِ في الكتابِ تلميحًا وفي السُّنَّةِ الشارحَةِ للكتابِ المفسِّرَةِ له تواترًا.

ثم إنَّ عدم إيراد الأحاديث المتعلقة بالمهديِّ عند البخاري ومسلم مجرد ادعاء إن صحَّ فإنَّه لا يعني بحالٍ من الأحوال عدم صحة الأحاديث عندهما، لاسيَّما وأنَّهما لم يستوعبا في كتابيهما كل الصحيح، ولأنَّهما

ليسا بحُجةٍ على أحاديث رسول الله، فالناقل لا يكون حُجة على المنقول ولا على المنقول عنه، وإنما تشكر جهوده وجهود كل من نقل، كما أنَّ أحدًا من المحدثين لا يستطيع أنْ يستوعبَ كلَّ الأحاديث المروية عن النبي ﷺ، ونحن نعرف مدى الصعوبات التي كان رُواة الحديث يواجهونها، والمشاق التي كانوا يتعرضون لها، والأسفار التي يلجأون عبرها إلى الالتقاء بأكبر عدد ممكن من الرواة، ولو استغنت الأمة بكتابٍ أو بمسندٍ من المسانيد لما لجأت عبر العصور والدهور إلى متابعة كلِّ ما نُقل عن النبي من روايات ودراستها وتفسيرها والتعليق عليها وتبيان صحيحها من سقيمها، إضافةٍ إلى أنَّ التراث المنقول عند مذهب من المذاهب لم يُنقل في كتب المذاهب الأخرى المخالفة التي اعتمدت كُتبًا ورواةً ومعايير أخرى. ولذا فإنَّ المعيار المحايد في البحث يتطلب من العلماء والمفسرين مطالعةَ كافة الروايات وعرضها على الكتاب والسنة الواردة في التُّراث كلِّه من دون انتماء لمذهب، إذ العقل هو الذي يقرر صحةَ الروايات بعد عرضها على القرآن، والقرآنُ هو الحَكَم الأول والأخير على الروايات.

ولابدَّ أن نشير -تعقيبًا على ما ذكره صاحب المنار- إلى أنَّ البخاريَّ ومسلمَ أوردا الأحاديثَ المتعلقةَ بالمهديِّ من دون ذكر الاسم وبذلك تفاديَا الخلافَ القائمَ الذي كانت المذهبيات الناشئة المدعومة بالسياسات المتجبرة تحكمه، كما أنَّهما نقلا روايةَ أبي هريرة إذ كان يتحاشى إزعاج

الأُمويين الذين يستاؤون أيَّ استياءٍ من ذكر بني هاشم وعلي وأبنائه، وقد جاء فيما نقلاه أنَّ النبي ﷺ قال: "كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ، وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ"[١].

كما جاء في رواية أخرى عن جَابر بْن عَبْد الله أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عليه السلام، فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ صَلِّ لَنَا، فَيَقُولُ: لَا، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ تَكْرِمَةَ الله هَذِه الْأُمَّةَ»[٢]؛ وَهذا الحَديث متواترٌ «روي من حَديث ستَّة عشر صحابيًا، وَقد نَصَّ على تواتره ابْن تَيْمِية فِي كِتَابه اقْتِضَاء الصِّرَاط الْمُسْتَقيم مُخَالفَة أَصْحَاب الجحيم»[٣].

بقي بعد هذا العرض الموجز أنْ نؤكد على أنَّ حذف اسم المهدي من الروايات التي أخرجها مسلم لا يعني عدم ذكرهما روايات متعلقة بالمهدي أو عدم اعتقادهما صحة الروايات في هذا الشأن، ولو كان الأمرُ كذلك لما أخرجوا روايةً لها علاقة بالمهديِّ لا من قريب ولا من بعيد، ولقد كان من عادة بعض المحدثين أن يحذفوا الأسماءَ من الأحاديث التي يتناقلونها لأسباب سياسيَّة ومذهبيَّة ضاغطة، وليس هناك أعقد من ظروف العصبيَّات التي تجُبر العقلاءَ في الكثير من الأحيان على طمْس أجزاء من

١ - محمد بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري، ج٤، ص١٦٨، ح٣٤٤٩.
٢ - مسلم بن الحجاج النيسابوري: صحيح مسلم، ج١، ص١٣٧، ح٢٤٧.
٣ - زين الدين عبد الرحيم العراقي: أمالي العراقي، ص٦.

الحقيقة ولاسيَّما إذا تأكد لهم أنَّ النهايةَ التي ستنتظرهم ستكون مشابهةً لنهاية (الإمام النسائي) شهيد الكلمة الحرة والحقيقة المتوفى سنة (٣٠٣ هـ) -أي: بعد فترة طويلة من انهيار عقد النظام الأموي السياسي- والذي قُتل لأنَّه أخرج لأهل الشام كتابًا في فضائل علي ولم يذكر لمعاوية فضلاً، وقد كان أهل الشام طلبوا منه أنْ يضعَ كتابًا في فضائل معاوية كما وضع في فضائل علي، وكأنَّ المحدِّثَ يؤلف الأحاديثَ من عند نفسه وينسبها إلى النَّبي الكريم!

فعجب من طلبهم وأخبرهم أن ليس لصاحبهم من فضيلةٍ سوى دعوة دعا بها عليه النبي فاستجيبت وهي قوله ﷺ: "لاَ أشبع الله بطنه"[1]، وكان أهل الشام يقدمون معاويةَ ويعظمونَه وينتقصون عليًّا كما هو معروف، فغضبوا مما قاله لهم، فضربوه حتى قُتل. وهم بفعلتهم هذه البغيضة لم يأتوا بجديد، ولم يبتدعوا ما لم يُعهد عنهم، فما اقترفوه كان جريًا على المذهبِ الذي ورثوه وصار جزءًا من العقيدة التي يؤمنون بها، ما يعني أنَّ انهيارَ الأنظمةِ السياسيَّةِ لم تكن لتنهار معها المذاهب الدينيَّة المبنيَّة على الكراهيةِ والأحقادِ والسِباب والشتائم والأكاذيب، والتي كانت السياسات قد بذلت في سبيل نشرها قُواها وأموالها وألبستها لبوس الدين والإسلام والعقيدة عبر جهود كثيفة متتابعة بذلها رجالُ دينٍ باعوا ضمائرَهم للشيطان وصاروا في نظر

١ - مسلم بن الحجاج النيسابوري: صحيح مسلم،ج٤، ص٢٠١٠، ح٢٦٠٤.

الحاكم قطعًا نقديةً يشتريهم بما معه من أموال ودراهم ودنانير.

إنَّ صلاح (النسائي) وورعه وعباداته وعلمه لم يكن ليشفع له أمام من عبدوا المذاهب المصنوعة على أيدي رجالات السياسة وهو الذي وصفه علماء عصره بالاجتهاد في العبادة بالليل والنّهار، حتى إنه خرج مرةً إلى الغداءِ مع أميرِ مصرَ فوُصف من شهامته وإقامته السُّنَن المأثورة في فِداء المسلمين، واحترازه عن مجالس السلطان الّذي خرج معه، والانبساط في المأكل، وأنه لم يزل ذلك دأبه إلى أن استُشْهد بدمشق على أيدي النَّاصبةِ[١].

طبعًا الروايات السابقة ليست اليتيمة الوحيدة في الصحيحين، فقد جاء في رواية أخرى عند مسلم: "مِنْ خُلَفَائِكُمْ خَلِيفَةٌ يَحْثُو الْمَالَ حَثْيًا، لاَ يَعُدُّهُ عَدَدًا". وردت يحثي ويحثو في كتب الحديث وهما لغتان صحيحتان[٢].

## المَبْحَثُ الثَّالِثُ:
## خُصُوصِيَّةُ المَهْدِيِّ مَحلُّ اتِّفَاقٍ بَيْنَ المُسلِمِينَ

### الخُصُوصِيَّةُ الإِعْجَازِيَّةُ

مِمَّا سَبَقَ يَتَأَكَّدُ لَنا أنَّ المهديَّ عندَ المسلمينَ قاطِبَةً له شأنٌ خاصٌّ

١ - محمد بن أحمد الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج٧، ص٦١.
٢ - مسلم بن الحجاج النيسابوري: صحيح مسلم، ج٤، ص٢٢٣٥، ح٢٩١٤.

مُغايرٌ لشؤون الناسِ العاديِّين، إذْ يجعلُ اللهُ تعالى خروجَه -كما جاء في القرآن- آيةً وعلامةً من علاماتِ يومِ القيامة، هذه الآيةُ والعلامةُ تُظهرُ طبيعةَ المواقفِ الصعبةِ التي يُواجهُها إزاءَ اختلافِ الناسِ حولَهُ بدايةً، وإزاءَ اختلافِهِمْ حولَ الدعوةِ التي يحملُها، والتي تهدفُ إلى نَشْرِ العدالَةِ والأمنِ والأمانِ والإسلامِ النَّقيِّ الذي لا تَشوبُهُ الشوائبُ وذلكَ في ظِلِّ نزاعاتٍ وحروبٍ واختلافاتٍ وصراعاتٍ يدورُ رَحاها في الأرضِ بأسماءٍ ومُسَمَّيَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ لا تعودُ على المجتمعاتِ الإنسانيَّةِ كلِّها بأيِّ خيرٍ، لأنَّ النزاعَ فَشَلٌ وتَدَهْوُرٌ وتَراجُعٌ وتَقَهْقُرٌ، لا بل إنَّه لا يُورثُ غيرَ التَّخَلُّفِ والرجْعِيَّةِ.

ولأنَّ الصِّدامَ يَتَهَدَّدُ البشريَّةَ ويَسْتَأْصِلُ الخيرَ فيها متى اسْتَشْرى وكانتْ يَدُ الشَّرِّ هي التي تُحَرِّكُهُ كيفما شاءَتْ، كانَ المهديُّ ذلكَ الْمِفْصَلَ الذي يُغَيِّرُ مَسارَ البَشَريَّةِ الْمُنْحَرِفَةِ والقُوى الْمُتَجَبِّرَةِ والقبائلِ المتناحرةِ لِيَنْحَى بها منحًى جديدًا يقودُها إلى برِّ الأمانِ، وهذا ما تُوضِحُهُ الرواياتُ التي تُفَصِّلُ ما جاءَ مُجْمَلاً في الآيات.

ولطالما حاولتِ الجهاتُ المذهبيَّةُ المتَعَصِّبَةُ الناشئَةُ والمدعومةُ مِنْ جهاتٍ سياسيَّةٍ مُنْحَرِفَةٍ معاديةٍ لِمَنْهَجِ الاعتدالِ الذي يُكِنُّ احترامًا خاصًّا لآلِ البيتِ أن تغيِّرَ صورةَ المهديِّ وتَصمَهَا بوَصْمَةِ الوَهْمِ لِتَجْعَلَها خُرافَةً خَيالِيَّةً مِنْ نَسْجِ الخيالاتِ الزائغَةِ لأنَّ هذه الآيةَ والعلامةَ تُثْبِتُ الحقيقةَ القاطعَةَ التي يَنْفيها الْمُنْكِرونَ لِولادَتِه عليه السلام والَّتي سَتَكونُ الفَيْصَلَ الذي يَقْصِمُ ظهرَ القطيعةِ والكراهِيَةِ والعُدْوان.

## الْمَهْدِيُّ وَالولَادَة

بينما يؤمن المسلمون جميعًا بظهور المهديِّ، إلَّا أنَّ بعضَهم يعتقدون عدمَ ولادته، ويؤمنون بأنَّه يولدُ قبلَ خروجه ثم يخرجُ ليملأَ الأرضَ عدالةً وخيراً، بل خرج من بين صفوف هذا الفريق من يؤسِّس لفكرٍ أحدثَّ الشرخ حول هذا المبدأ المتفَق عليه، ولينكرَ خروجَ المهديَّ جملةً وتفصيلاً، ولينشرَ المعتقَدَ الذي يدَّعي أصحابُه أنَّ المهديَّ الواردَ اسمه ما هو إلَّا النبي عيسى عليه السلام، ويُنكر أنْ يكونَ المهديُّ شخصيةً حقيقيَّةً.

وقد أوردَ (ابنُ تيمية) أحاديثَ المهديِّ وعرَّجَ على المنكرين لها، لكنَّه لم يجد مناصًّا من التأكيد على الخطأ الذي وقع فيه مَنْ تعامَلَ معَ الروايات واختلافها من دون تَبَصُّر فقال: "وَهَذه الْأَحَادِيثُ غَلطَ فِيهَا طَوَائفُ: طَائفَةٌ أَنْكَرُوهَا، وَاحْتَجُّوا بحَديث ابْن مَاجَهْ أَنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ: 'لَا مَهْديَّ إِلَّا عيسَى بْنُ مَرْيَمَ'، وَهَذَا الْحَديثُ ضَعيفٌ، وَقَدْ اعْتَمَدَ أَبُو مُحَمَّد بْنُ الْوَليد الْبَغْدَاديُّ وَغَيْرُهُ عَلَيْه وَلَيْسَ مِمَّا يُعْتَمَدُ عَلَيْه»[1].

لكنَّ العلماء حَلُّوا هذا الإشكالَ الواردَ في حديث «لَا مَهْدِيَّ إِلَّا عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ» رغم تضعيفهم له وعدمِ صحَّته عندهم وذلك من بابِ احتمالية نسبته إلى النبي، هذا إلى جانب شذوذه ومخالفته للروايات الصحيحة، فلو كانَ الحديثُ صحيحًا لكنَّهُ يُعارِضُ رواياتٍ صحيحةً متضافِرَةً يُعْتَبَرُ

---

١ - تقي الدين ابن تيمية: منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، ج٨، ص٢٥٦.

عنـدَ العلماءِ ضعيفًا لِشُـذُوذِه، فكيفَ وهو ضعيـفٌ يخالف كلَّ الرواياتِ الصحيحة.

أمَّا توجيهُهُمْ لهذه الروايةِ المضعَّفَة "لَا مَهْدِيَّ إِلَّا عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ"، فقد فَسَّرَها العلماءُ تفسـيراً يجمع بين الروايات الصحيحةِ وبينها بمعنى أنَّه: «لا يكونُ أحدٌ صاحبَ المهديِّ إلا عيسى بنَ مريم، فإنه ينزلُ لنصرته وصُحبته؛ والمهديُّ الذي من عترةِ النبي ﷺ إمامٌ عادلٌ ليسَ بنبيٍّ ولا رسول»[١].

كما أنكر قوم أنْ يكونَ ابنٌ للإمام الحسـن العسكري من نسل الحسين عليه السلام، فقد ورد أنَّ محمـدَ بن جرير الطبري، وعبد الباقي بن قانع وغيرهما من أهل العلم بالأنساب والتواريخ ذكروا أنَّ الحسن بن علي العسكري لم يكن له نسل ولا عَقب[٢].

وقال الذهبي: "وَمِمَّنْ قَالَ: إِنَّ الحَسَـنَ العَسْكرِيَّ لَمْ يُعْقِبْ: مُحَمَّدُ بنُ جَرِيْرٍ الطَّبرِيُّ وَيَحْيَى بنُ صَاعِدٍ، وَنَاهِيْكَ بِهِمَا مَعْرِفَةً، وثقة"[٣].

ولعل هـذا الاعتقاد الذي يجـرِّدُ الحقيقةَ المهدويَّةَ من صورتهـا وصِدْقِيَّتِها وواقعيَّتِها مَرَدُّه اعتمادُ بعضِ الروايات التي لا تُفْصِحُ عن المعنى المراد مِنْ آيات الكتاب،كـما أنَّ مَرْجِعَ الاختلاف حولَ ظهورِ الإمام باتَ يحملُ طابَعًا سِيَاسِـيًّا حَوَّلَتْـهُ القُوى الحاكمةُ إلى مذهبيٍّ لا يحترمُ البحثَ العِلْمِيَّ في أغلبِ الأحيان.

---

١ - إسماعيل حقي: تفسير حقي، ج٣، ص٤١٦.

٢ - جلال الدين السيوطي: العرف الوردي في أخبار المهدي، ص١٦٢.

٣ - محمد بن أحمد الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص٢٨٣.

# الفَصْلُ السَّابِعُ:
# المَهْدِيُّ المُنْتَظَرُ.. إِشْكَالَاتٌ وَحُلُولٌ

## المَبْحَثُ الأَوَّلُ:
## لِمَاذَا كَانَ التَّشْكِيكُ بِالْعَقِيدَةِ المَهْدَوِيَّةِ

إنَّ من أخطر ما جعل البعضُ يُشَكِّكون في قضيَّة المهديِّ تلك الروايات التي وضعها الواضعون استرضاءً للقَوي وتكريسًا للفرقة، أو انتصارًا للمعتمَدِ في المذهبِ الذي يتبعه العالم، وكلما وجد الدارس إلى التعمُّق بالروايات سبيلاً استطاع استجلاء الحقائق وتمييز الروايات، إلى جانب ما سطره علماءُ الحديثِ والجرحِ والتعديلِ حول الشخصيات التي عُرفت بالوَضعِ واشتهرت به. والباحثُ الذي يعتمد على النصوصِ لا يدور حول الروايات الموضوعة، ولا يتعامل بسطحيةٍ مع تضارُبِ الروايات، ولا يجعل من أعمال الناسِ وتصرفاتهم التي لا دليل عليها حكمًا على مبحثٍ علميٍّ دقيق، كما أنَّه لا يحمله ذلك على تغيير صورة الحقيقة ورمي المؤمنين بالتهم رمي عشواء. ففي مسألة غيبة الإمام عند من يؤمنون بها ويعتقدونها حكى الناسُ أساطيرَ لا تُعَدُّ ولا تُحْصى جعلت قضيَّةَ الغيبةِ أشبه بالخرافات التي لا يقبلُها عاقل، إلَّا أنّ ذلك كان حديثُ البسطاءِ وليس حديثَ العلماءِ ولا كلامَهم المسطور الذي به يدينون وإليه يدعون،

لذا نجد السيد (هاشم الحسني) يعقد في كتابه فصلاً معنونا بـ"أسطورة السرداب" يشرح فيه طبيعة البيوت التي كان يسكنها الناس في العراق، وكيف أنَّها كانت مجهزةً بسرداب أشبه ما يكون بطابق أو ممر سُفلي تحت المنزل يحتمي فيه الناس من حرِّ الصيف وبردِ الشتاء، وكان منزلُ الإمامِ العسكريِّ ككل المنازل، ولئن حاولت القُوى الحاكمة العثور على خليفته فلم يجدوه لتخفيه في سرداب المنزل أو في أي مكان آخر فلا يحملن الباحث نفسه على اتهام الآخرين بأساطير يشيعها عامةُ الناس وبسطاؤهم، أمَّا عن ظهوره فكيف يكون؟ ومن أين يخرج لأداء مهمته؟ فإنَّه يقرر بما لا مجال للشك فيه أنَّ ذلك أمرٌ مرده إلى الله تعالى وليس إلى البشر[١].

وقد جاء في تاج العروس مصداق ما تقدم: «السِّرْدَابُ بالكَسْرِ بِنَاءٌ تَحْتَ الأَرْضِ للصَّيْف»، ويعلِّق الزبيدي على ما يعرف بمذهب السردابية وينعتهم بأنهم قَوْمٌ من غُلاةَ الرَّافِضَة يَنْتَظِرُونَ خُرُوجَ المَهْدِيّ من السِّرْدَابِ الذي بالرّيِّ فيُحْضِرُون لِذَلك فَرَسًا مُسْرَجًا مُلْجَمًا في كُلِّ يوم جُمُعَة بعد الصَّلاَةَ قَائِلين: يا إِمَام باسْم الله ثَلاَثَ مَرَّات[٢]. فالزبيدي في هذا البيان كشف اللثام عن حقيقة الأمر المتعلِّق بالسرداب موضحًا أنَّ الذين يعتقدون هذا الاعتقاد ويمارسون هذه الطقوس معروفون بين من يؤمنون بالغيبة

١ - هاشم معروف الحسني: سيرة الأئمة الاثني عشر، ج٢، ص٥٥٩.

٢ - أبو الفيض المرتضى محمّد بن محمّد الحسيني الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس؛ ص٥٨٢.

بالسردابية، وهذا أمرٌ لا يؤمن به إلَّا هذه الطائفة القليلة التي لا تمثل الحركةَ العلميـةَ المعتمدةَ على صحيـحِ النقلِ، فها هو (السـيد الطباطبائي) الذي يَنسـب إلى العوام من أتباع مذهبه اعتقادهم بـأنَّ الإمامَ غُيب في السرداب وهو باق فيه إلى أن يُؤمرَ بالخروج، بعد أن ذكر مسـألةَ اختفاءِ الإمام وغيبته قال: «وأمَّا أنّه باق في السرداب غائبًا فلم يدَّعِه أحدُ محدّثي الإسلام»[1].

من هنا يجب أن تكونَ دراسـة الاختلافات الواقعة حول المهدي واعيةً متجردةً، وذلك من خلال جمع كافَّة الروايات التي وردت عند المسـلمين جميعِهم وأسـباب النزول، وإقصاء الروايات التي لا تتفق وواقعية الرسالة الإسـلاميَّة والمنهج القرآني؛ أمَّا تضارُب الروايـات الذي كان للمذهبياتِ يدٌ في صناعته ووضعه فهذا ما يحملنا على المزيد من الدراسـة والبحث، مع الإشارةِ إلى أنَّ رفضَ الروايات وتكذيبها ليس حلاً يقودُ إلى حقيقةٍ ولا يقدِّم جديدًا، ولا يميز الزيف من غيره والصحيح من السـقيم. فأنْ نضرب بالروايات عرض الحائط بحجة تضاربها وتعارضها أمرٌ مسـتهجنٌ وخطيرٌ ولا يهدي إلى سـواء السـبيل، وطالما عالجَ العلماءُ قضايا ومسائلَ شائكةً تضاربـت فيها نصوصها فعملوا على التَّوفيق بينهـا، واجتهد الباحثون في تمييز المسائل وتنقيتها من الشوائب بموضوعية.

---

١ - السيد محمد علي الطباطبائي: مائتان وخمسون علامة حتى ظهور الإمام المهدي، ص١٢.

وصاحبُ تفسير المنار الذي ذكر أنَّ «أَحَادِيثَ الْمَهْدِيِّ لَا يَصِحُّ مِنْهَا شَيْءٌ يُحْتَجُّ بِه، وَأَنَّهَا مَعَ ذَلِكَ مُتَعَارِضَةٌ مُتَدَافِعَةٌ، وَأَنَّ مَصْدَرَهَا نَزْعَةٌ سِيَاسِيَّةٌ شِيعِيَّةٌ مَعْرُوفَةٌ، وَلِلشِّيعَةِ فِيهَا خُرَافَاتٌ مُخَالِفَةٌ لِأُصُولِ الدِّينِ ...[1]»، لم يكن علميًّا ولا حياديًّا في بحثه، وما ذكره لا يمت إلى الحقيقة بصلة عند العلماء المختلفين حول شخصية المهدي، لأنَّهم جمعوا كل ما جاء حوله فوجدوا اختلاف الروايات يسيرًا لا يصب في جوهر القضيَّة وحقيقتها، وإنَّما كان في فروعها وهوامشها، كما اتفقوا على تواتر هذه الروايات وإن اختلفوا حول شخصية المهديِّ ونسبه، بل لعلَّ الصورةَ المتفقَ عليها بين المفسرين والعلماء أنَّ المهديَّ ابنُ رسول الله وأنَّه يخرجُ في آخر الزمان ليملأَ الأرضَ قسطًا وعدلًا كما ملئت ظلمًا وزورًا.

ولقد استدلَّ المفسرون على العقيدة المهدويَّة بنُقولات سطّروها عن المفسرين، فالسديُّ يقول في معنى قول الله تعالى: {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ} [سورة التوبة؛ الآية ٣٣]: «ذلك عند خروج المهدي، لا يبقى أحد إلاَّ دخل في الإسلام، أو أدَّى الخراج»[2].

كما فسر ابن أبي حاتم معنى "الخزي" في قَوْله تعالى: ﴿**لَهُمْ فِي الدُّنْيَا**

---

١ - محمد رشيد رضا: تفسير المنار، ج١٠، ص٣٤٢.

٢ - عمر بن علي ابن عادل: اللباب في علوم الكتاب، ج١٠، ص٧٧.

**خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾ [سورة البقرة؛ الآية ١١٤] بما نصه: «أَمَّا خِزْيُهُمْ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّهُ إِذَا قَامَ الْمَهْدِيُّ فَتَحَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ وَقَتَلَهُمْ، فَذَلِكَ الْخِزْيُ»؛ وقد نسب هذا الوجه للسُّدِّيِّ وعِكْرِمَةَ[١].

ومثل هذا التفسير المتعلق بظهور المهديِّ جاء في تفسير لآيات أخرى في بحار الأنوار للعلامة المجلسي عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال في قوله عزّ وجلّ: ﴿**أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**﴾ [سورة الأنبياء؛ الآية ١٠٥]؛ «هم آل محمّد صلى الله عليه وآله»[٢].

كما روي عن أبي جعفر عليه السلام في معنى قول الله عزّ وجلّ: ﴿**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**﴾؟ [سورة الأنبياء؛ الآية ١٠٥]؛ قال: «نحن هم ...»[٣].

مما سبق من روايات يُعلم أنَّ خروجَ المهديِّ عليه السلام متفقٌ عليه عند المفسرين المختلفين مذهبًا، فلم يُنكر أحدٌ مِمَّنْ يُعْتَدُّ بقوله هذه العقيدة، بل طالما اتفق المحققون على تواترها، ما يجعلها نصًّا موثوقًا لا يحتمل الكذب ولا الشك، بل يخرج مُنكره من دائرة الإيمان بحسب القواعد التي لم يختلفوا عليها.

---

١- ابن أبي حاتم عبد الرحمن بن محمد الرازي: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، ج١، ص٢١١.

٢ - محمد باقر المجلسي: بحار الانوار، ج٢٤، ص٣٥٨.

٣ - محمد باقر المجلسي: بحار الانوار، ج٢٤، ص٣٥٨.

## المَبْحَثُ الثَّانِي:
## المَهْدِيُّ وَسَاعَةُ الخُرُوْجِ الحَاسِمَةُ

وبما أنَّ المهديَّ عَلَمٌ ومَعْلَمٌ من علاماتِ الساعةِ الخطيرةِ فإنَّ خروجَه سيكونُ خروجًا خطيراً بمقدار خطورةِ المواقف والأيام التي ستشهد خروجَه، لذا نصَّت الروايات على أنَّ خروج المهدي مؤزَّرًا مكلَّلاً بالنَّصر المبين بعد أن غيَّبته أقدارُ الله الخفيةُ وألطافه الغيبية؛ كما أنَّ الآية القرآنية الواردة في "سورة ق": ﴿**يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ**﴾[سورة ق؛ الآية ٤٢]، تشير إلى هذا الخروج بعد الخسف حيثُ ينادي منادٍ من السماء في أوَّل النهار أنّ الحق في آل محمَّد، كما جاء ذلك صريحًا عن عليٍّ عليه السلام قال: «إذا نادى منادٍ من السماء أنَّ الحقَّ في آل محمد فعند ذلك يظهرُ المهديُّ على أفواهِ الناس ويُشربون حُبَّه ولا يكون لهم ذكرٌ غيرَه»[1].

وقد فسر الصادق عليه السلام هذه الآية: ﴿**يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ**﴾ [سورة ق؛ الآية ٤٢] بقوله: «ينادي المنادي باسم القائم واسم أبيه، والصيحة في هذه الآية صيحة من السماء، وذلك يوم

---

١ - علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ح٣٩٦٦٥.

خروج القائم»[١].

فهذا النداء هو عبارة عن صيحة مدويَّة يسمعها أهلُ الأرض جميعهم، كما يسمعون صوتًا آخر من الأرض في آخر النهار أنَّ الحقَّ في فلان؛ وهو صوت إبليس عليه اللعنات[٢]، ومن شأن هذا الصوت أن يُضلِّهم عن المهدي ويحرفهم عنه، أما المؤمنون فيكونون تبعًا للمهدي وعونًا له حال خروجه، وأمَّا غيرهم من المفتونين فيكونون حربًا عليه.

ويومئ الإمام عليٌّ عليه السلام إلى أنَّ المهدي يظهر على ألسنة الناس، وظهوره يكون بعد نسيان له ولمنهاجه ولطريقته. ما يعني أنَّ آلَ البيتِ وأتباعَهم يعتقدون أنَّه في أمَّةِ محمد صلى الله عليه وآله، وأنَّ إيمانَهم به يكون بالاقتداءِ بمنهاجه والعملِ بطريقتِه وانتظاره بإتمام الأعمال التي أمر الله بها عباده على أتم الوجوه.

ولا نغفل الإشارةَ إلى أنَّ الكثير من المفسرين لم يتلفت إلى الروايات التي تتوافق وتفسير آية الخروج، حيث فسَّرُوا ذلك الخروج بالبعث من القبور[٣].

---

١ - سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي؛ ينابيع المودة لذوي القربى؛ ج٣، ص٢٣١.

٢ - نعيم بن حماد المروزي: كتاب الفتن، ج١، ص٣٣٧، ح٩٧٣-٩٧٤-٩٧٥.

٣ - محمد بن يوسف ابن حيان الأندلسي: البحر المحيط في التفسير، ج٧، ص٣٥٨. محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي: تفسير الألوسي، ج١٠، ص٤٨٣. عبد الرحمن بن ناصر السعدي: تفسير السعدي، ص٨٠٧.

لكنَّ سياقَ الآياتِ يدلُّ على غير ذلك، فبعد أن أخبرت الآياتُ عن الأمم السابقة وبيَّنت أنَّ في الإخبار عنها آيات وذكرى وعبر للمعتبرين، شرعت الآياتُ التي تليها تُحدِّث عن خلق السماوات والأرض وما بينهما وعظيم القدرة الإلهية التي صنعت ودبرَّت وأتقنت وأبدعت، ثم جاء الأمرُ إلى النبيِّ بالصبرِ على ما يقوله المشركون وتسبيح الله تعالى وتعظيمه غدوةً وعشيًا إلى أن يأتيَ اليومُ المحتومُ الذي ينادي فيه المنادي من مكان قريب من الناس جميعًا، تسمعه الخلائق بأجمعها، معلنًا خروج ابن محمد الذي يملأ الأرض قسطًا وعدلاً بعد أن يملأها المعتدون والمشركون وأعوانهم ظلمًا وجَورًا، ذلك اليوم هو يوم الخروج الموعود الذي سيتحقق لا محالةَ رغم كثرة العدوان.

وبعد الحديثِ عن الخروج -الذي هو أُولى علامات القيامة- أخبر عن القدرة الإلهية المتحكمة بالكون إماتةً وإحياءً فقال: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ * يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ**﴾ [سورة ق؛ الآية ٤٣-٤٤]؛ وعليه فإنَّ سياقَ الآياتِ لا يُخبر عن الخروج من القبور ويوم البعث.

وإذا تتبع الباحثُ ألفاظَ الآيةِ التي أخبرت صراحةً عن الخروج فإنَّها تُعلن أنَّ الخروجَ سيكون خروجًا مهيبًا مهيبًا، خروجًا تقشعر له الأبدان، وتتزلزل لهيبته القلوب، إنَّه الخروجُ الحقُّ الذي يكون الفيصل بين الحقِّ والباطلِ الذي ضاع العباد في أرجائه وبين جنباته، الباطل

الـذي رزح العباد تحت ذُله وسـطوته وجبروته قرونًا متتابعة، وبأسـماءٍ مختلفـة، وبمظاهر متعددة متآلفة حينًا ومتناحـرة حينًا آخر، إنَّه الخروج الذي يُنتصر فيه للمظلوم وتتحقق بسـببه العدالـةُ في الأرض، هو ذلك الخـروج الذي تتعاقب بعده علامات يوم القيامة الكبرى وينفرط عقدها ليعرفَ كلُّ واحدٍ من الناس في أيِّ فسطاط هو، أفي فسطاط الحق تحت لواء سـيدي المهدي، أم في فسـطاط الضلال تحت الرايـات والألوية المنحرفة؟

أمَّا الصَّيحَة التي جاءت في هذه الآية، فهي ليست الصيحة التي وردت في غيرها من الآيات والتي تخبر عن يوم القيامة ﴿**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّـمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَـإِذَا هُـمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ**﴾ [سـورة الزمر؛ الآيـة ٦٨]، لأنَّ هذه الآية -وما شـابهها من الآيات- فيها إخبارٌ عن يوم القيامـة، حيثُ يُصعق الخلق عند سماعهم صيحة إسرافيل ونفخه في الصور.

كما أنَّ هذه الصيحةَ ليسـت تلك الصيحة التي تعني العذاب والهلاك الـذي نـزل على الأمم كما جـاء في قوله تعـالى: ﴿**وَأَخَذَ الَّذِيـنَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ ...**﴾ [سورة هود؛ الآية ٦٧].

هذه الصيحة هي نداءٌ، يأمر الله تعالى نبيه بأن يسـتمعَ إليه ﴿**وَاسْـتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ**﴾ [سـورة ق؛ الآية ٤١]، لكنَّه ليس كأي نداءٍ، إنَّه نداءٌ من مكانٍ قريب بحيث لا يغفَل عنه ولا يغيب عن سماعه أحدٌ

مــن الناس، إنَّه نداءٌ قويٌّ مخيفٌ رهيبٌ كأنمَّا هــو صيحة مدوِّية مجلجلة تخــترقُ الآذان والنفوس والعقول لتســتيقظ من بعد سُــباتها العقيم ﴿**يَوْمَ يَسْــمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ**﴾ [ســورة ق؛ الآية ٤٢]، ثم إنَّه نداء قريب، هو نداء الحق، نداءٌ أشــبه بصيحة تنذر العبادَ الهلاك، ولا تترك مجالاً للشَّــك في خروج الإمام الذي غيبه أمر الله تعالى.

## المَبْحَثُ الثَّالِثُ: المَهْدِيُّ.. الغَيْبَةُ وَالسِفَارَةُ

### الْمَهْدِيُّ وَالغَيْبَةُ

عــن جابر بن عبد اللــه الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رســول الله ﷺ: «المهديُّ من ولدي اســمه اســمي، وكنيته كنيتي، أشــبه النــاس بي خَلْقًا وخُلُقًا، تكون له غيبةٌ وحَيْرَةٌ تَضِلُّ فيها الأمم، ثُمَّ يُقْبِلُ كالشِّــهاب الثاقب، يملأ الأرض عدلاً وقسطًا كما ملئت جَورًا وظلمًا». وعن الباقر نحوه وزاد: «ويأتي المهدي بذخيرة الأنبياء عليهم السلام».[1]

وفي روايــة: «تكــون له غيبة وحــيرة في الأمم حتى تضــل الخلق عن

---

١ - سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي: ينابيع المودة لذوي القربى، ص.ص٣٩٦-٣٩٧.

أديانهم»[١].

هذا الحديث الشريف يُعلن أنَّ للمهديِّ غيبةً يغيبها عن الخلق، عندها تكون حيرة الناس وشكهم في وجوده وإمامته، هذا الشك يعبر عنه النبيُّ الأكرمُ ﷺ بالضلال، وضلالهم هو بُعدهم عن الحقيقة ومجانبتهم لها ونكرانها بسببِ الغيبةِ التي يدور حولها كلام ولغط وزيادة ونقصان وأوهام، والضلال هذا هو انحراف عمَّا جاء به النبي وأخبر عنه، ما يعني أنَّ النبيَّ جعل الإيمان بالمهدي مُغيَّبًا إيمانًا بالغيب.

ولهذا المعنى المتعلق بالإيمان بالمهدي على أنَّه علامةٌ من علامات الساعة جعله الله غيبًا ليكون الإيمانُ به إيمانًا بالغيب، جاء عن أبي جعفر محمد الباقر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «طوبى لمن أدرك قائمَ أهل بيتي وهو يأتم به في غيبته قبل قيامه، ويتولى أولياءه ويعادي أعداءه، ذلك من رفقائي وذوي مودتي وأكرم أمتي علي يوم القيامة». وعن جعفر الصادق عليه السلام نحوه وزاد بعد قوله وهو يأتم به: «ويأتم بأئمة الهدى من قبله»[٢].

فالملاحظ من هذا الحديث أنَّ النبيَّ ﷺ يمتدح من أدرك الإمامَ بعد أنْ كان مؤمنًا به حال غيبته، وقبل قِيامِه بأمر الله تعالى الذي عهد به إليه يوم

---

١ - سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي: ينابيع المودة لذوي القربى، ص٣٩٨. ابراهيم بن محمد الجويني: فرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين، ج٢، ص٣٣٥، ح٥٨٧.

٢ - سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي: ينابيع المودة لذوي القربى، ص٣٩٧.

يخـرج منفِّذًا أحكام الله وشريعته، إنَّها التهنئة والمباركة النبوية لكل مؤمن بالمهدي، متولٍّ أولياءه الذين سـبقوه من أئمَّة الهدى والخلفاء الراشـدين ومـن يخلفهم في كل زمـان، متولٍّ أنصاره الذين يوطئـون له في الأرض، ومعاد من يحاربونه ويناصبونه العداء.

إنَّ المؤمـن بهذا الأمر الغيبي مِنْ قَبـل ظهوره يبشِّره النبي الأعظم ﷺ بشـارةً ما بعدها بشـارة، بشـارةً لو وزنت بملك الدنيا وما فيهـا لوزنته، إذ المؤمـن بالمهدي وبخروجه هـو من رفقاء النبي الذيـن يودهم ويبادرهم بكل صنوف القرب والود في الجنان.

أضف إلى ذلك أنَّ المؤمنـين بإمامة المهدي عليه السلام في زمن غيبته إيمانًا حقيقيًـا عملانيًا، هم من أكرم أمة محمد ﷺ على الله تعالى. إنَّها شـهادة رسـمية مـن رب الأرباب جـل وعلا، ممهـورة بختم محمد رسـول الله، ومصدَّقـة تصديقًا لا ينكره مؤمـن، هذا التصديق له أثـرٌ كبير في النفوس يحملهـا على اقتفاء هَدي المهدي في الأخلاق والمعاملات والشرائع، أمَّا الجائـزةُ العظيمة على هذا الإيمان بالْمُغَيَّـب عنا فهي جائزة جليلة يلاقيها عند وُلوجِه عالم الغيب والشهادة ليكون بجوار محمد وخلفائه الأطهار.

قال رسـول الله ﷺ: «أفضلُ العبـادةِ انتظارُ الفرج»، أي: انتظار الفرج بظهور المهدي عليه السلام [1].

---

١ - سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي: ينابيع المودة لذوي القربى، ص٣٩٨.

ولأنَّ خـروجَ الإمامِ عليه السلام آيةٌ من آياتِ الله تعـالى العِظام، كانت أفضل العبادات التي يؤديها المؤمن في غيبته انتظار فرج الله تعالى بخروج الإمام ليملأَ الأرض عدالةً وقسطًا، فيمحو آثار الشرك والكفر والظلم والانحراف والكذب والنفاق.

ولا يعنـي انتظـار الفرج بحالٍ من الأحـوال أنْ يكونَ حـالُ من ينتظر الخـروج كحالِ غـيرِه من النـاسِ العاكفـين على المعـاصي والملذات، المتشـدقين بالإيمان، المدَّعين للاتباع ادعاءً فارغًا، أولئك يمُنُّون أنفسهم برضوان الله تعالى، والله عليهم سـاخط، سـاخط عليهـم لأنَّهم يَكذبون عليه وعلى أوليائه وعلى أنفسـهم، إذ كيف يكونـون من المنتظرين للفرج وهم لا يقومون بما أوجبه الله تعالى عليهم، بل قُلْ بأدنى ما افترضه الحق عليهم.

فأفضـل العبادة انتظار الفرج، مـا يعني أنَّ المنتظِر للفرج هو على حال دائمـةٍ من التعبد بإقامة العدل والقسـط على نفسـه في سره وعلانيته، في منزلـه وفي حياتـه الاجتماعية، في تجارته وبيعه وشرائه، في سياسـته، في سائر شؤونه ...، ومعنى كونه على حالة دائمة من التعبد لا يفيد ترك العمل والتواكل بحجة انتظار الفرج، وإنَّما يفيد القيام بالعمل المفروض على أتمِّ وجه حتى إذا ما جاء أمرُ اللهِ تعالى كان من الناجين.

لهـذا المعنى الإيمـاني الذي يجب اسـتقراره في النفوس جاء عن ابن عباس قال: قال رسـول الله صلى الله عليه وآله: «إنَّ عليًّا إمام أمتي من بعدي، ومن ولده

القائـم المنتظَر الذي إذا ظهر يملأ الأرض عدلاً وقسـطًا كما ملئت جَورًا وظلمًا، والذي بعثني بالحق بشـيراً ونذيـرًا، إنَّ الثابتين على القول بإمامته في زمان غيبته لأعز من الكبريت الأحمر.

فقام إليه جابر بن عبد الله الأنصاري فقال: 'يا رسول الله: لولدك القائم غيبة؟'

فقال: إي ورَبي لَيُمَحِّصَنَّ الذين آمنوا ويَمْحَقَ الكافرين. يا جابرُ إنَّ هذا الأمرَ مِنْ أمرِ اللهِ وسِرٌّ مِنْ سِرِّ اللهِ مَطْوِيٌّ عن عباد الله، فإياك والشـكَّ فيه فإنَّ الشكَّ في أمرِ الله كُفرٌ»[1].

لم يـترك النبـي ﷺ صغيرةً ولا كبـيرةً متعلقة بخط ولـده المهدي إلَّا وأخبر عنها لئـلا يترك عند المؤمنين مجالاً للشـك والريبة، فالمهديُّ من أبنـاءِ عـليٍّ إمام الأئمة، وله غيبـةٌ تمتد زمنًا طويـلاً، لا يبقى على الإيمان العملاني بها غيرُ قِلَّة قليلة من الناس، فالمؤمنون بإمامته أعز من الكبريت الأحمر، وهو مثل يضرب للدلالة على ندرة الأمر وقِلَّته ورفعته.

ويعجب جابر فيسـتفهم عن حقيقة هذه الغيبة، فيجيبه النبي بأنَّ المراد من هذه الغيبة تمحيص العبـاد: المؤمن من الكافر، الصادق من المنافق، العامـل من المدعي، ليثيـب الله تعالى المؤمنين وليعـذب الكافرين، ثم

---

١ - إبراهيم بن محمد الجويني: فرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين، ج٢، ص٣٣٥، ح٥٨٩.

يزيد النبي ﷺ جابرًا علمًا ليزداد إيمانه، بأنَّ المهديَّ من أمر الله ومن أسراره المغيبة عن العباد، أمَّا الشك في أمر الله تعالى فكُفر به وبتقديره، وخروج على شريعته.

طبعًا هذه الإشارة من النبي لا تعني أن يرميَ المؤمنُ -إيمانًا سطحيًا- بغيبةِ المهديِّ غيره بالكفر، فلم يقصد النبي إلى ذلك أبدًا، وإنَّما الأمر يتعلق بمن يحرِّفون الناس عن هذا الإيمان بتغييب الحقائق عن سابق إصرار وتصميم، وتغييب الناس عن حقيقة المهدي يكون بطرائق متعددة وكثيرة، فالذين أخفوا النصوص بالقوة والقهر والسلطان وعملوا على محاولةِ اغتيال المهدي بعد أن اغتالوا آباءَه من قبله ينطبق عليهم هذا النص، كما أنَّ الذي يتخذُ من الإيمان بغيبةِ الإمام طريقًا لتعميق الخلافِ بين المسلمين ولِجَعْلِ الإيمان بالغيبة إيمانًا سطحيًا فارغًا من مضمونه الذي رمى إليه النبي، واستعلاء على من آمن بالمهدي؛ لكنَّ معرفتَه لم تُخَوِّلْهُ الإيمانَ به مُغَيَّبًا.

وهنا يكمن التمحيص من خلال الإيمان بالمهدي منهاجًا للعدالة يجب أنْ ينتصبَ ميزانه اختيارًا في النفس البشرية قبل أنْ ينتصبَ رغمًا عنا في رحاب الكون كل الكون.

ولما سأل جابر في إحدى المرات عن إمكانية انتفاع الناس بالمهدي في زمان غيبته، ما كان من الرسول الكريم ﷺ إلا أن ضرب مثالاً هو الغاية في الإقناع والحقيقة إذ قال له: «إي والذي بعثني بالنبوة، إنهم يستضيئون

بنور ولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وإن سترها سحاب، هذا من مكنون سر الله، ومخزون علم الله، فاكتمه إلا عن أهله»[1].

والملاحظ في هذا الجواب القَسَم الذي جاء لتأكيد المعنى، فالناس ينتفعون بنور الشمس ولو سترها السحاب، هذه الحقيقةُ العلميَّةُ تجلت في أبهى مظاهرها في عصر العلم الذي نعيشه حيث الاختراعات والاكتشافات التي تعتمد على أشعة الشمس في أكثر البلدان برودة...

فكما ينتفع الناس بحرارة الشمس المحجوبة بالسحب فإنهم ينتفعون بنور ولاية الإمام المهدي في غيبته، إذ إنهم ببركة الإيمان الذي يسري في قلوبهم الحية يمتثلون تعاليم جده النبي ويعيشون أخلاقه ويتبعون منهاجه، وهذا الانتفاع ليس مما يدركه الناس بالحواس، إذ الناس يغلب عليهم أن يؤمنوا بالمادة المحسوسة والملموسة، ويطلبون دومًا الأثر الظاهر لكل عمل، فالشمس ونورها يُدركان بالحواس، أمَّا نور الإمام المهدي فهو مغيب إلا عمن يؤمن به الإيمان العقلي الغيبي العملي الحقيقي، بحيثُ ينتظر خروجه امتثالاً لأمر الله، واستجابةً لرسول الله الذي أمر المؤمنين بنصرته.

فانتظاره عليه السلام هو انتظارٌ لخليفة رسول الله ورحمته للعالمين

---

١ - سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي؛ ينابيع المودة لذوي القربى؛ ص:٤٠١ في المطبوع ـ في الشاملة ـ ح (٥٤) ـ (٣/ ٣٥٣).

وانتظاره شبيه بانتظار أهل المدينة للحبيب الأكرم ﷺ يوم دخل المدينة مهاجرًا إليها بعد أن عذبه قومه وقتلوا أحبابه وساموهم العذاب.

لا بل إنَّه انتظارٌ لمحمدٍ رسول الله، وما على الذين ينتظرون الإمام إلَّا أنْ يكونوا على مِثل ما كان عليه الأنصار من الإيمان الحق، حيث تخلوا أول ما تخلوا عن معتقداتهم المنحرفة، وعاداتهم البالية، وشهواتهم التي تحكمت برجولتهم، وغرائزهم التي ألغت إنسانيتهم، تخلوا عن الأموال والدور وكل ما يمتلكون من حطام الدنيا كرامةً للرسول الذي أكرمهم به الله تعالى، وقبل ذلك كله تخلوا عن نزاعاتهم وفرقتهم وحروبهم الطاحنة التي أتت على أخضرهم ويابسهم وجعلتهم عبيدًا لليهود الذين طالما غذوا فيهم الصراعات والحروب والكراهية بغية إضعافهم والسيطرة عليهم والاستفادة من خلافاتهم.

إضافةً إلى المعلومات السابقة التي بينتها الأحاديث الشريفة عن الإمام المهدي عليه السلام، يخبرنا النبي ﷺ في حديثه الشريف هذا بأنَّ المهديَّ عليه السلام الذي سيأتي بذخيرة الأنبياء ليمحو كل تحريف وكذب وافتراء على شرائع الله تعالى، وليكونَ الحُجة على الناس جميعهم بشريعةِ جَده محمد ﷺ، وليكون أتباعه خير الأتباع.

من هنا فإنَّ السائل العارف بصفات أتباع المهدي عندما يسأل: أين هم المؤمنون الذين اتصفوا بهذه الصفات ليعلنوا صراحة بعد ذلك أنهم أنصار المهدي، أو ليثبتوا للآخرين أنهم يرغبون في أن يكونوا من أنصاره؟ سيجد

أفصح إجابة تبشره بأنَّ من يتبع المهدي ورسالته وعدالته ونقاء طريقته وجمال سريرته لا يكون متعصبًا لمذهبٍ ولا لفكرٍ، بل تكون عصبيته للحقِّ ولأنوار القرآن ولسماحة الإسلام.

ثمَّ هل اختيارُ أنصارِ المهديِّ إلَّا إكرامٌ وانتقاءٌ واصطفاءٌ من الحقِّ تعالى؟

وأي عمل صالح هذا الذي يخولنا أنْ نكونِ ممن يقع عليهم اختيار رب الأرباب؟

أهي الصلاة طوال الليل والنهار؟ أم الصيام الدائم؟ أم ماذا؟

إنَّ كلَّ عمل يقوم به المؤمن إنَّما يؤديه بإكرام الله تعالى له، أفنريدُ بعد هذا الإفضال فضلاً، وبعد هذا الإكرام كرمًا؟

نعم، يجب أن يتمنى المستوثقون المؤمنون نُصرة الإمام المهدي (ع)، وطبيعي أن يكونَ عندهم الشغف إلى لقائه ولقيا مُحَيَّاه، بل يجب أن يكونوا متلهِّفين إلى اتباعه إذ آمنوا بجده الحبيب ولم يروه، وآمنوا بإمامته وغيبته ولم يروه، وآمنوا بما أخبر به النبي ﷺ عنه من قبل أن ترى العين منهم أثرًا واحدًا دالاً عليه.

يجب أن تكون ثقتهم بالله تعالى كبيرة وظنهم بالله تعالى حسنًا، فالله عند حسن ظن العبد[1]، ومن تيقَّن بأنَّ اللهَ تعالى سيكرمُه، فإنَّ إكرامَ اللهِ تعالى سيتدفقُ عليه ولو بعد حين، شرط أن يَتَّكِلَ وألا يتواكل: أي: يَتَّكِل

١ - أبو الأشبال حسن الزهيري: شرح كتاب الإبانة من أصول الديانة، ج٤، ص٣٤.

عـلى ربـه وليس على عمله الذين يـراه صالحًا، ولا يتقاعـس عن العمل ثم يُمَنِّي نفسـه بالنَّجاة وهو من أكثر خلـق الله تعالى انحرافًا. والتمني والمحبة والتلهف يجب أن يكون مبعثُه نقاوةَ العملِ الذي سيقوم به المهدي من نُصرةٍ للمظلومين ومحاربةٍ للمتجبرين في الأرض وإعلاء للحق على وجه الأرض.

هنا ينبه النبـيُّ الأكرمُ ﷺ جابرًا إلى ضرورة عدم التحدث بهذه الأمور إلى غير أهلِها لئلا يـزدادوا ضلالاً، ولئلا يتَّخذُوا المؤمنين غرضًا من دون الشـاذّين في المجتمعات الإنسـانية، ولئلا يشـوهوا الحقائقَ التي نزل بها وحي السماء.

فـماذا يعني الإيمان بغيبة الإمام مع عدم التزام نهجه وأخلاقه وعدالته، وماذا يضر من آمن بالمهدي حسـب ما بلغه علمه -من كونه يولد ويخرج في آخـر الزمان ليقيم منهاج العدالة والحـق- وهو عامل مقتف كل خُطوة من خُطُوات العدالة وآثارها؟!

ولهـذا المعنى فإنَّ النبيَّ عجـب لإيمان من آمن بالمهدي بهذا المعنى العمـلي ولم يره، فعـن علي عليه السلام قال: إن رسـول الله ﷺ قـال: «يا علي أعجب الناس إيمانًا وأعظمهم يقينًا قومٌ يكونون في آخر الزمان، لم يلحقوا النبي وحجبت عنهم الحجة، فآمنوا بسـواد عـلى بياض». أي بالأحاديث التي كُتبت على القرطاس[1].

---

١ - سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي: ينابيع المودة لذوي القربى، ص٣٩٩.

عجب محمدٌ رسول الله لإيمان أُناس من أمته يكونون في آخر الزمان قائمين على أمر الله تعالى، لم يروا النبيَّ وقد حجب الله تعالى عنهم الإمامَ، لكنَّ إيمانَهم به كان كإيمان من رأى، هذا الإيمانُ العجيب حمَلَهم على التسليم المطلق بما أخبر به محمدٌ رسول الله مع أنَّهم لا يعرفونه، لقد آمنوا بحقيقة المغيَّبات المدونة والمثبتة عند نفر قليل من أبناءِ الذرية الطاهرة الذين تلقوها مباشرة عن سيّدِ الخلق، في حين أنَّها حُجبت عن سائر الخلق المؤمنين بالإمام شكلاً أو المنكرين له على حد سواء.

هذا ما عبر عنه بقوله: آمنوا بسواد على بياض، أي بما هو مكتوب في الكتب الموجودة من روايات نقلت عنه وصحت نسبتها إليه، وقد توارثها أبناؤه وبقيته كابرًا عن كابر بحيث كانت سرًا مخفيًّا عن الخلق كحال صاحبِ هذا السر الأعظم عليه من الله تعالى أزكى سلام.

## الْمَهْدِيُّ وَالسفَارَةُ

اتَّفقَ علماءُ الإماميَّة على أنَّ للمهديِّ غيبتين، إذ يغيب وهو في سن صغيرة ثم يظهر لبعض أتباعه الصادقين المخلصين مؤكدًا على ما أخبر به آباؤه ومذكرًا بالحقيقة التي يجب الإيمان بها، وموجهًا إلى ضرورة الاتباع الحقيقي للمنهج الرسالي الذي من أجله حاربه الظُّلام وقتلوا آباءه واستباحوا نحرَهم وسفك دمائهم، وذكروا في هذا الخصوص أنَّ سفراءَه كانوا أربعة؛ وما يهمُّنا في هذا الخصوص أنْ نعرضَ هنا إلى ما أوصى به

الإمام آخر سفرائه (علي بن محمد السمري) لنعرف الفائدة المرجوة من الغيبة الأولى ولنتبين أنَّ كلَّ ما يُمكن أن يسطِّره محبو الأساطير لم يعترف به أهل البحث الذين اعتمدوا الروايات الصحيحة المتوافقة وصريح القرآن؛ فقد روي أن الإمام المغيب قال لآخر سفرائه: «... اجمعْ أمرَكَ ولا تُوصِ إلى أحد يقومُ مقامَك بعدَ وفاتك، فقدْ وقعت الغيبةُ التامَّةُ، فلا ظهورَ إلا بعدَ إذنِ الله تعالى ذكرُه، وذلكَ بعدَ طول الأمد، وقسوةِ القلوب، وامتلاءِ الأرضِ جَورًا، وسيأتي مِن شيعتي من يدَّعي المشاهدةَ، ألا فَمَنِ ادَّعى المشاهدةَ قبلَ خروجِ السفيانيِّ والصيحةِ فهوَ كذَّابٌ مفترٍ»[1].

ولعلَّ ما جاء في هذه الوصية تأكيد على ما سبقت الإشارة إليه من أنَّ الظهور الأول له والسفارة بينه وبين الناس لهما فوائد منها:

التمهيد لتدريب المؤمنين على البحث والتفقُّه لأنَّ الناس كانوا يوردون أسئلتهم عبر السفراء فتأتيهم الإجابات، ثم عند انتهاء السفارة صار الناس مكلفين جميعًا بالاتصال الروحي بالإمام من خلال الاقتداء به والتخلُّق بأخلاقه.

تدريب النَّاس على ظاهرة الغيبة، فالغيبة الصغرى تُعَدُّ تجربة علمية لإثبات ما لها من واقع موضوعي والتسليم بولادة الإمام وحياته وغيبته وإعلانه العام عن الغيبة الكبرى التي استتر بموجبها عن مسرح الحياة.[2]

---

١ - محمد باقر المجلسي: بحار الانوار، ج٥٢، ص١٥١.

٢ - السيد محمد باقر الصدر: بحث حول الإمام المهدي، ص٥٨.

هكذا تُمهد الغيبةُ الصغرى للغيبة الكبرى لتثبت للناس أنَّ السفارة ليست خرافة، وليعلم العلماء أنَّ الرواياتِ والإيراداتِ والأجوبةَ التي كان الإمام يجيب عليها والتي كانت تَرِدُ عليه حال الغيبة يجب عرضها على الكتابِ كسائر روايات أئمة أهل البيت؛ فإذا كان النَّقَلة ثقاتٌ والرواية لا تخالفَ القرآن بوجه من الوجوه أُخِذَتِ الرواياتُ التي تناقلوها، وإلا فإنَّ الشكَّ يكون بالرواية وليس بالغيبة أو السفارة؛ لأنَّ السفارة مرحلة مؤقَّتة. ولو كانت وهمًا وتزييفًا لاستمر السفراء ولتتابعوا؛ إلَّا أنَّ توقُّفها عند السفير الرابع ليؤكد أنَّها ليست بدعة جنح إليها مؤيدو عقيدة الغيبة والمؤمنون بالسفارة -مع الإشارة إلى أنَّ كلَّ حقيقة قد تشوبها الشوائب والتغيير والتحريف، لكن ذلك لا يلغي الحقيقة من أصلها- وهنا يجب أن تتجلى مهمة العلماء والمفكرين والباحثين الذين يقوِّمون المسيرة ويصححون الأخطاء.

تذكير الناس بآخر الأوصياء الذين أوصى إليهم النبي الخاتم ليعلموا أنَّ وعد الله ورسوله حق، وأن اللهَ لا يخلف وعده، وأنَّ الأمرَ ولو طال لكنه متحقق لا محالة ولو بعد حين؛ كما يؤكد على أنَّ إمكانيةَ التواصلِ بينه وبين الناس على وجه السفارة لن يكون أبدًا وأنَّ من سيدعي السفارة والنيابة عنه والمشاهدة له من بين شيعته المؤمنين به قبل خروج السفياني وقبل الصيحة التي وردت في سورة "ق" فهو كذَّابٌ مُفْتَرٍ على الإمام ومدَّع لما لم يحصل كائنًا من يكون.

هــذه الرواية فيها لطيفة رائقة رائعة تفتح أمام المؤمن طريقًا نقيًّا خالصًا من الشوائب والأكاذيب والأضاليل التي يمكن أن تُسطرَ حول الغيبة، والتي يمكن أن يســتثمرها أصحاب الأهواء؛ كما تُرَكِّزُ على علاقةِ الإنســانِ بربِّه الــذي هو المغيِّب والمظهِر وله كلُّ أمر، لتكون علاقة الفرد بربه مبنيةً على أســاس من التفقُّه والعلم والمعرفة بعيدًا عن القوقعة والمذهبية والاستئثار بالحقيقة والتغني بها ورمي الآخر بالتُّهَمِ جُزافًا وافتراءً؛ وهذا الفهم العميق هو الذي ســطرته كلمات الإمام الصادق إذ قــال: «إنَّ لِصاحِبِ هذا الأمرِ غيبتين، ولا يقومُ القائمُ ولِأَحَدٍ في عُنُقِهِ بَيْعَةٌ»[1].

عندمــا نتعامل مــع الظواهر المنصوص عليها والتــي لها علاقة خاصة بالغيبيــات من منطلق واضح المعالم متجرد عن الانتصار لفكرة ولمذهب فإنَّ ذلك سيكون معينًا لنا على تأكيد المعاني ومعرفة أبعادها وفهم أهدافها والغــوص فيهــا ضمن إطار الوعــي والتثبــت واليقظة الفكريــة المتحفزة إلى دراســة النص ومناقشــة الآراء ومحاورة المخالفين ليس على أســاس الخصومة، بل على أســاس من الحركة الفكرية الإنسانية العاملة على قتل كل صور الصراع القائم على الجهل ونكران الآخرين.

كما أنَّ الأُمَّــةَ تُمْتَحَنُ بالغَيْبَةِ فإنَّها تُمْتَحَــنُ كذلك بالكذَّابين المضلِّين الذين يفترون على الله ورسوله وأوصيائه فيدَّعون المهدَوِيَّةَ أو رُؤْيَةَ الإمامَ

١ - محمد باقر المجلسي: بحار الانوار، ج٥٢، ص١٥٥.

المهـديِّ قبـلَ خروجِ السُّـفْيانيِّ، وبذَلِـكَ فَصَلَتِ الروايةُ بـينَ أهلِ الحقِّ الْمُنْتَظِرينَ على أُسُسٍ واضِحَةٍ مُبِينَةٍ وبينَ الْمُدَّعينَ مِنْ أهلِ الباطلِ.

# الفَصْلُ الثَّامِنُ:
# عِلْمُ المَهْدَوِيَّةِ وَتَجْدِيدُ الدِّرَاسَاتِ وَآلِيَّاتُهَا

## المَبْحَثُ الأَوَّلُ:
## تَجْدِيدُ الدِّرَاسَاتِ المَهدَوِيَّةِ وَعَلَامَاتُ الظُّهُورِ عَلَى ضَوْءِ النُّصُوصِ

ليس من شأن هذا البحث دراسة علامات الخروج، لكنَّ من أهداف هذا البحث العمل على طرح كل ما يمكن أن يثبتَ العقيدةَ المهدويَّةَ أو يساعد على تثبيتها بعد أنْ عرفَ القارئُ بأنَّ المهدويَّةَ ليست فرضيَّةً ولا نظرية ولا فكرة، وإنَّما هي عقيدة ثابتة عند المسلمين بجميع مذاهبهم، وإنْ وقعَ الخلاف في جزئيات ذات علاقة بهذه العقيدة تبعًا للنصوص التي صحت عند كل فريق من المسلمين.

ولعلَّ من أهم ما يمكن أن يثبتَ هذه العقيدة هو إخراجها من دائرة النص المحفوظ إلى دائرة العلم من خلال دراسة النصوص التي ذكرت علامات الخروج، وهذا يتم بتتبع تلك العلامات ذات العلاقة بأنواع متعددة من العلوم؛ منها ما له علاقة بعلوم الجيولوجيا والزلازل والبحار، ومنها ما له علاقة بالكواكب والنجوم والشمس والقمر والخسوف والكسوف، ومنها ما له علاقة بعلوم السياسة والاقتصاد والحروب.

وهكذا فإنَّنا سنقف أمام مجموعةٍ كبيرةٍ من النُّصوصِ ذات العلاقة بالعلوم المختلفة والتي ستتطلب منا دراستها مع مجموعة مختصَّةٍ من الدارسين المؤمنين بالعقيدة المهدويَّةِ، بحيث يتم العمل على جمع المعلومات ومقدار تطابقها مع النصوص.

هذه الدراسات قد يَنظر إليها البعض على أنَّها تدخل في الغيبيات التي أُمرنا بالإيمان بها مهما كانت بعيدةً عنَّا ومهما طال أمدها، كما يرى البعض الآخر أنَّ مثل هذه الدراسات التي يتم إسقاطها على النصوصِ قد تُصيب المؤمنين بخيبة أمل متى كانت الإسقاطات خاطئة، بل لو كانت شبه متطابقة لكن الزمانُ والمكانُ ليسا متطابقين.

بعيدًا عن كل التساؤُلات التي يمكن أن تعترض سبيل هذه العملية، نرى أنَّ الأمَم السابقةَ كانت تتبع علامات ظهور نبي آخر الزمان بدقةٍ عاليةٍ من خلال دراسة حركة النجوم والشهب والبقاع التي يمكن أن يظهرَ فيها أو يهاجرَ إليها النبي الخاتم، وهذا لا يعني أبدًا أنَّهم لم يؤمنوا بالغيب، بل على العكس من ذلك إذ إنَّ إيمانَهم هو الذي حملهم على تتبع هذه العلامات ليكونوا من أتباع هذا النبي، لكنَّهم أسفًا بعدما عرفوا صفاته ونعوته كما يعرفون أبناءَهم إذا بهم يكفرون به وينكرونه حقدا وحسدا.

ونحن نستطيع تتبع هذه العلامات ودراستها من كل ناحية وجانب، مع الإشارة والتنبيه إلى أنَّ النتائجَ التي يمكن أن تصدرها اللجان العلمية المختصة ليست نهائيَّةً ولا قطعيَّةً، لكنها نتائجُ محتملة لتطابقها مع

النصوص الدينية التي أخبرت عن العلامات المرافقة للظهور.

وهذه الدراسات من شأنها إذكاء الحرارة الإيمانية النابعة عن معرفة وعلم، والتي تُقوِّي علاقة الإنسان المؤمن بربه وبنبيه وبالمهدي الموعود، كما أنَّها تجعل من الإيمان بالمغيبات علمًا يشير إلى الكثير من المعجزات المتحققة سواء أكان لها علاقة بالمهدي أم لم يكن؛ على أنَّ مثلَ هذه الدراسات قد لا تقدم حكمًا جازمًا ولا مبرمًا إلَّا متى حدث متفقًا مع الروايات التي تشير إلى العلامات.

والأهم مما سبق أنَّ القضيَّةَ المهدويَّةَ تحيي الحقائق المغيبة في الأُمَّة والتي كانت سببًا في انقسامها وتشتتها وتسلط القوى المستكبرة عليها؛ فمن الحقائق التي عملت السلطات على تغييرها أو تحريفها تتضح أمامَ أعيُننا كل العوامل التي ساعدت على إقصاء المشروع المهدوي منذ الغدير والانقلاب عليه.

والدراسات المهدوية تساعد على صناعة جيل صالح تتحقق فيه معاني العبودية عند انتظار الفرج في جميع محطات حياته مُسالماً ومُحاربًا ومُعاهدًا ومُدافعًا عن المظلومين ومناصرًا للمقهورين يُحيي في حربه واستشهاده واقعة كربلاء -كما فعل الإمام الحسين-، ويُحيي في معاهداته إحياء الدين ونشر تعاليمه كما فعل الإمام الحسن عليه السلام، ويُحيي من خلال تركه النزاع وَحدةَ الأمة كما فعل الإمام علي عليه السلام، ذلك أنَّه يكون جيلاً قد عرف المهام والتكاليف المتعلقة به والتي عليه القيام بها وإتمامها بشكل دقيق...

كـما تتحقـق في هذا الجيل أسـس الخطاب الحضـاري القائم عـلى العدالة الحقيقية التي تنبع من النفس وتنتهي بالأمَّة محققة عدالة إنسانية في أعلى مستويات العدالة، وهذا يتطلب قراءةً عميقةً للنصوصِ المهدويَّةِ وعلامات الظهور.

## المَبْحَثُ الثَّانِي:
## لَمْحَةٌ عَن صِفَاتِ جُنُودِ صَاحِبِ العَصْرِ وَالزَّمَانِ

روي عـن الإمام جعفر الصادق عليه السلام في وصفهم قـال: "... ورجالٌ كأنّ قلوبهم زبر الحديد، لا يشوبها شك في ذات الله تعالى، أشد من الحجر، لو حملوا على الجبال لأزالوها كأن على خيولهم العقبان يتمسّحون بسُرج الإمام يطلبـون بذلك البركة، ويحفّون به، يقونه بأنفسـهم في الحروب، ويكفونه ما يريـد، رجال لا ينامـون الليل، لهم دويٌّ في صلاتهم كـدويّ النَّحل، يبيتون قيامًـا على أَطرافهم، ويصبحون على خيولهم، رهبـانٌ باللّيل، ليوثٌ بالنهار، هـم أطوعُ له من الأَمَةِ لسـيِّدها، كالمصابيح، كأنَّ قلوبَهم القناديل، وهم من خشية الله تعالى مشفقون، يدعون بالشهادة، ويتمنون أن يقتلوا في سبيل الله تعالى، شـعارهم: يا لثارات الحسين، إذا ساروا يسـير الرعب أمامهم مسيرة شهر، يمشون إلى المولى إرسالاً، بهم ينصر الله تعالى إمام الحق"[1].

---

١ - محمد باقر المجلسي: بحار الانوار، ج٥٢، ص٣٠٨.

## المَبْحَثُ الثَّالِثُ:
## الآلِيَّاتُ المَطْرُوحَةُ التي يُمكِنُ أنْ تُعزِزَ العَقِيدَةَ المَهْدَوِيَّةَ

١. ربط غيبة الإمام بالقاعدة النخبوية التي ستتهيأ لتكونَ على أهبة الاستعداد لقيادة القواعد الشعبية وتهيئتها لتستجيب لنداءِ الحق والواجب متى دعاها داعي الله تعالى بلا تردد.
٢. وضعُ كتابٍ تنتظمُ في فصوله حياةُ الإمامِ المهدي وغيبته وعلامات ظهوره من خلال الاعتماد على النصوصِ الموثَّقة والمنظمة بحسب تتابع الأحداث وتسلسلها.
٣. تحويل هذه الكتاباتِ إلى أعمالٍ وثائقيَّةٍ وفنيَّةٍ مسرحية وكرتونية وتمثيلية وأفلامٍ للصغار والكبار قصيرة وطويلة بلغات كثيرة، والدعاية لها ونشرها عبر المنصاتِ ووسائل التواصل الاجتماعي والمحطات الإعلامية المرئية والمسموعة كي يشاهدها أكبر عدد ممكن من الناس صغارًا وكبارًا، بحيث تُفَعَّل القضية المهدوية على المستوى العاطفي والعقلاني والانتمائي والديني والعقائدي والإنساني والإصلاحي على حد سواء.
٤. صناعةُ برامج إلكترونية حول الإمامِ المهديِّ والقضيَّةِ المهدويَّةِ

العالميــة ذات أيقونة خاصة بهذه العقيدةِ التي أجمع على أهم مفاصلهــا معظم المســلمين من أتبــاع المذاهب الإســلامية، بحيث ترتبط أذهان الصغار والناشئة بهذه القضية ارتباطًا وثيقًا ينعكس على سلوكهم وأخلاقهم ومعاملاتهم اليومية.

٥. تنبيه المشــاهدِ والمتلقــي للأعمالِ الفنيةِ بطريقــةٍ غير مباشرة إلى دوره الذي يســاعد على تحقيقِ المشروع المهدوي الذي تخلت عنه الأمَّةُ يومَ تخلت عن بيعةِ أميرِ المؤمنين واســتأثرت بالسُّــلطةِ دون صاحب البيعة، وهنا تتجلى للــدارسِ الحقائقُ التــي أعلنتها آيــات الكتاب المبين والتي لا تكــون ناجزةً ولا متحققــةً إلا بالفَهم الحقيقيِّ للنص على مســتوى الانفعال به ومعه والعمل به وتطبيق كل الأوامر المتعلقة به.

٦. تســليطُ الضَوءِ على الآيــاتِ التي يحقق تطبيقهــا والعمل بها المشروع المهدوي، وتكون الفئةُ العاملةُ بها هي الفئة الموطِّئة للظهور، خصوصًا وأنَّ هذه الآيات كانت قد أعلنت للأمة طريق ســيرها الصحيح الذي فيه منجاتها ونصرها، حيث حددت لنا نقاطًا خمسًــا أعلنتها موضحة طبيعة علاقة الأمة بها والإيمان العميق بأبعادها وأهميتها في تحقيق المشروع المهدويِّ؛ هذه النقاط الخمس نجدها في ســورة المائــدة وخصوصًا في آخر الآيات نزولاً وهي قوله تعالى:

١. اليوم يئس الذين كفروا من دينكم
٢. فلا تخشوهم واخشوني
٣. اليوم أكملت لكم دينكم
٤. وأتممت عليكم نعمتي
٥. ورضيت لكم الإسلام دينًا

وهذه النقاط الخمس تستدعي نقاطًا خمسًا أخرى لابد من البناءِ عليها لأنَّها ضمانة بقاءِ الأمَّة وعزتها، وهي التي يقوم عليها الإسلام الحق الذي لا ينقاد للأهواء ولا للعصبيات، كما أنَّها تُرشد إلى التجارب السلبية التي مرت بها الأمة، وإلى العلاج الناجع الذي كان بوحيٍ منزل من السماء؛ هذه النقاط نلخصها بما جاء في كتاب الله:

١. اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون
٢. واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا.
٣. يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه
٤. وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم
٥. قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودة في القربى

دراسة هذه النقاط العشر من قبل العلماء المنفتحين على الله والحق والتاريخ والتشريع وحل إشكالاتها الخلافية ستكون كفيلة بتحديد منشأ

الخلاف والاعتراف بأسباب الانقسام والتخلف وبالتالي ستكون المعالجة قادرة على إرجاع الأمة إلى الخط الإسلامي الذي حدده الشارع الحكيم ووعد المؤمنين به بالنصر المبين وعدًا محتومًا لا يتغير ولا يتبدل ﴿**وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [سورة الروم؛ الآية ٤٧].

# خَاتِمَةٌ

هــذا البَحثُ المقَدَّمُ إِلَى المؤتمَرِ المهدَوِيِّ الــدَولِيِّ الأَوَّل خُطوةٌ عَلَى طَرِيق مُمتَدَّة طَوِيلَة تَهدفُ إِلَى إِخرَاجِ النُّصُوصِ المتعلقة بعلاماتِ الظُّهُورِ من دَائِرَةِ المعلُومَات الجَامدَة إِلَى دَائِرَةِ الدِّرَاسَة العلمية.

ولأَنَّ القضيَّــةَ المَهدَويَّــةَ هــي النتيجــةُ الحتميَّــةُ لعَدَم اســتجابة الأمَّة لعهدِ الغَديرِ كان لابد من إظهار السلســلة التأسيســيَّة التي توطئ للخروجِ ولانتصارِ الحقِّ على الباطل أو تلك التي كانت سببًا في ظهورِ أَهْلِ الباطلِ عَلى أَهلِ الحَقِّ بالعُدوَان وَالظُّلم.

إنَّ الأساسَ الأوَّلَ الذي مهَّدَ للغيبةِ كان انحرافَ الأمة عن بيعةِ الغديرِ، وعدم قبول الإمــام علي أميرًا وخليفةً وذلك بعد أن تمت البيعةُ له من قِبلِ الأُمَّةِ في حياةِ النبيِّ الأعظم عند غدير خُم.

ثم كان الأساس الثَّاني الذي تجلى في تنازل الإمام الحسن عن الإمارةِ لمعاويةَ ليقومَ بتصحيح المسيرةِ ونشرِ الوعي الإسلاميِّ وطبيعة التحديات التي واجهها الإمام الحســن والتي كانت أشــبه ما تكون بطبيعة التحديات التي واجهها النبيُّ في ظروف شبيهة.

أمَّـا الأَسَـاسُ الثَّالثُ الذي أحـدث تحولاً خطيراً على طريق الإسـلام المحمَّـديِّ فقد تجـلَى بأبهى مظاهره الرسـالية في جهاد الإمام الحسـين وتحديـه القوة الحاكمة والنظام الفرعوني المسـتبد إلى أَنَّ قَضَى شـهيدًا، فكانت شهادته نذيراً بولادة جديدة للإسلام المحمدي، وبدء مرحلة التوطئة لليوم الموعود الذي سـيخرج فيه الإمامُ المهديُّ ليملأَ الأرضَ عدالةً وأمنًا واسـتقراراً بعد أن يسـودها الانحراف والقوانين الجائرة التي تشرع للقوي جرمـه وعدوانه، بالإضافة إلى اندثار القِيم والأخلاق والإنسـانية وانتشـار الظلم والتعدي على حقوق العباد والبلاد وتفشي القتل والإجرام والمجازر باسـم العدالة والقوانين، فيسـتنصر المؤمنون ولا من نصير ويسـتجيرون فلا من مجير. في مثل هذه الأجواء السـوداء يخـرج فرج الله ليعيد الحق إلى نصابـه فيكون ملاذًا للبشريـة جمعاء على اختـلاف دياناتها وأعراقها وانتماءاتها.

وإذا كان المهديُّ المنتظرُ سيلاقي عند خروجه من العداوات ما يلاقي، فـإنَّ ذلك لَيزيد الباحث إيمانًا بهذه القضية الإنسـانية التي لا بد أن يخرجَ نورُهـا في يـومٍ من الأيام مزيلاً معالم الظلام والفسـاد والجـور، وما يزيد العاقـل إيمانًا بالعقيدة المهدوية أنَّ ذكرَها تواتر عند أتباع العقائد المختلفة منذ قـرون بعيدة إضافة إلى تواترها عن المسـلمين مـن دون خلاف فيما بينهم حول مصداقية الخروج.

أمَّـا اختلاف المذاهـب الإسـلامية في تحديد هوية المهـدي فهذا ما

اختلف عليه أتباعُ المذهبِ الواحد، ما يعني أنَّ هذا الاختلاف ليس مذهبيًّا كما هو محفوظٌ ومنتشرٌ بين أهلِ العلمِ، وإنَّما هو اختلافٌ نابعٌ من دراسةِ نصوصٍ محددةٍ، أو من الانفتاح على دراسة نصوص متعددة.

وإننا نعتقد -كما صحت بذلك الروايات- أنَّ العقيدةَ المهدويَّةَ هي القضيةُ الجامعةُ التي يجب أن تلتقي عليها الأمة الإسلامية لأنَّها تعنى بكل قضايا الإنسانِ والمجتمعاتِ والعدالةِ الحقة على كل صعيد اقتصادي واجتماعي وحقوقي وأمني، وهي الكفيلة بتخليص البشرية من كل قوى الشر التي تستبد بالبلاد وتمتص خيراتها وتنشر في رحابها الحروب والخراب، ومتى عرفت الأمةُ الإسلاميةُ التوحدَ تحت رايةِ هذه القضيةِ الجامعة تخلصت من صراعاتها المذهبية التي يؤجج نيرانها الأعداء ويقيمون على أنقاض أشلائنا قواعدهم التي لا تترك في أرضنا أسود ولا أصفر.

لذا كان من الواجب على العلماء والمفكرين أن يبحثوا عن طرق إيجابية يصلون من خلالها إلى جميع شرائح المجتمعات وطبقاتها وأعراقها ولغاتها وعقائدها لينشروا علم الظهور الذي يكشف النقاب بالمتابعة الحثيثة والدقيقة والعلمية عن كل إشارة من الإشارات التي وردت في الآيات القرآنية وأسباب نزولها والأحاديث النبوية المتواترة وغير المتواترة وسنن الخلفاء الراشدين من آل البيت المطهرين؛ وبذلك يكونون من المتعبدين الذين يمارسون خير العبادة بانتظار فرج الله بالطرق الإيجابية الموطئة للخروج وللعدالة وللنصر.

فاللهــم تقبل من عبــدك الفقير ما خطَّته يمينه، وتجــاوز عن كل نقص وخلل، ولا تؤاخذني إن نسـيت أو أخطـأت، واكتبني عندك من الموطِّئين لِمَقْدِمِ الإمام المهدي خاتم الأوصياء، واكتب لي الشهادة بين يديه منافحًا عن دينك ورسولك وأوليائك ومنهاج الحق الذي بَعَثْتَ به رُسُلَكَ.

**قَصِيْدَةٌ فِيْ مَوْلِدِ المَهْدِيّ (من الكامل)**[1]

في يومِ مولدِكَ التُّقى قدْ أزْهرا
عَبَقَ النَّعيمُ برَوضِكُمْ مُتَحرِّرا
في يومِ مولدِكمْ تَجَلَّتْ رُوحُكُمْ
أُنْسًا يُداوِي كلَّ عُسْرٍ أعْسَرا
خافَ العدالةَ بالسَّماحة تَعْتَلي
والْجَوْرُ يُجْتَثُّ اجْتِثَاثا مُبْهِرا
خافَ الحقائقَ مُرْسَلات آيُهَا
والطَّيْرُ يُحشَرُ جَمْعُها مُسْتَبْشِرا
هابَ الخيولَ... مُنَاديَ الحقِّ انْبَرَى
هيَّا ارْكَبي خَيْلَ الإلهِ على الثَّرَى

---

١ - وكان الفراغ من هذه القصيدة مساء الأحد ٤ شعبان ١٤٣٣ ه الموافق له في ٢٤ حزيران ٢٠١٢ م

خافَ الوُحُوشَ مُدَمْدِمَاتٍ يا لها
تَجْثُو مُطَأْطِئَةَ الرُّؤوسِ لِمَا تَرَى
فابْنُ الرَّسولِ مُكَرَّمًا ومُعَظَّمًا
خرجَتْ بِهِ الأملاكُ يُشْرِقُ أقْمَرا
في مَوْكِبٍ مَيْمُونةٍ خُطُوَاتُهُ
قافُ الْمَجِيدِ تَسُوقُهُ بَعْدَ الكَرَى[1]
يا لَلمَهَابَةِ والجلالُ يَحُفُّهُ
والكونُ يَنْطِقُ قدْ أتَى خَتْمُ العُرَى
والشَّمسُ في كَبِدِ السَّماءِ تَزَيَّنَتْ
سَطَعَ النَّسيمُ منَ الشُّعاعِ على الوَرَى
والبَدْرُ في حُلَكِ الدُّجى متيقِّظًا
كيْ يَسْتَمِدَّ مِنَ البَهَاءِ مُقَدَّرا
جبريلُ في جَيْشٍ عظيمٍ حَاطَهُ
هَزَّ العُرُوشَ فَأَقْحَلَتْ مِمَّا جَرَى
أللهُ أكبرُ صاغَهَا سَرْبُ الطُّيورِ
فُوَيْقَ رأسِ ابنِ الأمينِ مُهَدِّرا

---

١ - قاف المجيد = إشـارة إلى سورة ق التي ورد فيها الكلام على يوم الخروج، والذي جاء في بعض الروايات أنه خروج الإمام المهدي ع.

أللهُ أكبرُ أمْطَرَتْ سِجِّيلَها[1]
كيدَ النِّفاقِ مُعَطِّلا ومُسَمِّرا
كالعَصْفِ صارَ إذا تَناثَرَ بَعْدَ أنْ
شَقَّ الصُّفوفَ مُعَانِدًا مُتصدِّرا
والأرضُ راقِصةٌ وحُقَّ لمِثْلها
أنْ تَلْثُمَ الأقْدامَ مِسْكًا عَنْبَرَا
يا لَلجبالِ تمايَلَتْ مَزْهُوَّةً
والصَّخرُ منها ذابَ ثمَّ تَفَجَّرا
فالماءُ دَفْقًا سَلْسَبِيلاً ثائرٌ
جُلْمُودُهُ وَجْدًا حَدَا مُتَحَدِّرا
أمَّا السَّماءُ فَهَلَّلَتْ وتَفَتَّحَتْ
أبوابُهَا حتَّى النَّعيمُ تَشَكَّرا
أمُحَمَّدُ بنُ العَسْكَرِيِّ إمَامَنا
بُشْرى الإلهِ وآيُهُ لنْ تُنْكَرا
مهما تَعَاقَبَتِ الدُّهورُ فَأَنْتُمُ
فَخْرٌ لِكُلِّ مُوَحِّدٍ قَدْ أَبْصَرا

---

١ - سجيل = طين يابس متحجِّر طُبِخَ بالنَّار كالفَخَّار - حجارة صلبة حادّة ذات نتوء؛ جاء في القرآن الكريم: ﴿**تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ**﴾ - وسجيل = وادٍ في جهنم - وسجيل = ديوان كُتِبَ فِيهِ عَذَابُ الكُفَّارِ

مهما تَبَايَنَتِ الدُّروبُ فَأَنْتُمُ
سَهْلٌ إذا صَعُبَ الْمَسَارُ وَأَعْثَرَا
ولَئِنْ تَتَابَعَتِ الحوادِثُ في الحيا
ةِ جَلَوْتُمُ الْمُسْتَخْفِيَ الْمُتَسَتِّرَا
في الغَيْبِ أَنْتُمْ قَدْ حَلَلْتُمْ بَعْدَ أَنْ
عَزَمَ الضَّلالُ لَيَقْتُلَنْ مَنْ أَثْمَرَا
رَادَ انْتِسَابَكُمُ لِنَسْلِ مُحَمَّد
بالسُّوءِ ثَمَّ مُفَاخِرًا مُتَذَمِّرَا
بَعَثَ الجنودَ لِيَنْقِموا مِنْ طُهْرِكُمْ
فابنُ الخميسِ يُخِيفُ جَيْشًا مُذْ جَرَى
وعِنايةُ اللهِ العَظِيمِ تَوَجَّهَتْ
نَحْوَ الطُّفولةِ فاسْتَحَالَتْ أَكْبَرَا
عَمِيَتْ قُوَى الشَّيْطَانِ عَنْ إِدْرَاكِكُمْ
أَبْصارُهُمْ زَاغَتْ...!! فَلَنْ تَتَأَثَّرا
مَهْدِيُّ إِنَّا صَابِرُونَ عَلَى القَذَى[1]
نَرْجُو نُكَحِّلُ أَعْيُنًا يا بْنَ الذُّرَى

---

١ - سجيل = طين يابس متحجِّر طُبِخَ بالنَّار كالفَخَّار - حجارة صلبة حادّة ذات نتوء؛ جاء في القرآن الكريم: ﴿**تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ**﴾ - وسجيل = وادٍ في جهنم - وسجيل = ديوان كُتِبَ فِيهِ عَذَابُ الكُفَّارِ

مَهْدِيُّ إِنَّا في ضلالٍ سَافِرٍ
والفتنةُ البَكْمَاءُ أعْمَتْ مَنْ يَرَى
مَهْدِيُّ إِنَّا صَامِدُونَ فَجَدُّكُمْ
قالَ اثْبُتُوا بَلْ فَارْقُبُوا الْمُسْتَنْظَرَا
خيرُ العِباداتِ الَّتي أَدَّيتُمُ
في الغَيْبَةِ الكُبْرَى انْتِظارٌ أَسْهَرَا
مَهْدِيُّ كَمْ هَتَفَ العِبَادُ لِتُدْرِكُوا
صَيْحَاتِهِمْ وفَسَادُهُمْ كمْ أغْبَرَا
يا وَيْحَهُمْ كمْ يدَّعُونَ وجُلُّهُمْ
بِفِعَالِهِمْ قدْ أَثْبَتُوا الْمُسْتَنْكَرَا
بَلْ طالما دَعَمُوا عِداءَكُمُ ولمْ
يَرَوُا العَدُوَّ سِوَى الصَّدِيقِ مُؤَثِّرَا
وعمائمُ الإسلامِ بِيعَ جَلالُهَا
بِمَنَاصِبٍ تحوي الْجَهُولَ مُؤَمَّرَا
والفَهْمُ لا أَمَلٌ لِيَرْقَى بَعْدَ أَنْ
سادَ الفَسَادُ مُسَدِّدا ومُفَكِّرَا
مَهْدِيُّ إِنَّا في رِحابِ جَنَابِكُمْ
نَسْتَلْهِمُ النَّهْجَ القَوِيمَ مُعَطَّرَا
ونُوَاجِهُ الإعْصَارَ عِنْدَ هُبُوبِهِ

ونُقَاوِمُ التَّيَّارَ مَهْمَا عَمَّرا
إنَّا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ فَمِثْلُنَا
لا يَعْرِفُ الخُذْلانَ إنْ وَافَى الشَّرَى
مَهْدِيُّ طَالَ غِيَابُكُمْ وبُعَادُكُمْ
والقَلْبُ مِنّا خَافِقٌ مُتَحَسِّرا
والرُّوحُ وَاثِبَةٌ إلى عَلْيَائِكُمْ
رَقَبَتْ عَلامَاتِ الظُّهورِ لِتَنْصُرَا
والسِّرُّ يَرْجُفُ تابِعًا آثارَكُمْ
وتَشُدُّهُ أنْفَاسُكُمْ مَسْتَعْبِرا
والنَّفْسُ رَابِضَةٌ تَعُدُّ ثَوَانِيًا
تَوْقًا إلى لُقْيَاكُمُ وتَدَبُّرا
يا بنَ الْحُسَيْنِ السِّبْطِ يَا غَوْثَ النَّدَى
مَنْ مَاتَ تَحْتَ لِحَاظِكُمْ لَنْ يَخْسَرا
ولَئِنْ سُقِيْ كَأْسَ الْمَنُون فإنَّهُ
سَيَنَالُ مِنْ قِمَمِ المعالي الأَوْفَرا
وطِعَانُهُ بالسَّيْفَ -دُونكُمُ- الجنَان
يَنَالُها قَبْلَ الرَّحيلِ مُشَمِّرا
مَهْدِيُّ أدْرِكْنَا بِشِرْعَةِ أحْمَد
كَيْ يَعْلُوَ الدِّينُ الْحَنِيفُ ويَظْهَرا

مَهْدِيُّ أَدْرِكْنَا وَحَقِّقْ حُلْمَنَا
وَاسْقِ الغَمَامَ تَقَدُّمًا وتَحَضُّرا
يَا ربِّ أَوْصِلْ ما كَتَبْتُ لَسَيِّدي
واجْعَلْ جَنَاني تَابِعًا ومُخَبِّرًا
ثُمَّ الصَّلاةُ عَلَى الحَبِيب وآلِه
بِهِمُ يُزَفُّ صَدَى القَصِيدِ مُحَبَّرَا

**وكتب الشيخ د.عبد القادر يوسف ترنني**

# المَصَادِرُ والمراجع


- القـرآن الكريـم.
- سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي الإصحاح الثاني عشر، الكتاب المقدس - العهد الجديد. تم الاسترداد من سفر الرؤيا: https://st-takla.org
- إبراهيم بن محمد الجويني، فرائد السـمطين في فضائل المرتضى والبتـول والسـبطين، مؤسّسـة المحمـودي للطباعـة والنـشر، بيروت، ١٩٨٠م.
- ابـن منظـور محمد بن مكرم بن على، لسـان العـرب، دار صادر، الطبعة الثالثة، بيروت، ١٤١٤ه.
- ابن هشـام عبد الملك بن هشام، السـيرة النبوية لابن هشام، شركة الطباعة الفنية المتحدة، بلا تاريخ.
- أبو الأشـبال حسن الزهيري، شرح كتاب الإبانة من أصول الديانة، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.
- أبو العباس الحسني، المصابيح في السيرة، ٢٠٢٢م.
- أبـو الفتح محمد بن محمد بن أحمد، (الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ).

عيـون الأثر في فنـون المغازي والشـمائل والسـير، دار القلم، بيروت، ١٩٩٣ م.

■ أبـو الفضل زين الدين عبد الرحيم العراقي، أمالي العراقي، مكتبة السـنة،القاهرة،١٤١٠.

■ أبو بكر محمد بن إبراهيم ابن أبي شـيبة،، مسـند ابن أبي شيبة، دار الوطن، الرياض، ١٩٩٧م.

■ أبو محمد الحسـين بن مسـعود البغوي، تفسـير البغوي، دار طيبة للنشر والتوزيع، السعودية، ١٩٩٧م.

■أحمـدابن فارس،مقاييس اللغـة،دار الفكـر،بـيروت،١٩٧٩م.

■ أحمـد أمـين، ضُحى الإسـلام، الهيئـة العامة المصريـة، القاهرة، ١٩٩٧م.

■ أحمـد بن الحسـين بن علي البيهقي ، دلائـل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ.

■ أحمـد بـن الصدِّيق الغـماري، المـداوي لعلل الجامـع الصغير وشرحي المناوي، دار الكتبي، القاهرة، ١٩٩٦م.

■ أحمـد بن داود أبو حنيفـة الدينوري، الأخبار الطـوال، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ١٩٦٠م.

■ أحمـد بن شـعيب بن علي الخراسـاني النسـائي، السـنن الكبرى للنسائي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠١م.

■ أحمد بن عبد الله ابو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتاب العربي، بيروت،١٩٧٤م.

■ أحمد بن عبد الله ابو نعيم الأصبهاني، معرفة الصحابة، دار الوطن للنشر، الرياض، ١٩٩٨م.

■ أحمد بن عبد الله الطبري، ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، دار الكتب المصرية، مصر، بلا تاريخ.

■ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ١٣٢٦هـ.

■ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

■ أحمد بن علي الخطيب البغدادي، الرحلة في طلب الحديث، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٥هـ.

■ أحمد بن علي الموصلي أبو يعلى، مسند أبي يعلى، دار المأمون للتراث، دمشق، ١٩٨٤م.

■ أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، مسند البزار ، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ٢٠٠٩م.

■ أحمد بن محمد السلفي، الطيوريات، مكتبة أضواء السلف، الرياض، ٢٠٠٤م.

■ أحمد بن محمد الشيباني ابن حنبل، فضائل الصحابة، مؤسسة

الرسالة، بيروت، ١٩٨٣م.

■ أحمد بن محمد الشيباني ابن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠١ م.

■ أحمد بن محمد الصديق، إبراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون، مطبعة الترقي، دمشق، ١٣٨٠هـ.

■ أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، شرح مشكل الآثار، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٥هـ.

■ أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي ، الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٧م.

■ أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، أنساب الأشراف، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م.

■ إسماعيل بن حماد الفارابي الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة، بيروت، ١٩٨٧م..

■ إسماعيل بن عمر بن كثير، البداية والنهاية، دار إحياء التراث العربي،بيروت، ١٩٨٨م.

■ إسماعيل بن عمر بن كثير، السيرة النبوية، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٧٦م.

■ إسماعيل حقي، تفسير حقي، دار الفكر، بيروت، بلا تاريخ.

■ البدري سامي، الإمام الحسن في مواجهة الانشقاق الأموي،

مؤسسة تراث النجف الحضاري والديني، النجف، ٢٠١٢م.

■ تقـي الدين ابن تيمية، منهاج السـنة النبوية في نقض كلام الشـيعة القدرية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السـعودية، ١٩٨٦م.

■ جـلال الدين السـيوطي، الـدر المنثور في التفسـير بالمأثور، دار الفكـر بـيروت بـلا تاريـخ.

■ جـلال الدين السـيوطي، العـرف الوردي في أخبـار المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، بلا تاريخ.

■ الحافظ المزي، تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، المكتب الإسلامي والدار القيّمة، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م.

■ خليـل القطان ابن منـاع، مباحث في علوم القرآن. مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠م.

■ السـقاف، حسن بن علي. (الطبعة الأولى؛ ٢٠٠٩م). زهر الريحان في الرد على تحقيق البيان. بيروت: دار الإمام الرواس.

■ سليمان بن ابراهيم القندوزي الحنفي، ينابيع المودة لذوي القربى، دار الاسوة للطباعة والنشر، ١٤١٦هـ.

■ سليمان بن أحمد الطبراني، المعجم الصغير، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥م.

■ سـليمان بـن أحمد الطـبراني، المعجـم الأوسـط، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ.

■ سليمان بن أحمد الطبراني، المعجم الكبير، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٩٩٤م.

■ سليمان بن الأشعث أبو داود، سنن أبي داود، دار الرسالة العالمية، بيروت، ٢٠٠٩م.

■ السيد علي بن موسى ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف، الأنوار الهدى، قم، ١٤١٧ه.

■ السيد محمد باقر الصدر، بحث حول الإمام المهدي، دار التعارف للمطبوعات، الطبعة ٦، بيروت، ٢٠٠٦م.

■ السيد محمد حسين فضل الله، في رحاب أهل البيت، دار الملاك، الطبعة الثانية، بيروت، ٢٠٠٣م.

■ السيد محمد علي الطباطبائي، مائتان وخمسون علامة حتى ظهور الإمام المهدي، مؤسسة البلاغ، بيروت، ١٩٩٩م.

■ الشيخ محمد بن علي ابن الحسين القمي الصدوق، علل الشرائع، المكتبة الحيدرية، النجف، ١٩٦٦م.

■ صلاح الدين خليل الصفدي، الوافي بالوفيات، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠م.

■ عبد الحميد بن هبة الله ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة. الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٩ م.

■ عبد الرحمن بن خلدون، تاريخ ابن خلدون، دار الفكر، بيروت،

١٩٨١ م.

■ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تفسير السعدي، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠م.

■ عبد الرزاق بن همام الصنعاني، المصنف، المجلس العلمي، الطبعة الثانية، الهند، ١٤٠٣هـ.

■ عبد الله بن محمد بن إبراهيم ابن أبي شيبة، مصنف ابن أبي شيبة، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٠٩هـ.

■ عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني، اليواقيت والجواهر، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، بلا تاريخ.

■ علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي، البرهان علي علامات مهدي آخر الزمان، دار الصحابة، مصر، ١٩٩٢م.

■ علاء الدين علي بن حسام الدين، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨١م.

■ علي الكوراني، معجم أحاديث الإمام المهدي، مؤسسة المعارف الاسلامية، قم، ١٤١١ه.

■ علي النمازي، مستدرك سفينة البحار، مؤسّسة النشر الإسلامي، الطبعة الثالثة، قم، ١٤١٨هـ.

■ علي بن الحسن ابن عساكر، تاريخ دمشق، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٥ م.

■ علي بن الحسين بن محمد أبو الفرج الأصبهاني، مقاتل الطالبيين، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، قم، ١٩٦٥م.

■ علي بن سلطان محمد القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٢م.

■ علي بن محمد بن أحمد ابن الصباغ، الفصول المهمة في فضائل الأمة، المكتبة الظاهرية الأهلية، دمشق، بلا تاريخ.

■ علي عبيد الجَوْهَري ابن الجعد، مسند ابن الجعد، مؤسسة نادر، بيروت، ١٩٩٠م.

■ عمر بن علي ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.

■ فخر الدين الرازي، تفسير الرازي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثالثة،بيروت،١٤٢٠هـ.

■ مجد الدين أبو السعادات ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، لمكتبة العلمية، بيروت، ١٩٧٩م.

■ محمد بن عقيل،. العتب الجميل على أهل الجرح والتعديل، مؤسسة البلاغ، بيروت، ١٩٩٠م.

■ محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٨٣م.

■ محمد بن أحمد الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير

والأعلام، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٣م.

■ محمد بن أحمد الذهبي، سير أعلام النبلاء، دار الحديث، الطبعة الثانية، القاهرة، ٢٠٠٦م.

■ محمد بن أحمد القرطبي، تفسير القرطبي، دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٦٤م.

■ محمد بن إسماعيل البخاري، التاريخ الكبير، الناشر المتميز، الرياض، ٢٠١٩م.

■ محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دار طوق النجاة، الرياض، ١٤٢٢ه.

■ محمد بن الحسن ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، دار صادر، بيروت، ١٤١٧هـ.

■ محمد بن الحسن الطوسي، كتاب الغيبة، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، ١٤١١ه.

■ محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري، الشريعة للآجري، دار الوطن، الطبعة الثانية، الرياض، ض١٩٩٩م.

■ محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري، دار التراث، الطبعة الثانية، بيروت، ١٣٨٧ه.

■ محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٠م.

■ محمد بن جعفر الكتاني، نظم المتناثر من الحديث المتواتر، دار الكتب السلفية، الطبعة الثانية، مصر، بلا تاريخ.

■ محمد بن حبان بن أحمد التميمي ابن حبان، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٨م.

■ محمد بن درويش الحوت، أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٥م.

■ محمد بن سعد ابن سعد، الطبقات الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠ م.

■ محمد بن عبد الرحمن ابن أبي حاتم الرازي، الجرح والتعديل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٥٢م.

■ محمد بن عبد الرحمن ابن أبي حاتم الرازي، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، الطبعة الثالثة، مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية، ١٤١٩هـ.

■ محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، ١٩٨٤م.

■ محمد بن عبد الله الأزرقي، أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار، دار الأندلس للنشر، بيروت، بلا تاريخ.

■ محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين للحاكم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م.

■ محمد بن عمر بن واقد السهمي الواقدي، المغازي، دار الأعلمي، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٨٩م.

■ محمد بن عيسى الترمذي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الثانية مصر، ١٩٧٥م.

■ محمد بن محمد ابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة، دار المعرفة، بيروت، بلا تاريخ.

■ محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه، سنن ابن ماجه، دار الرسالة العالمية، بيروت، ٢٠٠٩ م.

■ محمد بن يوسف ابن حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٠م.

■ محمد بن يوسف الصالحي، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣م.

■ محمد رشيد رضا، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٠م.

■ محمد ين يوسف الكنجي الشافعي، البيان في أخبار صاحب الزمان، دار إحياء تراث أهل البيت (ع)، الطبعة الثالثة، طهران، ١٤٠٤هـ.

محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، تفسير الألوسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.

■ محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، تفسير الزمخشري، دار

الكتاب العربي، الطبعة الثالثة، بيروت، ١٤٠٧هـ.

■ مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بلا تاريخ.

■ مهدي خليل جعفر، الإمام المهدي في الديان، دار المحجة البيضاء، بيروت، ٢٠٠٨م.

■ المُهَلَّبُ بنُ أَحْمَدَ المَرِيِيُّ، المختصر النصيح في تهذيب الكتاب الجامع الصحيح، دار التوحيد، دار أهل السنة، الرياض، ٢٠٠٩م.

■ الموفق بن أحمد الخوارزمي، المناقب، مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الثانية، قم، ١٤١١هـ.

■ المُوَفَّق بن أحمد الخوارزمي، مقتل الحسين، دار نور الهدى، بيروت، بلا تاريخ.

■ مؤمن بن حسن محمد بن علي الشبلنجي، نور الأبصار في مناقب آل النبي المختار، دار الفكر، بيروت، بلا تاريخ.

■ نعيم بن حماد المروزي، كتاب الفتن، مكتبة التوحيد، مصر، ١٤١٢ه.

■ نور الدين علي الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٩٩٤م.

■ نور الساعدي، (بلا تاريخ)، شامبالا المملكة المفقودة وحرب المهدي المنتظر، منتدى مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي،

بلا تاريخ. (تم الاسترداد من http://www.m-mahdi.net)

■ هاشم معروف الحسني، سيرة الأئمة الاثني عشر، دار التعارف، بيروت، ١٩٩٠م.

■ الهيثمي، نور الدين علي. (لطبعة الأولى، (١٤١١ - ١٤١٢هـ) = (١٩٩٠ -١٩٩٢ م)). موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان. (حسين سليم أسد الدّاراني - عبده علي الكوشك، المحرر) دمشق: دار الثقافة العربية.

■ ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، دار صادر، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٩٥م.

■ يحيى بن الحسين الشجري، ترتيب الأمالي الخميسية للشجري، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م.

■ يعقوب بن سفيان الفسوي، المعرفة والتاريخ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨١م.

■ يوسف بن عبد الله القرطبي، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م.

■ يوسف بن قزعلي البغدادي سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص من الأمة بذكر خصائص الأئمة، المجمع العالمي لأهل البيت، بيروت، بلا تاريخ.

■ يوسف بن يحيى السلمي، عقد الدرر في أخبار المنتظر، مكتبة المنار، الطبعة الثانية، الأردن، ١٩٨٩م.

**(Footnotes)**

١ - يحيى بن الحسين الشجري:ترتيب الأمالي الخميسية للشجري؛ ج١، ص١٨١، ح٦٨٠.

٢ - قاف المجيد = إشارة إلى سورة ق التي ورد فيها الكلام على يوم الخروج، والذي جاء في بعض الروايات أنه خروج الإمام المهدي ع.

٣ - سجيل = طين يابس متحجِّر طُبِخَ بالنَّار كالفَخَّار - حجارة صلبة حادّة ذات نتوء؛ جاء في القرآن الكريم: {تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ} - وسجيل = وادٍ في جهنم - وسجيل = ديوان كُتِبَ فِيهِ عَذَابُ الكُفَّارِ

٤ - القَذَى : جمعُ القَذَاةِ = ما يتكوّن في العين من وسخ أبيض جامد يتجمّع في مجرى الدمع من العين / يقال: أغمض جفونَه على القذى؛ أي: تحمّل الظُّلمَ/ ويُغضي على القذى؛ أي: يسكت على الذُلّ والضَّيم دون أن يشكو

٥ - الشَّرَى = بُثُورٌ حُمْرٌ كالدَّراهم - حَكَّاكةٌ مؤلمةٌ؛ والمقصود هو الألم والهم والغم والمصاعب...

# الفهرس


إِهْدَاءٌ ..... ٥

بَيْنَ يَدَيّ البَحْثِ لِلتَّارِيْخِ ..... ٦

المُقَدِمَّةُ ..... ١٠

**الفَصْلُ الأَوَّلُ** ..... ١٧
**الإِمَامُ المَهْدِيُّ وَأَزْمَةُ التَّشْكِيكِ**

المبْحَثُ الأَوَّلُ ..... ١٩
المَهْدِيُّ فِيْ اللُّغَةِ وَالاِصْطِلَاحِ

المبْحَثُ الثَّاني ..... ٢٨
المَهْدِيُّ وَالأَمَل المَوْعُود

المبْحَثُ الثَّالثُ ..... ٣١
التَّشْكِيكُ بِالمَهْدِيِّ وَبِالغَدِيْرِ وَالمَحَطَّات التَّأْسِيسِيَّة

**الفَصْلُ الثَّاني** ..... ٣٩
**إِعْلَانُ وِلَايَةِ (الإِمَام عَلِيّ) عِنْدَ غَدِيرِ خُم**

المبْحَثُ الأَوَّلُ ..... ٤١
المَهْدِيُّ وَالتَّأْسِيس لِلْوِلَايَة

المبْحَثُ الثَّاني ..... ٥٧
وِلَايَةُ عَلِيٍّ عَهْدٌ مَحْفُوظٌ لَمْ تَثْبُتْ عَلَيهِ الأُمَّةُ

المبْحَثُ الثَّالثُ ..... ٦٠
خِيَانَةُ عَهْدِ الغَدِير

الفَصْلُ الثَّالثُ ..... ٧١
صُلْحُ الإِمَامِ الحَسَنِ بنِ عَلِيّ.. الظُّرُوفُ وَالتَّأْسِيسُ

المبْحَثُ الأَوَّلُ ..... ٧٣
صُلْحُ الحُدَيْبِيَّةِ بَيْنَ النَّبِيِّ وَقُرَيْشٍ دُسْتُورٌ لِلإِمَامِ الحَسَنِ

المبْحَثُ الثَّاني ..... ٨٠
وَجْهُ الشَّبَهِ بَيْنَ صُلْحِ النَّبِيِّ مَعَ قُرَيْشٍ وَصُلْحِ الحَسَنِ مَعَ مُعَاوِيَةَ

المبْحَثُ الثَّالثُ ..... ١٠٤
مَتَى نَكَثَ مُعَاوِيَةُ العَهْدَ مَعَ الإِمَامِ الحَسَنِ؟

**الفَصْلُ الرَّابِع** ..... ١٢٥
**ثَورَةُ الإِمَامِ الحُسَينِ.. التَّأْسِيسُ وَرِحلَةُ الشَّهَادَة**

**المبْحَثُ الأَوَّلُ** ..... ١٢٧
**الإِمَامُ الحُسَيْنُ شَهِيدُ كَرْبَلَاءِ**

**المبْحَثُ الثَّاني** ..... ١٣٣
**وَظِيْفَةُ الأَوْصِيَاءِ وَالمُصْلِحِينَ وَالعُلَمَاءِ مِنْ بَعْدِهِم**

**المبْحَثُ الثَّالثُ** ..... ١٣٦
**عَوَاقِبُ الإِهْمَالِ وَوَاجِبَاتُ التَّصحِيْحِ**

**الفَصْلُ الخَامسُ** ..... ١٥٥
**المَهْدِيُّ المُنْتَظَرُ**

**المبْحَثُ الأَوَّلُ** ..... ١٥٧
**لِمَاذَا كَانَ المَهْدِيُّ مَهْدِيًّا قَائِمًا وَمُنْتَظَرًا؟**

**المبْحَثُ الثَّاني** ..... ١٦٥
**مَنْ هُوَ المَهْدِي عِنْدَ المُسْلِمِينَ؟**

**الفَصْلُ السَّادسُ** ..... ١٨٣
**المَهْدِيُّ وَالأَسَاطِيرُ.. إشكالاتٌ وحلولٌ**

**المبْحَثُ الأَوَّلُ** ..... ١٨٥
**لِمَاذَا الاِختِلاَفُ حَوْلَ المَهْدِيِّ؟**

**المبْحَثُ الثَّاني** ..... ١٩٧
**بَعْضُ الخِلاَفَاتِ المُتَعَلِقَةِ بِالْمَهْدِيِّ**

**المبْحَثُ الثَّالثُ** ..... ٢١٠
**خُصُوصِيَّةُ المَهْدِيِّ مَحلُّ اتِّفَاقٍ بَيْنَ المُسلِمِينَ**

**الفَصْلُ السَّابعُ** ..... ٢١٥
**المَهْدِيُّ المُنْتَظَرُ.. إِشْكَالاَتٌ وَحُلُولٌ**

**المبْحَثُ الأَوَّلُ** ..... ٢١٧
**لِمَاذَا كَانَ التَّشْكِيكُ بِالْعَقِيدَةِ المَهْدَوِيَّة**

**المبْحَثُ الثَّاني** ..... ٢٢٢
**المَهْدِيُّ وَسَاعَةُ الخُرُوْجِ الحَاسِمَةُ**

المبْحَثُ الثَّالثُ ..... ٢٢٦
المَهْدِيُّ..الغَيْبَةُ وَالسِـفَارَةُ

الفَصْلُ الثَّامنُ ..... ٢٤١
عِلْمُ المَهْدَوِيَّةِ وَتَجْدِيدُ الدِّرَاسَاتِ وَآَلِيَّاتهَا

المبْحَثُ الأَوَّلُ ..... ٢٤٣
تَجْدِيدُ الدّرَاسَاتِ المَهدَوِيَّةِ وَعَلَامَاتُ الظُّهُورِ عَلَى ضَوْءِ النُّصُوصِ

المبْحَثُ الثَّاني ..... ٢٤٦
لَمْحَةٌ عَن صِفَاتِ جُنُودِ صَاحِبِ العَصْرِ وَالزَّمَانِ

المبْحَثُ الثَّالثُ ..... ٢٤٧
الآَلِيَّاتُ المَطْرُوحَةُ التي يمُكِنُ أَنْ تُعَزِزَ العَقِيدَةَ المَهْدَوِيَّةَ

خَاتِمَةٌ ..... ٢٥١

المَصَادِرُ والمراجع ..... ٢٦١

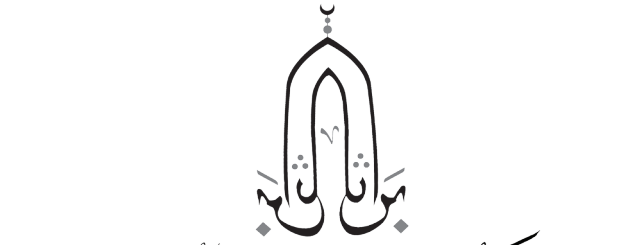


هو مركز بحثي مستقل غير ربحي، مركزه في بيروت وبغداد. ويهدف لفتح المجالات العلمية والاكاديمية الواسعة، أمام الباحثين والمتخصصين؛ للقيام ببحوث تسعى إلى فهم واقع الإنسان والإنسانية، من خلال التركيز على دراسة الميادين الفلسفية، والاجتماعية، والإنسانية المتنوعة، التي تشكّل في مجموعها ذلك الحراك الاجتماعي والانساني الكبير، الحاصل في العالم، وخصوصا في بلادنا العربية والإسلامية؛ ورصد الظواهر والتحديات الفكرية، والاجتماعية، والاقتصادية، والنفسية المختلفة، التي يمكن أن يواجهها الفرد والمجتمع، ومحاولة فهم ومدارسة الأسس الفلسفية والإجتماعية والدينية التأصيلية بموضوعية وجدة، سعيًا للوصول إلى حلول لها؛ من أجل السمو بالإنسان وتقدّمه في أبعاده الإنسانية المختلفة.

جاءَ هذا الكتابُ مؤكّدًا على أنّ القضيةَ المهدويةَ عقيدةٌ ثابتةٌ، وأنّ الخلافَ المنتشرَ حولها ليسَ مذهبيًّا كما هو محفوظٌ بين أهلِ العلمِ، وإنّما هو نابعٌ من دراسةِ نصوصٍ محدّدة. ويبيّنُ أنّ الممهِّدَ للغيبة كان انحرافُ الأمةِ عن بيعةِ الغدير، وعدمُ القبولِ بعليٍّ خليفةً بعد البيعة له في حياةِ النبيّ الأعظم (ص)، ثم حربُها المعلنةُ على أئمةِ أهلِ البيتِ -عليهم السلام- الذين ثبتت إمامتُهم عند كلّ المسلمين. من هذا المنطلق، تؤكدُ الدراسةُ أنّ المهديّ المنتظرَ سيلاقي عند خروجه العداواتِ كما لاقى الأنبياءُ والمرسلونَ، وهذا ما يزيدُ الباحثَ إيمانًا بهذه القضيةِ الإنسانيةِ التي تزيلُ معالمَ الجَورِ، خصوصًا وأنَّ ذكرَها قد تواترَ عند أتباعِ العقائدِ المختلفة.

## الشيخ أ.د. عبد القادر يوسف ترنني

عالم من علماء أهل السنة والجماعة في لبنان. محقق وشاعر وأستاذ جامعي.. مؤمن بالوحدة الإسلامية، وبالانفتاح المعرفي على المذاهب الإسلامية والمذهب الجعفري خصوصا.. له كتب ومقالات متعددة دعا من خلالها إلى نبذ العصبيات المذهبية والطائفية ومواجهة العدو الذي يصنع الفتن ويهدد كيان الأمة ويهدم بنيانها. شارك في العديد من المؤتمرات الفكرية والأدبية حول العالم وحصل على جوائز عديدة.

مركز براثا للدراسات والبحوث
بيروت - بغداد